☩

مكتبة دير السريان العامر
جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية

القديس أنبا باخوم

سيرته • قوانينه • أديرته



إعداد
جمعية مار مينا العجايبى
بالإسكندرية

مراجعة وتقديم
الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر
بوادى النطرون

الرسالة العشرون
من مطبوعات جمعية مارمينا العجايبي بالإسكندرية

٢٠٠٨

✝

مكتبة دير السريان العامر

جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية

القديس أنبا باخوم

سيرته ⋆ قوانينه ⋆ أديرته



إعداد

جمعية مار مينا العجايبى

بالإسكندرية

مراجعة وتقديم

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

بوادى النطرون

الرسالة العشرون

من مطبوعات جمعية مارمينا العجايبي بالإسكندرية

٢٠٠٨

الكتـــــــاب: رسالة مارمينا العشرون: فى القديــس أنبــا باخـــوم
(سيرته * قوانينه * اديرته)
إعــــــــداد: جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالإسكندرية
الناشـــــــر: مكتبة دير السريان العامر – وادى النطرون
جمعية مارمينـــا العجايبى – بالإسكندرية
٤ ش موسى كاظم – محرم بك – الإسكندرية
☎: ٠١٠٠٠٦٦٤٩٦ E-mail: minab@aucegypt.edu
الطبعــــــة: الأولي ٢٠٠٨
المطبعــــــة: مطبعة الدلتــا delta ٢٤ شارع الدلتا سبورتنج إسكندرية
☎ وفاكس: ٥٩٠١٩٢٣ (٠٣)
رقم الإيــــداع: ٢٠٠٨/٢٣٩٢١
الترقيم الدولى: ٨ – ٥١ – ٥٠٨٨ – ٩٧٧



رسم للقديس أنبا باخـوم

أب الشركة الرهبانية

(٢٨٦ — ٣٤٦)

من إعداد خبير رسم الآثار المصرية

الأستاذ بديـع عبد الملك

(١٩٠٨ — ١٩٧٩)

بالمتحف اليونانى الرومانى بالأسكندرية وأحد مؤسسى جمعية مارمينا العجايبى بالأسكندرية

يعود تاريخ إعداد الرسم إلى عام ١٩٤٨

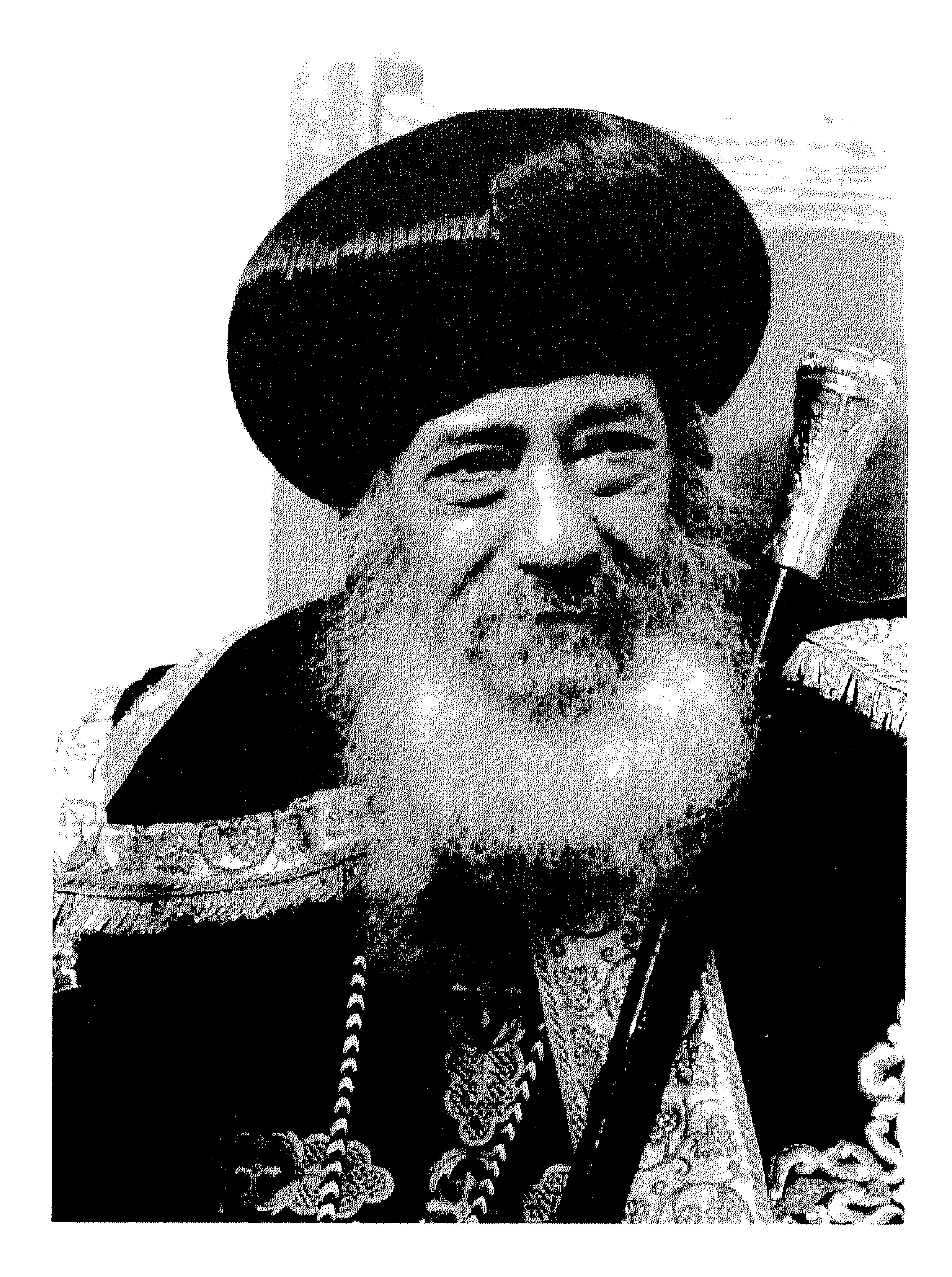


الشهيد المصرى العظيم مارمينا العجايبى

عميد شهدائنا القبط وشفيع مسيحى مصر

(٢٨٥ — ٣٠٩م)

عن لوحة رخامية من بقايا الكنيسة الأثرية للقديس مارمينا بمنطقة مريوط
عثر عليها بمنطقة الدخيلة وموجودة حالياً بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية



صاحب القداسة والغبطة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧

أدام الرب رئاسته للكنيسة سنين عدة متمتعاً بكل صحة وعافية

تاريخ الصورة الخميس ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨

بجامعة لورانس التكنولوچية - ميتشجان - الولايات المتحدة الأمريكية



صاحب النيافة الحبر الجليل

الأنبا متــاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر بوادى النطرون

فهرست الموضوعات

الموضوع

مقدمة:

"إن القارئ ليدهش كثيراً عندما يعلم أنه بعد مدة أكثر من ألف وخمسمائة عام، فإن قوانين جماعاتنا المعاصرة ليست سوى القانون الذى أعلن في طابنيسي في النصف الأول من القرن الرابع".

كتاب (قديسو مصر) للأب شينو دورليان الفرنسسكانى

"لأنه تسلم من السماء التوجيهات اللازمة كمشرع للشركة الرهبانية يقارن باخوم بموسي وقيل إن ملاكاً هو الذي أعطاه التعليمات".

عن لوفور L.TH.Lefort مترجم عن سيرة باخوم بالقبطية

"إن العالم المسيحي ليسجل قبالة مصر دينا من الشكران، إذا فكرنا فى الدور الذي لعبته ومازالت تلعبه الأديرة سواء الشرقية أو الغربية. ففي وادي النيل، بعد تلك الحركات الحماسية التصوفية للنسك التوحدي، تظمت حياة الشركة الرهبانية وفق قوانين القديس باخوم، التى تلقفها بعد ذلك القديس بندكت".

Mekhitarian – (Egypte), ed. Bloud et Gay.

"باخوم هو المؤسس والمشرع الحقيقي للجماعات الدينية المنظمة، ذات النظام الدرجى، وفي كلمة واحدة الشركة الرهبانية كما نعرفها اليوم"..

L. TH Lefort.

تقديـــم

لصاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر بوادى النطرون

هذه هى الرسالة العشرون من اصدارات جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية. هذه الجمعية العريقة المهتمة بالتراث والتاريخ القبطى خصوصاً الرهبنة والأديرة والآثار.

أصدرت الجمعية تسعة عشر رسالة سابقة فى هذا المجال كلها بحوث علمية قيمة لعلماء أفذاذ مصريين وأجانب.

وهذه الرسالة العشرون كلها عن القديس المصرى العظيم الأنبا باخوميوس أب الشركة الرهبانية وأحد رواد الرهبنة الكبار وصاحب القوانين الرهبانية الشهيرة التى اعتمد عليها بندكت وغيره من مؤسسى الرهبنة الغربية.

فى هذه الرسالة نقرأ مقالاتاً وبحوثاً قيمة عن الرهبنة عموماً وعن سيرة القديس الأنبا باخوميوس أب الشركة والأديرة التى أسسها والقوانين الباخومية الشهيرة التى استلم بعضها من الملاك ووضع هو بعضها حسب حاجة ومتطلبات وظروف الأديرة التى أسسها والرهبان الساكنين فيها، وعن موضوعات رهبانية أخرى كثيرة.

نشكر جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية على هذه البحوث القيمة وعلى مجهوداتهم السابقة فى مجال البحوث الرهبانية والأثرية. ونرجو للجمعية النمو والإزدهار والانتاج الغزير لمنفعة أبناء الكنيسة، ونرجوا لهذا الكتاب أن يكون سبب بركة لكل من يقرأه لينتفع به.

بشفاعة سيدتنا كلنا العذراء الطاهرة القديسة مريم
وصلوات القديس العظيم الأنبا باخوميوس أب الشركة
وصلوات أبينا الطوباوى البابا المكرم الأنبا شنوده الثالث أب رهبان هذا الجيل.
والرب يبارك كل عمل لمجد اسمه القدوس. آمين

الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان العامر

٢٢ أغسطس ٢٠٠٨م ، ١٦ مسرى ١٧٢٤ش
عيد إصعاد جسد السيده العذراء مريم والدة الإله

كلمة جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية

اسم "باخوميوس" - مع حذف مؤخره اليونانى "يوس" – هيروغليفى الأصل الذى معناه "نسر كبير" وبالقبطية ، لهجة صعيدية ⲁϩⲱⲙ ولهجة بحيرية ⲁϧⲱⲙ معناه أيضاً " نسر كبير" ولذا صار معنى اسم "باخوميوس" باللغة العربية بعد إدخال أداة التعريف القبطية ⲡⲓعلى أصله " النسر الكبير".

وتُعتبر الرهبنة الباخومية (نسبة إلى القديس باخوم) المرحلة الثالثة فى تطور الحياة الرهبانية فى مصر، وهى التى أصطلح على تسميتها بحياة الشركة الرهبانية وللمرة الأولى فى تاريخ الرهبنة المسيحية نسمع عن أديرة منظمة ذات قوانين وضعية ونظم مُحكمة، حجر الزاوية فيها الطاعة الفورية المطلقة، تخضع لها الجماعة كبيرها وصغيرها. ويُعد هذا الفصل الجديد فى تطور التعاليم الرهبانية من أروع الفصول وأهمها فى كل تاريخها السابق واللاحق، وكان أول أثر أحدثته رهبنة الأنبا باخوم فى أرض مصر هو إنضمام عذارى مصر إلى الشركة الرهبانية.

يعوزنا الوقت أن نذكر بالتفصيل فضل الرهبنة الباخومية على العالم كله، لهذا أردنا فى هذا الكتاب – الذى بين أيدينا – أن نسجل الدراسات المختلفة التى أُجريت على هذا النظام من الرهبنة وحياة وأعمال مؤسسها لنقف على مدى تقدير العالم كله لهذه العبقرية المصرية التى بزغت يوماً فى صحراء مصر فى منتصف القرن الرابع الميلادى ومازال عبق رحيقها يستنشقه العالم بشغف زائد وتقدير عظيم.

فى عام ١٩٣٤ قام المستشرق الهولندى الأب يعقوب مويزر (١٨٩٦ – ١٩٥٦) الذى خدم فى كنيسة الأنبا باخوم بمدينة فاقوس – محافظة الشرقية – فى الفترة (١٩٢١ – ١٩٥٦) التابعة لطائفة الأقباط الكاثوليك، قام بالقاء محاضرة هامة عن القديس الأنبا باخوم وذلك بجمعية "مبشرى السلام" التابعة للكنيسة. وتعد هذه المحاضرة مفقودة من المكتبات المختلفة بارض مصر. إلا أننى أمكننى العثور على نص هذه المحاضرة (باللغة العربية) بمكتبة جامعة لوفن Leuven ببلجيكا للدراسات الشرقية فى إحدى زياراتى للمكتبة عام ١٩٩٠ وقمت بالأحتفاظ بصورة ضوئية كاملة لها. وقد تضمن هذا الكتاب نص المحاضرة.

فى عام ١٩٤٨ – بمناسبة الذكرى المئوية السادسة عشرة لنياحة القديس باخوم – بادرت جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالإسكندرية إلى إصدار أول كتاب من

نوعه عن الرهبنة وتاريخها بعنوان "الرهبنة القبطية" أشترك فى تحريره لفيف من كبار المهتمين بالدراسات القبطية.

أيضاً فى عام ١٩٤٨ أجتمع نخبة من أصحاب الغيرة الحسنة من لاهوتين وعلماء ومؤرخين من اكليروس وعلمانيين وقرروا الأحتفال بشكل لائق بالذكرى المئوية السادسة عشرة لنياحة القديس أنبا باخوم واضع أولى القوانين الرهبانية وذلك بالقاء المحاضرات وزيارات لبعض الأديرة التاريخية بالقطر المصرى. ونُشرت هذه المحاضرات فى كتاب واحد بعنوان "باخوميانا".

فى عام ١٩٧٤ قام الأب جيرار فيو Gérard Viaud الذى خلف الأب يعقوب مويزر فى الخدمة بكنيسة الأنبا باخوم بفاقوس بنشر كتاب يحوى قوانين الأنبا باخوم.

ثم فى عام ١٩٨٠ وبينما العالم الغربى يحتفل بالذكرى المئوية الخامسة عشرة لميلاد الأب بندكت مؤسس الرهبنة فى الغرب بادرت جمعية مارمينا العجائبى بالإسكندرية باصدار رسالتها بعنوان (عبقرية الأنبا باخوم) أظهرت فيه فضل قوانين القديس الأنبا باخوم على رهبنة البندكتين بصفة خاصة والرهبنة الغربية بصفة عامة.

وفى عهد قداسة البابا شنوده الثالث — أطال الرب فى عمره — بدأت الكنيسة القبطية بالاهتمام بإحياء الأديرة الباخومية التى إندثرت، حيث شجع قداسته أساقفة الكنيسة بضرورة إعادة الحياة الرهبانية إلى الأديرة المندثرة. ففى جلسة المجمع المقدس للكنيسة القبطية فى ٢٦ مارس ١٩٨٠ وافق المجمع على الأعتراف بدير الأنبا باخوم بحاجر أدفو — أيبارشية أسوان — كاحد أديرة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية العامرة لرهبنة الرجال، وأصدر المجمع وثيقة رسمية للإعتراف بهذا الدير موقعة من قداسة البابا شنوده الثالث وسائر آباء المجمع المقدس.

وفى جلسة ٦ يونيو ١٩٩٨ قرر المجمع المقدس الأعتراف بدير الأنبا باخوم المعروف بالشايب فى برية الأقصر.

ثم فى مايو ٢٠٠٦ سارعت جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية بتخصيص عدد مجلة "راكوتى" — التى بدأت فى اصدارها منذ عام ٢٠٠٤ — عن القديس باخوم آب الشركة الرهبانية عرضت فيه العديد من الدراسات الجادة عن الرهبنة الباخومية.

وبتشجيع متواصل من العالم الجليل نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر بوادى النطرون قمنا بإعداد هذا الكتاب والذى قام بمراجعته مع إضافة بعض الملاحظات والتعليقات، كما سجل تقديم لهذا الكتاب. فله منا جزيل الشكر.

وهذا الكتاب يعد ثانى كتاب من ثمرة التعاون بين الجمعية ودير السريان العامر فى نشر كتب الدراسات القبطية .

كما نسجل تقديرنا الشديد لصاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث الذى يواصل تشجيعه وتاييده لمجهودات الجمعية فى حقل الدراسات القبطية ويسجل بقلمه البارع هذا التشجيع على صفحات مجلة الكرازة. نسال ونطلب من إلهنا الصالح محب البشر أن يحفظ حياته سنين عدة وازمنة هادئة سلامية مديدة.

كما نشكر كل الأخوة العاملين بمطبعة الدلتا بالإسكندرية على مجهودهم الرائع فى إخراج هذا الكتاب بهذه الصوره المشرفة، فلهم منا جميعاً كل الأحترام والتقدير.

وليبارك الرب فى كل عمل لخدمة كنيسته المقدسة.

د. مينا بديع عبد الملك

الجمعة ١٥ هاتور ١٧٢٥ ش   عيد أستشهاد القديس مارمينا العجائبى
٢٥ نوفمبر ٢٠٠٨ م

الباب الأول

سيرة الأنبا باخوم وأعماله



د. منير شكري

الفصل الأول

" كلمة عامة عن الرهبنة "

الرهبنة هبة مصر للعالم المسيحى ففيها وُلدت ونشأت ومنهـا إنتـشرت شـرقاً وغرباً. وكانت صدي لكلمات السيد المسيح له المجد. "كل من تـرك بيوتـا أو إخـوة أو أخوات أو أبا أو أما أو إمرأة أو أولادا أو حقولا من أجل إسمى يأخذ مائة ضـعف ويرث الحياة الأبدية" (متـى ١٩:٢٩) هذه الأقوال الجذابة هى الأصل فى الحياة النـسكية فامتلأت الأديرة بالرهبان والصحارى والأحراش بالمتوحدين.

وإلى أقوال السيد له المجد يضاف عامل آخر وهو التشبه بحياته: ألم يعـش فـى التجرد تاركاً عالماً كان يستطيع أن يضعه تحت تصرفه، فى تبتل تام وفى إتصال دون خفاء بأبيه، وقد وهب نفسه لإرادته، وكان إتصاله به مستمراً بواسطة الـصلاة؟ ممـا يظهر بإختصار أن حياة الراهب قد أرشد إليها وعاشها السيد المـسيح، فكـان البدايـة والنهاية لطريق أتمه فى نفسه.

وقد تحقق بها ما تنبأ به إشعياء النبى عن الملك الآتى للسيد المسيح "تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس.. ومنك تبنى الخرب القديمة، تقيم أساسـات دور فدور". (إشعياء ٣٥: و ٥٨:١٢)، وقد كمل مرة ثانية وأخذ معنى جديداً عند يقظة الرهبنة وخروج جماعات المجاهدين الروحيين نحو الصحارى والجبال الجرداء في مصر ثـم فى آسيا الصغرى لأجـل أن يبنوا بعيداً عن صخـب المدن الكبيرة الملك الذى لـيس من هذا العالم، وأصبحت الصحراء هى الجنة التى عاش فيهـا الـرب مـع الإنـسان وتحادث معه كما من صديق لصديق.

وقد جرت مرات كثيرة محاولة لشرح أسباب هذه الحياة النسكية وأصلها فالبعض نسبها إلى الاضطهاد، بأن جماعات من المسيحيين أقامت فى الصحارى بعد أن لجـأت إليها، والبعض رأى فيها نتيجة صعوبات فى الحياة الاجتماعية، أو كاحتجاج لإنتـشار الفساد فى العالم، هذه الأسباب أو بعضها هى التى دعت هؤلاء الرجال إلى أن يبحثـوا عن خلاصهم بعيداً. ولكن أقوال النساك وسير حياتهم التى وصلت إلينا ترفض جميـع هذه الأسباب. فلم يختر النساك الأولون حياتهم هذه لأجل الهروب مـن الاستـشهاد، إذ كانت تلك الحياة مساوية للشهادة الدموية التى أصبحت بعيدة المنال، لقد كانت حيـاتهم نوعاً من الاستشهاد يدمى من الداخل وصار الراهب (هو الشهيد الحى)، إن حياته هـى الشهادة للحقيقة التى لها أسم الله، وللواقع أن ذلك الذى صلب وقام من الأمـوات هـو

حي. ولأجل أن يحافظ على خلاصة شهادته فإن الناسك الباحث عن الرب صار (موناخوس) أى متوحد، ليس عن هروب أمام الاستشهاد، وليس كمن لفظه الالم ولكن حبا في الرب، ولذلك يعنون تيودوريت الصوري كتابه عن تاريخ الرهبنة (تاريخ حب الإله أو حياة الرهبنة). ويقول كاتب سيرة تادرس التلميذ المفضل للأنبا باخوم (كان همه الوحيد على الأرض أن يحب الرب من كل قلبه حسب وصية السيد المسيح)، أى أن حب الرب هو ضد حب العالم الذى سقط منذ خطية آدم، وبذلك لا تتوافق محبته مع محبة الرب، ويحاول العالم إسقاط الإنسان بواسطة الشهوة، والنسك هو (قهر النفس، ورفض كل ما له إتصال بالعالم ثم الإيمان بالرب)، فالنساك إذن قد تركوا العالم لأجل محبة الرب بشكل أعمق وأحسن.

وإن ما أتى به ظهور الرهبنة من جديد حقاً فى القرن الثالث هو الوسائل التى يتحقق بها هذا القهر للنفس، وفى إنتقاء هذه الوسائل فإن الرهبان شعروا أنهم على إتفاق مع الذين سعوا قبلهم إلى محبة الرب، مع (أحباء الرب) فى العهد القديم، فإبراهيم ترك بلده بأمر من الرب، وإيليا وإليشع ويوحنا المعمدان عاشوا في التقشف والتبتل والتأمل، وبدورهم فإن الرهبان تركوا العالم لأجل الحقيقة الوحيدة التي لها قيمة وهى محبة الرب. هؤلاء الرجال الذين كانوا يعلمون بمحبة الرب لهم أرادوا بقهر نفوسهم أن يحصلوا على محبة أعمق وهذا ما دعا القديس أنبا مقار لأن يكتب (إن لذة التمتع بمحبة الرب لا يشبع منها، فكلما زاد تذوقنا لها وحصولنا عليها، كلما زادت رغبتنا فيها).

ويقول القديس جيروم أنهم بنسكهم وتوحدهم كأنهم يريدون القول (إن المحبة الإلهية قد أصابتهم بسهامها ولسان حالهم يقول: لقد وجدت ذلك الذى كانت نفسي تتوق إليه وسأحتفظ به ولن أتركه أبداً)، وكانت رغبة الرهبان أن يهبوا نفوسهم كلية لهذا الحب، ولأجل أن يكرسوا نفوسهم له لم يجدوا سوى حلا واحداً وهو أن يتركوا المدن. وفى الواقع فإن (من يعيش فى المدينة يموت عن العيش للرب، أى أنه ينسي الرب وتبرد حرارة محبة السيد المسيح فى قلبه). وأيضاً يعلن القديس باسيليوس فى صراحة (إن من يحب الرب يترك كل شئ ويتجه نحوه). فلا يوجد إذاً تفسير آخر لبطولة النساك سوى محبة الرب.

وكانت أسلحة الراهب الإستمرار فى أداء الفروض، وقوة التمييز، وقهر النفس والطاعة فى الرب. وكان الراهب يخضع نفسه لنظام دقيق لأجل أن يكرس نفسه بكل حرية لعلاقته بالرب والتى تتكون بالضرورة بالصلاة فى كل الأوقات بالمزامير، وحفظ وقراءة الكتاب المقدس لأجل أن يتذوقه، أو حسب التعبير الدارج لأجل أن يجتره.

سمع القديس أنبا باخوم بعد جهاد داخلى هذه الكلمات (سر هادئاً فى طريقك يا باخوم لقد سمحت بأن تهاجمك تجارب شديدة حتى لا تتفاخر كأنك تستطيع أن تفعل شيئاً بنفسك).

لم يتـــرك الرهبان الأوائل العالم خوفـــاً من الحياة، بل علي العكس من ذلك فقد جابهوا العدو – الشيطان – فى ميدان القتال الذى كان هو المسيطر بدون شك، فى هذه الصحارى التى جعل منها التقليد إقطاعية خاصة له.

ورغماً من حدة القتـــال فإننا نتبين فى سيرهم جمالاً وجاذبية! فهى ترينا أن الرهبان فى الصحراء يتحولون إلى متخصص فى معرفة النفـــوس، ولا يغيـــب عـــنهم مطلقـــاً سيكولوجية أعماق النفس، ودون أن يسمونها كذلك، إلا أن سلوكهم ينبئ بذلك.

كذلك هناك تأثير ديني قوى ينبع من الصحراء.. فليس هناك أكثر بطولـــة مـــن مسيحية الصحراء التى ترتفع نارها المقدسة فى إستقامة نحو السماء. وأكثـــر الثمـــار نضوجاً وأحسنها لذلك الجهاد الذى لا يخمد أواره طوال حياة الرهبان هو التواضع، تلك التجربة القلبية التى يشعر بموجبها بحاجته المستمرة إلى رحمة الرب.

وجميع الذين كانوا يقربونهم كان يتولد لديهم الإنطباع أن الرب كان يتكلم بواسطتهم. لقد تركوا العالم لأجل أن يقودوه إلى الرب. وكان مواطنو القديس أنبا أنطونيوس ينظرون إليه كطبيب أهدى إلى أرض مصر. وهذا ينافى ما يتصوره البعض بأن أنانية الرهبان فى طلب خلاص نفوسهم جعلتهم يتركون العالم لشأنه، لقد كان مجرد وجودهم منـــارة في أعين مسيحيى زمانهم.

ولم تكن الحاجة هى السبب الوحيد للزيارات التى كان يستقبلها آباء البرية فقد كـــان لحب الاستطـــلاع نصيبه أيضاً، ونشأت بذلك عادة الذهاب لرؤية الرهبان الموجودين فى دلتا النيل أى نتريا وشيهيت. كانوا يريدون يتحدثوا إليهم ويستعلموا عن مبادئهم ويـــروا كيفية معيشتهم. وبهذه الوسيلة وصلت إلينا أخبار الرهبنة أو سير الآباء مـــن روفـــان الأكويلى حوالى ٤٠٠ م والأسقف بلاديوس نحو ٤٢٠م، والأنبا يوحنـــا كاســـيان مـــن مرسيليا (تنيح ٤٣٠/٤٣٥م) وغيرهم من المؤلفين. على أن أهم مؤلف من هذا النـــوع هو بلا شك حياة القديس أنطونيوس (تنيح ٣٥٦م) وضعه العظيم القديس البابا أثناسيوس الرسولى البطريرك ٢٠، وهذا المؤلف عبارة عن مدرسة تتلمذ عليها الكثيرون. وقـــد أبان الشخصية التى وصفها بأنها (رجل الرب) بكل معنـــى الكلمـــة و (رجـــل الـــرب المثالى) طبقاً لما وعاه من تعاليم أكليمضس الإسكندرى وأوريجانوس، وقد تحققت فيـــه

القداسة المثالية: فصنع نفس معجزات الأنبياء والرسل والشهداء، ويمكن أن نقول عنه إنه كان فى مستوى الملائكة، كان حبيب الرب المعلن، وصار فى غروب حياته ذا مكانة خاصة لدى الرب إلي درجة أن علم مقدما بساعة نياحته التى وجدته فى حالة صفاء وممتلئاً حماساً.

حياة الشركة: إن الذى يتجه نحو الرب فيأخذ طريق البرية، لم يكن ليذهب على غير هدى ليلقى بنفسه فى أحد أركان الصحراء، بل كان يقصد أحد الآباء الروحيين ليلقنه قوانين الحياة النسكية وكيف يتجنب مخاطرها، وكان النساك يأتون من أنحاء متباعدة ليستمعوا إلى العظات الأسبوعية للآباء الذين كانوا يشددون على كفاية الإستغاثة بالمسيح المصلوب وعلامة الصليب فى الجهاد ضد أبليس. وكان الناسك المبتدئ يذهب إلى الشيخ المتوحد ليحصل منه على كلمة (حياة) وهذه النصائح التى تسمي بأقوال الآباء كانوا يتداولونها من فم إلى فم وكانوا يعتبرونها قانوناً شفوياً، إذ كان المتوحد الناشئ يضع حياته بواسطتها تحت توجيه هادئ وطاعة محدودة.

وكان هناك إرتباط أكثر وثوقاً بين النساك الذين يتجمعون فى جماعات متحررة، ونتبين ذلك من سيرة أنطونيوس (فى الجبال كانت الجماعات منتشرة مثل الخيام الملأى بالمرتلين السمائيين الذين كانوا يرتلون المزامير، ثم يتفرغون إلي قراءة الكتب المقدسة ويصومون ويصلون).

ولكن يبدوا أن عددا صغيراً من هذه الجماعات المتحررة يصل إلى درجة الكمال فى التوحد، إذ لم تكن الغالبية مؤهلة لمثل هذا الهدف السامي، فلم يكن من النادر أن نرى من يتركون حياة التوحد عن خوف أو عدم مبالاة أو ملل أو إعياء معنوى أو جسدى. فكانت هناك الحاجة إلى التوجيه وإيجاد سند، وإلى تعميق الحياة النسكية لمثل هؤلاء وبعبارة أخرى كانت هناك الحاجة إلى نوع آخر من الحياة النسكية، وهى حياة الشركة الرهبانية، مما أعطى لأمثال هؤلاء النساك الناشئين لقب "رهبان الشركة الرهبانية" تمييزاً لهم عن المتوحدين. ولكن بقى المتوحد هو الناسك المثالي والكامل، بينما كان رهبان الشركة يعرفون بالمبتدئين، وصارت تلك الحياة هى المدرسة التى يجب الإلتحاق بها قبل أن يستطيع الناسك المجازفة (بالجهاد وحيداً)، كما أن التوحد لن يعنى بعد ذلك التوحد بالجسد ولكن مرادفاً لجمع الحواس والأفكار وحيداً مع الرب، والدير هو مكان هذه الوحدة.

ولكن ما هو جوهر حياة الشركة الرهبانية؟، وما هو الجديد الذي أتت به؟ إن الجواب علي هذا السؤال يكمن فى اسمها، فحياة الجماعة الرهبانية تدل قبل كل شئ على حياة

التجمع في مكان واحد يحيط به سور مما ينتج عنه إتصال من فى داخل السور فيما بينهم ويكون من مظاهر تجمعهم الإشتراك فى الطعام والصلاة وإقامة القداسات والقيام بعمل منظم يكفى لأن يفى بإحتياجات الجماعة المادية، وكل ذلك مع القيام بسخاء بفروض المحبة. وغير ذلك فإن الشركة الرهبانية توجب توحيد العادات والملابس.

وحجر الزاوية لحياة الشركة هو القانون، وبواسطته فإن الطاعة تدخل إلى الحياة النسكية إلى درجة أن صارت تعتبر الفضيلة المميزة لها.

ولا ننسى بوجه خاص أن حياة الشركة فتحت الطريق للمرأة لهذه الحياة أما قبل ذلك فتبعاً لتقاليد الكنيسة الأولى كانت العذارى يقمن فى بيت العائلة وكن يُكوّنَ جماعة حرة نسبياً، وإلى مثل تلك الجماعة ترك القديس أنبا أنطونيوس شقيقته قبل أن يقصد الصحراء، وبين وقت وآخر نسمع عن سيدات كن يعشن عيشة توحدية. وهذه الحالة تغيرت عندما كتب القديس أنبا باخوم قانوناً لشقيقته.

وأول دير فى العالم أقامه باخوم: كان فى نية باخوم أن يصير ناسكاً متوحداً فى الصحراء، عندما أفتتح ديراً لحياة الشركة الرهبانية تبعاً لتعليمات ملائكية، حيث يحمى الرهبان من إرادتهم المتزعزعة، ومن التجارب الخارجية وعثرات الحياة الداخلية، ويذكر تلاميذه غالباً قصة ظهور الملاك ليدلوا بأسلوب مقنع على الأصل السمائى لأسلوب الحياة الجديد، وهكذا أعُتبر القديس أنبا باخوم الأب الثاني للرهبنة بجوار القديس أنبا أنطونيوس الذى يعتبر أب الحياة النسكية التوحدية إذ كان أول من إعتنقها، بينما قانون القديس أنبا باخوم صنع منه أول مشرع للرهبان. كما أنه أدخل فى النظام الرهباني التثقيف الذى بدونه لا يتصور هذا النظام، لقد أوحى إليه بصراحة بتكوين تلاميذ لا يبحثون عن (جمال العالم ولكن عن الفضائل)، فالصلاة والعمل والحياة الأدبية والنسك هى مكونات حياة تلاميذه، الذين كانوا يجتمعون كل مساء لأجل أن يستمعوا إلى تعاليم (الكبير).

هذه الحياة التى كان يعيشها – كما يخبرنا التاريخ – فى داخل الأديرة أكثر من ٥٠٠٠ راهب، ورغما عن خشونتها فلم تفرض عليهم واجبات متطرفة.

إن الصفات الرئيسية لقوانين القديس أنبا باخوم هى الواقعية والإعتدال، وهى تقيم حياة توافق القدرات العادية، وقد أختار القديس أنبا باخوم حياة الشركة الرهبانية لأنه أراد أن يجذب بوجه خاص أكبر عدد من النفوس على الإقبال عليها فيؤّمن بذلك للحياة الرهبانية

الدوام إلى أبد الدهر. ولكنه عرف بالتجربة ومبكراً أنه عرض مؤسسته لثقل الجمود الـذى يلازم حياة الجماعة، هذه هى مأساته التى لم تشفق عليه أكثر مما فعلت مع خلفائه ومقلديه، ومع ذلك ففى أثناء رؤيا عن القدر المحفوظ لمؤسساته سمع هذه الكلمات للسيد المسيح الذى ظهر له متوجاً بالشوك (إن سلالتك لن تموت أبداً وستكون مصونة إلى أبد الدهر).

ما لبثت حياة التوحد أن إنتقلت إلى حياة الشركة، نعم كان من بين المتوحدين أبطال النسك، ولكن المعيشة فى الوحدة المطلقة مع الحرمان من الأسعاف ومن النصائح لم تخـل من أخطار كبيرة، وكان ظهور القديس أنبا باخوم هو كموجه أرسلته العناية الإلهية.

كان لديه موهبة المحافظة على هذه الحركة فى هيئة مؤسـسات، ويمكـن إعتبـاره المؤسس للحياة الديرية والمؤلف لأول قانون للحياة الرهبانية. وأصبحت حياة الرهبان بعد ذلك تتبع تنظيما لا يترك شيئاً للإرادة الشخصية، وكـان كل شئ فى القانون موضوعاً مع الأخذ فى الإعتبار للضعف الإنساني سواء من حيث واجبات الصلاة أو العمـل أو التقشف، وأصبحت حياة الراهب اليومية تخضع لجدول خاص، فحديث الرهبنـة يأخـذ دروساً، والراهب يجد معلماً وأبا. وقد ترجم القديس جيروم قانون القديس باخوم حوالى عام ٤٠٤ م إلى اللاتينية عن اليونانية المأخوذة عن الأصل القبطى والتى وُضعت لأجل الرهبان الأجانب الذين لا يعرفون القبطية، فهيأ له بهذه الترجمة رواجاً وإنتشاراً واسعاً، وقد وجد فيه بندكت أساساً لقانونـه. لم يترك القديس باخوم شاردة أو واردة لـلإرادة الشخصية سواء فى الطعام أو الملابس أو حتى الحركات والإشارات. والدير كما نعرفه اليوم بسوره وكنيسته وغرف نومه ومصانعه بيت خلوته والبواب قد تخيلـه القـديس باخوم وتبع مثاله الجميع بعد ذلك فى كل مكان.

أما المظهر الثالث للمؤسسات الرهبانية فى الشرق فهو المعروف بالمنشوبيات وهى تجمع فى نفس الوقت مزايا الحياة التوحدية وحياة الشركـة. فالرهبان الناشئون يهذبون ويثقفون أولاً فى الدير، وكان بجانب الأديرة قلالى متوحدين والذى جرب معيشة الـشركة يستطيع أن يجرب بعد ذلك بإذن من رئيس الدير حياة التوحد، ولكنه يظل تابعاً للـدير ولرئيسه، فلم يكن متوغلا فى الوحدة ومتروكاً لنفسه. وكان هناك أيضاً نوع آخر مـن الرهبان لم يشأوا الإقامة والاستقرار فى أى مكان ولكنهم فضلوا التجول فى هذا العـالم مقلدين السيد المسيح الذى لم يكن له أين يسند رأسه، وكانوا يجعلون من الأديرة محطا لبعض الوقت ثم يمضون فى طريقهم، وكان الرهبان يستقبلونهم بكل إحترام ويغـسلون أرجلهم ويعطونهم طعاماً ومأوى، وكان إنشاء الأديرة يجرى أولاً فى الجهات النائية، ثم

لـــم تلبث بعد ذلـــك أن أقيمت فى المـــدن ثـــم فى العواصم مثل الإسكندرية وأورشليم وإنطاكيا وأخيراً فى القسطنطينية حيث كان للرهبان تأثير قوى. وبعد وقت قصير بدئ فى إختيار الأساقفة من بين رهبان الأديرة.

إنتشـــرت الرهبنة فى الغرب بعد إنتشارها فى الشرق، ويبدو أن البابا أثناسيوس الرسولى هو الذى عرفهم بها فى الغرب أثناء إقامته فى تريف وروما، ثم بواسطة مؤلفـــه عن (حياة أنطونيـــوس)، وأنتشـــرت بسرعـــة عادة الذهـــاب لزيارة آباء البرية، وبعد رجوعهـــم كان الحجاج يقصون ما رأوه ووجدوه فى حماس، وترك لنا روفان الأكويلى أخبار زيارته للرهبان فى الشرق فى كتابه (التاريخ الرهباني).

لم يوجد إذن فى الغرب رهبنة قبل أن يسمعوا أخبارها من مصر، وكان ســـلطان آباء البرية من القوة بحيث لم يكن من السهل أن يلقى أية معارضة أو جـــدال، فـــبلاد الغال (فرنسا) وأسبانيا وإيطاليا وإيرلندا كانت ملأى بالأديرة وكان الجميع يتبـــع فـــى معيشته التنظيم الذى وضعه أنبا أنطونيوس أو أنبا باخوم أو القديس باسيليوس. ويرجع إلى كاسيان من مرسيليا فضل إدخال حكمة الرهبنة وطريقة حياة الرهبنة الشرقية فـــى أديرة الغرب، وقد عاش طويلا فى المراكز الرهبانية فى فلسطين ومصر وقد سجل ما وعاه هناك فى كتابين (المواعظ) و (المعاهد).

وكان هذان الكتابـــان يوجدان فى جميـــع الأديرة كمرجعين يرجع إليهما فى أى خلاف يتعلق بالحياة الروحية أو بتنظيمات الحياة الرهبانية. وكان بندكت يضعهما فوق أى مرجع آخر، وكان يجعل قراءتهما فرضا، وكان يرى فى كاسيان مع باخوم وباسيليوس، معلماً فريداً.

وبجانب المراكز الرهبانية الكبيرة فى الغرب التى كانت مدارة جيداً، كان هنـــاك أديرة صغيرة لا تحتوى على أكثر من راهبين أو ثلاثة يعيشون كما يتراءى لهم، فكانت هناك الحاجة إلى نظام، وكان من الممكن الرجوع إلى آباء البرية كمثل أعلـــى، وقـــد عرف بندكت هذه الإنحرافـــات، فأعلن بكل شجاعة أن بعض الذين يحملون أسم راهب يكذبون على الرب.

الفصل الثانى

الحياة السياسية والدينية فى عصر أنبا باخوم

(٢٨٦-٣٤٦م)

كانت مصر فى عصر الأنبا باخوم مستعمرة رومانية، وكانت المسيحية قد بدأت تتغلغل فى الأوساط المصرية، وكانت الدولة وثنية وقد بدأت منذ عام ٢٠٢م، بتنظيم نوبات من الاضطهاد ضد مسيحى مصر الذين قابلوا الاضطهاد بالتمسك بشده بمسيحيتهم واستشهد منهم الألوف، وكان أكثر هؤلاء الشهداء فى منطقة الدلتا ومصر الوسطى، وكانت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية تغذى هذه المقاومة، وكان أوريجانوس يذهب بنفسه مع تلاميذه من الشهداء إلى حيث يعذبون ويقتلون مشجعاً إياهم وليقبلهم قبلة الوداع. وكان مازال فى مصر العليا بعض الوثنيين ممن لم تصل إليهم دعوة الخلاص، ومن هؤلاء عائلة باخوم، وهى عائلة محافظة تقطن بجوار مدينة إسنا، فتثقف منذ صباه بالعلوم الوثنية وعرف قصص إيزيس وأوزوريس وحورس وهاتور، وعاشر الكهنة فى المعابد الوثنية، وصار ملماً بأداب مصر القديمة، ولكنه منذ صباه لم يظهر حماساً لفروض عبادات مصر القديمة، مما سبب نوعاً من القلق لدى والديه.

وفي أحد الأيام أخذه والداه لزيارة معبد شهير على ضفاف النيل، وبينما هم يقتربون من المذبح ليقدموا ذبيحة للتماسيح تفرس أحد الكهنة في منظر الشاب باخوم وما لبث أن هاج وطرده قائلا (هذا الشاب سيصير عدوا قاسياً لآلهتنا). واضطر والداه إلى الانسحاب في شئ من الخزي. وفى مرة أخرى صب على الأرض كاسا من النبيذ أعد لأجل الذبيحة لأحد الآلهة.

بعد إعلان السلام القسطنطيني عام ٣١١م، كف اضطهاد الدولة للمسيحية ودخلت الكنيسة فى عصر سلام، وهو عصر كان له صعوباته أيضاً فبعد أن كان الخطر يأتى من الخارج أصبح الآن يأتى من الداخل فقد ظهرت البدع التى تهدد الإيمان يأخذ بعضها برقاب البعض مما سبب الكثير من البلبلة فى التقاليد والعقيدة، وكان لابد من ظهور مجاهدين يجعلون من أنفسهم أمثلة حية للفضائل المسيحية وللمحبة جاعلين نصب أعينهم العظة على الجبل للسيد المسيح، فظهرت الرهبنة المسيحية وكانت مصر مهدها.

والرهبنة حركة علمانية لم يكن للكنيسة أى دخل فيها، ولم يكن الرهبان سوى جمهرة من العلمانيين الأنقياء، وكان تركيز الراهب هو على وسائل خلاصه، ولم يرفع

أحد منهم إلا بشكل استثنائي جداً إلى رتبة الكهنوت خدمة لجماعاته، أما عند الباخوميين (فلم يحصل أحد منهم على رتبة كنسية. وكان أبونا باخوم يقول يجب أن تمتنع داخل الأديرة أية دعوة إلى التقدم على الغير، حتى لا ينتج عنها شجار أو حقد أو شقاق بين الإخوة. وكما أن الشرارة التى تسقط على القمح كفيلة بأن تقضي على عمل سنة بكاملها هكذا فإن الفكرة فى أية رتبة كهنوتية قد تُشعل فى القلب الطمع فى أشد صوره وتقضي على السلام الذى يرفرف على الدير).



دير القديس بسنتؤس – إحدى أديرة منطقة نقاده وقمولا. من الأديرة الباخومية

الفصل الثالث

تجنيد باخوم فى الجيش الرومانى ثم اعتناقه المسيحيه

الأنبا باخوم شخصية من أندر الشخصيات التى أبرزتها المسيحية فى القرون المسيحية الأولى فى العالم وهو مثال عظيم للعبقرية قل وجود نظير له، أجمع مؤرخو الرهبنة على أنه كان رئيساً نموذجياً أعطى كثيراً من روحه لأداب الرهبنة، وقد برز فيها طابعه الخاص بتلك النظم والقوانين التى يسرت حياة الشركة الرهبانية داخل الدير، وجعل مستوي الفضائل فيها بحيث يسهل على الجميع أن يرقوا إليها إن لم يتعدوها. كان مثالاً للرزانة والحكمة والحماس والمحبة والمثابرة. وبالرغم من أنه كان معاصراً للدعوة إلى النسك عندما كانت فى أوج فورانها فقد استطاع أن يوجد الحياة فى الدير كما يجب أن تكون. وإنه لممّا يدعو إلى العجب أن نرى كيف أمكنه منذ بدء دعوته إلى حياة الشركة الرهبانية أن ينظم تلك الحياة تنظيماً تاماً لجموع زاخرة من الرهبان وعلى الأخص توزيع العمل، مما يصعب علينا أن نعزوه إلى عبقريته الإدارية فقط. ومما يزيد فى دهشتنا أن يقوم بذلك العمل رجل اشتهر بدماثة أخلاقه ولين طباعه وتميزت حياته بالهدوء والوداعة. تتلمذ على الأنبا بلامون فأدرك بذلك الشدائد التى يتحملها قلب باسل اختار الدير، ولذلك عرف كيف ينزل إلى مستوى الفضائل العادية التى فى حدود قدرة الإنسان العادى ويتفهم ضعفات أبنائه الرهبان فكان الرجل الإنسان بكل معني الكلمة، وكانت له موهبة التسامح والصبر مع التأنى وأخيراً التدخل للإصلاح فى الوقت المناسب. أو هى كما يقول عنها كاسيان (موهبة توجيه النفوس).

ولد باخوم من أبوين وثنيين فى مدينة (Chenoboskion) كينوبوسكيون وهي الآن قصر الصياد بمركز دشنا محافظة قنا بين عامي (٢٨٥-٢٩٠م)، وبعد أن تثقف بثقافة قدماء المصريين كما بينا بما فيها من حكم ونصائح جند من قبل الرومانيين ليشترك في الحرب التى كانت قائمة بين الإمبراطور قسطنطين والقيصر مكسيميان دايا. وأثناء سفر كتيبته بحراً كانت المحطة الأولى مدينة أسنا، وهناك استقبلوهم بالترحاب وقدموا لهم المأكل والإيواء فترة رسو المركب، وسأل باخوم، الدقيق الحس. عمن يكونون هؤلاء المستقبلون فعلم أنهم المسيحيون الذين سامهم الوثنيون العذاب واضطهدوهم سنين طويلة وكان ردهم على ذلك أعمال المحبة هذه كما يأمرهم دينهم. تحركت نفسه الرقيقة فنذر عندما يتخلص من عبء الجندية أن يهب نفسه هو أيضاً فى خدمة الأخرين. عندما وصلوا المرسى التالي فى بلدة انطينوى (الشيخ عبادة الآن) كان

مكسيميان قد قُتل ووضعت الحرب أوزارها وسُرح باخوم من الجيش، وكانت حياته فى الجيش هذه التى استمرت ثلاث سنوات لمثل هذه العبقرية ذات أثر بعيد فى حياته المستقبلة وفى قيادة النفوس كما سنرى.

ذهب جنوباً حتى وصل إلى كينوبوسكيون، وعوضا عن الذهاب إلى بيت العائلة ذهب بدون أن يخبر أحداً ليعيش فى بقايا معبد قديم لسرابيس حيث زرع بعض الخضروات ومكث هناك على ضفاف النيل ثلاث سنوات يتعلم أصول الدين المسيحى وتقبل سر العماد فى كنيسة الناحية.

وكان هذا السر لنفسه مصدر نعم كثيرة، ففى الليلة التالية رأى يده تمتلىء بماء يتحول إلى عسل وسمع صوتاً يحدثه بوضوح (احتفظ بهذا العسل يا ابنى أنها صورة باهتة للنعمة أعطاها لك الرب)، وكان لذلك أثر كبير فى نفسه وقلبه الكبير.

وفى أحد الأيام علم أنه يوجد شيخ يدعى بلامون وكان يخدم الرب فى الصحراء فى قداسة عظيمة. فوجد ميلا فى نفسه للذهاب إليه وإنشاء علاقة معه.

استقبله بلامون استقبالاً سيئاً، وقال له باخوم (لقد أرسلني الرب إليك لأكون ناسكا). فرد عليه بأن ذلك مطلب صعب وأن كثيرين غيره حاولوا ولم يثابروا، ورد باخوم قائلا بأن قدرات الناس ليست متساوية وطلب أن يجربه. وقال له بلامون إن الحياة معى شاقة وصعبة فإن طعامي الخبز والملح ولا أتناول الزيت أو النبيذ إطلاقا، وأهب للصلاة وتلاوة المزامير في نصف الليل، وفى بعض الأحيان الليل بطوله، وزادت تلك الأقوال فى رغبة باخوم وأخبره بكل بساطة أنه يقبل هذه الحياة.

فحدق بلامون فيه بنظرة فاحصة لهذا الشاب الذى يبلغ الثالثة والعشرين وكأنها أجراً أو مكافأة لإيمانه الحى. ومكثا معاً فى التقشف والصلاة يجدلان الحصر ويعملان بأيديهما على مثال القديس بولس، ليس فقط لأجل أن يشغلا وقتهما، ولكن أيضاً لأجل أن يتكسبا ما يمكنهما من توزيع صدقات للفقراء الذين كانوا يفدون إليهما. هل يسهران أيضاً معاً؟ كان بلامون إذا رأى أن باخوم على وشك أن يستسلم للنوم وضع فى يديه كيساً كبيراً فارغاً وأمره بملئه من الرمال إلى حافته، ثم يذهب ليفرغه فى مكان آخر، وكان يعوده بذلك على أن يترك الراحة، وكان يقول له (إعمل بحزم يا باخوم خوفاً من أن يأتى العدو ويجعل كل أعمالك تذهب هباء)، وكان باخوم يطيع كل حرف يقال له ويملأ بذلك الشيخ سروراً.

وفى ليلة عيد القيامة نادى بلامون تلميذه قائلا (بما أن باكراً هو أكبر عيد فى السنة يجب يا أخى أن نعد لنا شيئاً غير عادى كطعام). وإطاعة لأمره زاد باخوم عن الطعام العادى اليومى والمكون من الخبز والملح والخضار غير المطبوخ قليلا من الزيت كنوع من الترفيه، وبعد أن أعد كل شئ قال لبلامون (تقدم يا أبى لقد أعددت لك كل شئ كما ترغب)، وبعد الصلاة تقدم بلامون وألقى نظرة على المائدة، فربت بيده على جبهته وهو يبكى قائلا (كيف أطيع شهوتي وأتناول زيتاً مع أن سيدى قبل أن يموت على الصليب شرب خلا)، ولم تفلح محاولة تلميذه فى أن تجعله يحيى عيد القيامة بهذه الكمية الصغيرة، فجلس كل منهما يتناول خبزا وملحاً.

واستمر باخوم فى زيادة أعمال التوبة شدة فأطال صلواته وتعمق فى دراسة الكتاب المقدس، وكان مثالا كاملا للتواضع والصبر والمحبة. وكان بلامون – دون أن يظهر له ذلك – كان ينظر بفخر مقدس لذلك التلميذ الذى يدعو إلى الإعجاب، والذى أرسله له الرب فى غروب حياته ليضئ أيامه الإخيرة، ولم يشك مطلقاً فى المستقبل العظيم الذى كان ينتظر شريكه الشاب، والذى كان سيتركه بعد قليل ويصير أبا لشعب كبير من القديسين، وقد قربت هذه الساعة.

ففي أحد الأيام وبينما كان باخوم يتوغل فى مكان قفر يسمي طابنيس (أى نخيل إيزيس)، يقع على الضفه اليمني للنيل أمام بلدة دندرة فى المكان الذى يتجه فيه النيل إلى الغرب. وبينما هو فى تأملاته هناك إذا بصوت يناديه ويتلفت فيجد ملاكاً مضيئاً يقول له (إسكن فى هذا المكان يا باخوم فإن الرب يريد أن تقيم فيه ديراً، وسيأتي إليك تلاميذ من جميع الأنحاء يضعون أنفسهم تحت إرشادك، وسأعطيك أنا القانون الذى يجب عليهم أن يتبعوه). ثم أعطى للقديس لوحة منقوشا عليها قانون دير المستقبل وقد حوفظ عليها فيه طوال وجوده. وذلك بعد أن مكث مع بلامون سبع سنوات.

وفيما يلى سنترجم ما ترجمه L.TH.Lefort الأستاذ بجامعة لوفان Leuven فى بلجيكا عن المخطوطات القبطية، الذى يعتبر مع Ladeuze من أعظم الدارسين فى حياة أنبا باخوم.

أقام باخوم فى طابنيس حيث تبعه أخوه الأكبر يوحنا الذى جاء ليبحث عنه.

.... وفى إحدي المرات كان باخوم وشقيقه فى إحدى الجزر مشغولين بالحصاد بجوار طابنيس تلك القرية المهجورة التى كانا يعيشان فيها كمتوحدين وعند المساء وبعد أن

أنجزا صلاتهما العادية كان باخوم يجلس وحيداً بعيداً قليلا عن أخيه، وكان يبدو عليه الحزن ويشعر بضيق إذ كان يتوق إلى معرفة إرادة الرب. كانت الدنيا ظلاما وإذا به يرى أمامه شخصاً مضيئاً يقول له (لماذا أنت حزين وقلبك فى ضيق؟) فأجاب (إنى أبحث عن إرادة الله) وقال له الشخص (هل تريد حقيقة إرادة الله؟) فأجاب باخوم (نعم)، وعقب الشخص (إن إرادة الله أن تضع نفسك في خدمة الآخرين لأجل أن تصالحهم معه). وقال باخوم وقد أوشك أن يغضب (إنى أبحث عن إرادة الله وأنت تقول لى أن أخدم الآخرين!)، فأجابه الشخص مكرراً ثلاث مرات (إن إرادة الله أن تضع نفسك فى خدمة الآخرين لأجل أن تدعوهم إلى الذهاب إليه). واختفى الشخص بعد ذلك.

عند ذلك تذكر باخوم العهد الذى قطعه على نفسه عندما جند، وهرع المواطنون لنجدته، وقد عاهد الرب بقوله (يارب إذا كنت بمعونتك أتخلص من الهلاك الذى أتعرض له أضع نفسي فى خدمة الآخرين لمجد اسمك)، واعتقد أن هذا العهد كان حقاً إلهاما من الروح القدس، إذ أنه يتفق مع لغة الشخص النورانى الذي تحادث معه، ولكن عندما سأله أخوه الذى لم يكن بعيداً عنه مع من كان يتحدث – إذ لم ير مع من كان يتحدث باخوم، أجاب أخاه وقد أراد أن يخفى عنه ذلك الحادث (لا يوجد أحد).

إذا تعمقنا فى فهم ما سبق فإننا نتبين مسألة تفرض نفسها وهى: أيهما يفوق الآخر فى نظامى النسك، نظام التوحد أم نظام الشركة.

وهذا ما كان يثار كثيراً فى المصادر الرهبانية لذلك العهد، فباخوم المتوحد المنطوى على نفسه لا يشغله سوى خلاص نفسه، وأما باخوم الراهب فى الشركة الرهبانية، فى خدمة الآخرين يكون قد وضع نفسه فى خدمة مسيحية حقا، إذ يكون قد وضع محبته للرب فى خدمة القريب، وهو ما يقوله باخوم فى إحدي كتاباته مرتكزاً على الكتاب المقدس: تقوم محبة الرب على أن يهتم الإنسان بالآخرين. ويكتب الباخوميون فى رأس سيرة باخوم أن حديث الملاك كان يحمل فى طياته بشكل غير محسوس تفضيله لرسالة نظام الشركة الرهبانية.

وبعد الرؤيا التى كشفت له أن عليه أن يعمل فى نفوس الآخرين لأجل أن يعدهم كقديسين – وكانت تلك فى الحقيقة إرادة الله التى كان قد طلب معرفتها – فقد قام باخوم وشقيقه بتوسعة مسكنهما بطريقة تجعله ديراً صغيراً بما أن الرسالة كانت أن يقبل إليه كل من قصده ليعيش بجانبه حياة النسك.

وعندما كانا مشغولين ببناء سور الدير نشأ خلاف بسيط بينهما فتركه أخوه فى غضب قائلا (كفى طيشا!)، وعند سماعه هذه الكلمات اضطرب قلبه... هذه الكلمة

البسيطه قد أثرت فى مزاج باخوم وسببت له أسفاً عميقاً فقال فى نفسه (إنى لست بعد أمينا، وإنى مازلت بعيداً عن الرب الذى قد وعدته بأن أفعل مشيئته)، وعندما أتى المساء نزل فى مقبرة مهجورة فى القرية كان يسكن فيها ووقف على قالب من الطوب ورفع يديه نحو الرب وهو يبكى طوال الليل إلى الصباح قائلاً "يارب أسرع وأعني، وأزل عنى هذه الفكرة التى تأتي من الجسد، خلصنى من غضبى حتى إذا صفعت على وجهى. هل أنا أفضل من سيدى ابنك الحبيب الذى تجسد لخلاصنا نحن الخطاة؟ الذى لم يرد الشتيمة وإذ تألم لم يكن يهدد، ومن باب أولى ألا استحق أنا الخاطئ أن أحقر أكثر منه سبع مرات! لقد كان هو إلها بدون خطية تألم لأجلنا، وأنا الترابى صنع يديك لماذا لا أتألم دون مرارة؟". هكذا كان يصرخ نحو الرب طوال الليل إلى حد أن قالب الطوب الذى كان واقفا عليه ذاب تحت قدميه من أثر العرق الذي كان يتساقط من جسده على الأرض وكان هذا المكان أيضا حاراً جداً وكان الوقت صيفاً، وعندما أتى الصباح وانتهت صلاته استأنف هو وأخوه بناء ديرهما.

وبعد بضعة أيام من هذا الحادث أسمعه أخوه أيضاً كلمة أخرى اضطرب قلبه عند سماعها.... وتغير مزاجه كالمرة الأولى وأمضى طوال الليل يصلى إلى حد أن قالب الطوب الذى كان يقف عليه تحول إلى قالب من الطين تحت قدميه. ومنذ ذلك اليوم لم يغضب مطلقاً بتأثير الأفكار التى تأتي من الجسد إذ قد استجاب الرب لصلاته. لقد قال يعقوب الرسول فى رسالته (كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار). وفى الإنجيل يوجه السيد له المجد النداء إلى جميع الذين يحبونه (اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له)، ويقول القديس يوحنا فى رسالته الأولى موجها كلامه إلى جميع المؤمنين (وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا). وعندما استجاب الرب لصلاته وجد نفسه مطيعاً لنصيحة داود الذي يقول (كف عن الغضب واترك السخط). إذ أنه منذ ذلك اليوم لم يغضب مطلقاً كما يفعل أولئك الذين يحيون حسب الجسد، وإذا حدث ما يوجب الضيق أو الغضب إنما كان بطريقة القديسين كما فى رسالة أفسس (اغضبوا ولا تخطئوا، لا تغرب الشمس على غيظكم). وفوق ذلك كان يطلب بحرارة من الرب أن يعطيه ليكمل الأقوال والنصائح الأخرى التى توجد فى الكتب المقدسة.

الفصل الرابع

ضعف أمل أنبا باخوم فى باكورة المنضمين إليه

تنيح يوحنا شقيق باخوم، وبدأ يفد إليه منضمون فرادى من القرى المحيطة، وكانوا يبنون لأنفسهم مساكن بجوار الدير الذى إلتجأ إليه، وكانوا يحبون حياة النسك التوحدى، وكونوا بذلك جماعة صغيرة.

وعندما وجد أن الإخوة يتجمعون حوله وضع لهم النظام الآتى: كل واحد يكفى نفسه كما يجب أن يعمل، وأن يجعلوا لهم صندوقاً مشتركاً لأجل كل ما يتعلق بحياتهم المادية مثل الطعام أو استقبال الضيوف الذين يفدون إليهم – إذ كانوا يتناولون طعامهم معاً – ويعهدون إليه فى التصرف فى كل ما يملكون بمحض رغبتهم، كما يعهدون إليه بالعناية بكل احتياجاتهم إذ من المُسَلّم به أنه محل ثقتهم وأبوهم بعد الله.

والقانون الذى وضعه لهم كان يأخذ فى الاعتبار ضعفاتهم وفقاً لكلمة بولس الرسول (صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء)، وفى الرسالة إلى أهل كورنثوس (سقيتكم لبنا لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون). بهذا الشكل بدأ لأنه كان يعلم أنهم لم يكونوا بعد مستعدين لأن ينضموا إلى بعضهم البعض فى هذه الجماعة المثالية، والمكتوب فى سفر الأعمال خاصا بالمؤمنين (وكان لجهمور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد أن يقول شيئاً من أمواله له).

وكان أبونا باخوم يطعمهم بقدر المستطاع وفقاً للمكتوب (إن أبا عادلاً يطعم جيداً). وكان ما يتسلمه منهم وفقاً للقانون الذي ذكرناه يتصرف فيه بدقة وفق اتفاقهم. فإذا أحضروا إليه سمكا أو موادا تموينية أخرى أخذها وطهاها لهم وعندما ينتهى من تحضيرها لهم يجلس، وهو الذى يمكن أن يكون قد صام عن الطعام لمدة يومين يضع على يده قليلا من الملح وعليه خبزه. وهكذا كانت علاقتة بهم فى جميع الأوقات، يخدمهم طبقا للعهد الذى عاهد به الرب. لقد قال بولس الرسول (فإنى إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين).

ولكن قلوبهم لم تكن متجة بإخلاص نحو الرب، فعندما رأوا تواضعه وتنازلاته كانوا يعاملونه بكبرياء وبتحد، وفى جميع الأحوال إذا بدا له أن يتخذوا قرار لأجل تنظيم أعمالهم عارضوه قائلين إنهم لن يطيعوه، أما هو فكان بعيداً عن أن يجيبهم بالمثل

وكان يتحملهم بصبر كبيــر وكان يقــول (سيرون صبرى وتعبى وسيأتون إلى الرب، سيندمون وسيخافون الرب)، وكان موقفه هذا نابعاً أيضاً من قول بولس الرسول (وعبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات، مؤدباً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق، فيستفيقوا مــن فــخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته).

وفى أحــد الأيــام، فى وقت الحصاد، ذهبــوا فى جماعة لأجل أن يعملوا كأجراء للحصــاد، وفى موعد تناول الطعام وضع الطعام على ظهر حمار ليحمله إليهم، وعند وصوله إليهم أعده وأكلوا، وعندما إنتهوا من العمل مساء ركب بعضهم على الحمــار للتسلية بينما كان البعض الآخر وراءهم وهم يصرخون (يا خادمنا إجمع أنت الأوانــى وإرجعها إلي الدير محمولة على ظهرك!)، وفعلا جمع الأوانى الفارغة وحملهــا إلــى الدير وهو حزين ويتنهد. ولم يكن حزيناً لما يسببون له من متاعب ولكن لأنهم كــانوا يثابرون على قلة حيائهم.

تحمل أعمالهم الشريرة والطائشة هذه ليس لمدة عام أو اثنين ولكــن لأربعــة أو خمسة أعوام. وعندما رأى أن صبره وطول أناته لم يهديانهم إلى الــرب، ذهــب فــى إحدى الليالى وحيداً بعيداً وأمضى طوال الليل واقفاً يصلى، وقلبه فى غم وكدر لأنهم لم يخافوا الرب فى العمل الذى أخذ على عاتقه القيام به معهم فى صبر. وفــى صــلاته تضرع إلى الرب بهذه الأقوال:

❖ "أيها السيد الرب القوى، الرب المبارك، الآب المبارك فى الإبن، والإبن المبارك فى الأب، وفى الروح القدس مبارك، أنت الذى تملأ كل مكان بقوة إلوهيتــك، الــذى لا يخفى عليه شئ، إذ أن الكون وجد بكلمة منك وخلق بنفخة من شفتيك".

❖ "قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك، أنت الذى تجلس فى السموات على الشاروبيم والسيرافيم، أنت الذى لا يــستطيع أى شــخص أن يباركك أو يمجدك كما يجب لعظمتك ولطبيعتك لأنك غير منظور وغير مدرك....".

❖ "أيها السيد الرب المبارك الذى لا يستطيع أحد أن ينطق بقوة ألوهيتك، إذ أننا تــراب ومخلوقات خلقتها من العدم إلى الوجود".

❖ "أنت وإبنــك الحبيب وروحك القــدوس واحد، كما هو مكتوب (مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح)".

❖ "الاله القدوس، يا ذا الجلال، الحى، الطويل الأناة، الجزيل التحنن الغفور".

❖ "السيد الرب، الصديق والعادل والقاضي العادل، الكثير الرحمة".

❖ "السيد الـــرب، القـــوى بين الأقويـــاء والعظيم والمرهوب، والصانع ملائكته رياحا وخدامه لهيب نار".

❖ "السيد الرب المبارك، الذى خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى، والملائكة، ولكل رياسة وسلطان وقوة وسيادات وعروشاً وسلاطين".

❖ "السيد الرب المبارك الذى خلق السماء والأرض وكل ما فيها، أنت الذى من التراب صنعت إنساناً بيديك كصورتك وشبهك، أنت الذى خلقت الرجل والمرأة، أنت الـــذى نفخت فى وجهه نسمة الحياة التى جعلت منه شخصا حياً وناطقاً على الأرض حتـــى يسمع صوتك ويحفظ أحكامك ويصنع مشيئتك ويباركك جميع أيام حياته".

❖ "السيد الرب المبارك الذى أعطى للإنسان حرية تدبير أموره ليكون اختيـــاره كمـــا يتراءى له، والضمير والقدرة على التمييز بين الشر والخير".

❖ "السيد الرب المبارك الذى أعطيت للإنســـان الذى خلقتـــه الحكمة والـــذكاء والعلـــم والبراعة".

❖ "السيد الرب المبارك الذي صنع من دم واحد كل أمة من الناس الذين يسكنون علـــى كل وجه الأرض".

❖ "السيد الرب المبارك يا من أخضعت للإنسان الذى خلقته طيور السماء وسمك البحر والبهائم وجميع الدبابات التى تدب على الأرض وجعلته يتسلط عليها".

❖ "السيد الرب المبارك الذى صنع الإنصاب والعقم كما علمتنا في الكتب المقدسة".

❖ "السيد الرب المبارك الذى يخلقنا فى بطون أمهاتنا ويخرجنا من الأرحام".

❖ "السيد الرب المبارك صانع نمونا والذى يطعمنا منذ الطفولة إلى الشيخوخة".

❖ "السيد الرب المبارك الذى بمسرتك تعطينا الخبز لنأكل والماء لنشرب والملابس".

❖ "السيد الرب المبارك الذى يعطينا نعماً كثيرة ومتنوعة، تأتينا مـــن زرع الأرض ومـــن أشجار الفاكهة، ومن الحيوانات والطيور، من البحر ومن الأنهار ومن غيوم السماء".

❖ "السيد الرب المبارك، الذى تبادر إلى جميع الذين يبكرون إليك والذين يبحثون عنـــك ويحفظون وصاياك فى كل شئ بقلب حازم يمتلئون بكل ثمار عدل روحك القدوس".

❖ "السيد الرب المبارك الذى أرسلت إلي عالمنا هذا كلمتك القدوس، الحق والحياة، النور الحقيقى، الذى هو صورة الله غير المنظور، سيدنا ابنك الحبيب القدوس يسوع المسيح، الذى مات لأجلنا وقام من الأموات لأجل أن يقيمنا من خطايانا وأخطائنا التى جعلتنا أمواتاً، والذى أعطانا الحياة الأبدية وبدون فساد التى وعدنا إياها".

❖ "أيها الرب المبارك (وهنا توجد أربع صفحات من المخطوطة مفقودة، وكان فيها آخر صلاة القديس باخوم، وبدون شك ذكر مصاعب أخرى أيضاً جعلته يخاطب رفقاءه بالحديث الذى سنقرأه له فيما بعد":

"...... لذلك قلت لكم سابقاً حتى تتوبوا وتعودوا إلى الرب الذى خلقكم قبل أن تعرفوه. ولكن الآن عندما يدعونكم للصلاة يجب أن تأتوا جميعكم ولا تتجهوا إلى مكانى كما تفعلون يومياً (وهنا تنقص بضع كلمات) كذلك عندما يدعونكم للطعام تأتون معاً دون أن تسلكوا كما كنتم تفعلون كل يوم، وإذا كنتم تنفذون معاً عملاً يختص باحتياجاتنا تذهبون جميعاً معاً، ودون اللامبالاة التى كنتم تظهرونها إلى هذا اليوم. والآن إذا كنتم تنوون مخالفة التعليمات التى أعطيتكم إياها، فأنتم أحرار! – للرب الأرض وملؤها وإذا أردتم أن تذهبوا إلى مكان آخر إفعلوا ما تشاؤون، إذ فيما يتعلق بى لن أمنعكم مطلقاً إذا لم تطيعوا جميع التعليمات التى أعطيتها لكم".

وعندما أنتهى من هذا الحديث نظر كل منهم إلى الآخر باستهزاء وضحك ولسان حالهم يقول (ماذا لدى باخوم أيضاً اليوم بهذه اللهجة الحادة؟ لن نطيعه أبداً إذا إتخذ هذه اللهجة الحادة! (وتركوه كمن لا يعنيهم شأنه! وجعلوا ثقتهم فى قوة أجسامهم، إذ كانوا شباباً أقوياء).

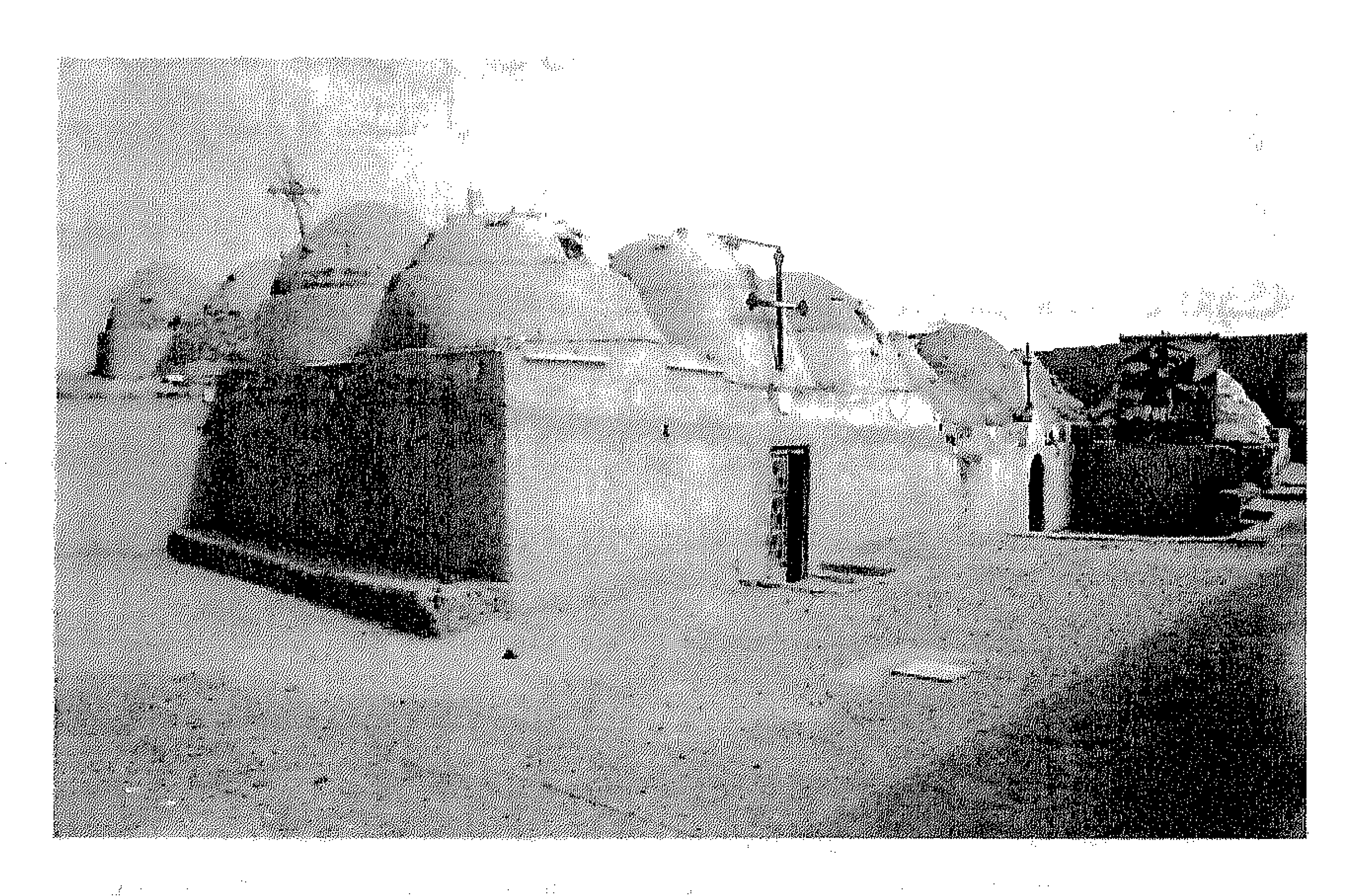
وبعد أن كانوا حتى الآن يذهبون فرادى عندما كانوا ينادونهم للصلاة لم يذهب هذه المرة أى منهم، إذ كانوا قد أتفقوا على (أن يفعلوا كذلك ليروا ماذا يستطيع أن يفعل).

عندما رآهم مجردين من خوف الله، مستجبرين ومتكبرين، ومتظاهرين بعدم إطاعة الذى كان يخاطبهم والذى كان يتكل على الروح القدس الذى فيه، ويؤمن بما كان يحدثه به الصوت الداخلى، قام وبدون عصا أو سلاح حرب – بل كان يحمل فى يده مزلاج باب – وطردهم جميعاً من الدير. وفروا كما لو كانت هناك جموع فى اقتفاء أثرهم أو نار فى أعقابهم! إذ لم يكن طردهم من هذا المكان من عمل إنسان ولكن من الرب، حسب قول داود النبى (يقوم الله يتبدد أعداؤه)، ولم يتبدد فقط الأعداء ولكنهم

تعرضوا أيضاً للضرب مثل العبيد! لأن هذا الرجل الذى كان متحداً بروح الله صار كما يقول بولس الرسول (وأما من التصق بالرب فهو روح واحد)، وقال أيضاً داود النبى فى هذا المجال (لأنك ضربت كل أعدائى).

وأما هم فقد قادهم عمل قلوبهم إلي أسقف كرسى (هو) ويدعى سرابيون يتهمون الأنبا باخوم قائلين (لقد طردنا باخوم من الدير). ولكن الأسقف الذى تأملهم جيداً ورأى عددهم وقوتهم قال لهم (أنكم رجال أشداء، لذلك فقد فرض عليكم باخوم تقشفاً لأجل أن يروضكم، فإذا كان قد طردكم الآن من الدير فإن ذلك ليس عمله بل عمل الرب، ومن المؤكد أنه قد لجأ إلى ذلك لما ارتكبتم من أعمال شريرة. أما الصالحون....).

هذه الصورة الحقيقية والحية لباكورة المنضمين إلى القديس الأنبا باخوم والصعاب التى قابلها فى تكوين الشركة الرهبانية، صدم بها فى الأواخر كتاب سيرة القديس، ولذلك حاول كتّاب السيرة باليونانية أن يختصروا فى ذكرها إلى درجة تعذر فهمها. ولكن قام L.TH.Lefort الأستاذ بجامعة لوفان Leuven فى بلجيكا وأحد علماء القبطيات المتخصص فى الديرية الباخومية بمعارضة هذا الاختصار المخل، وعمد إلى النصوص القبطية فى مخطوطات تاريخ الديرية الباخومية وترجم منها.



دير الملاك ميخائيل – إحدى أديرة منطقة نقاده وقمولا. من الأديرة الباخومية

الفصل الخامس

تنظيم أديرة الرجال

بترتيب صادر من العناية الإلهية قصده ثلاثة رجال بسنتائيزى، وسوروس وبسوى وأخبروه برغبتهم فى الدخول فى الرهبنة معه لخدمة السيد المسيح. فسألهم إذا كانوا قادرين على أن ينفصلوا عن أهاليهم وأن يتبعوا المخلص، واختبرهم، وعندما ثبت له أن نواياهم كانت طيبة أعطاهم الملابس الرهبانية، ورحب بهم بجواره بعواطف السرور ومحبة الرب – وهذا الأجراء مطابق لقانون باخوم – وأما هم فبمجرد دخولهم فى المجمع المقدس انطلقوا إلى الاختبارات الكبيرة وإلي فروض النسك الكثيرة.

وقد تبينوا أن باخوم يشقي بنفسه لحاجات الدير، فيزرع الخضروات، ويقوم بأعمال المطبخ، وهو الذى يجيب كل طارق بالباب، كما يعنى بالمريض إلى أن يبرأ. وكان يقول فى نفسه أن هؤلاء الثلاثة مازالوا مستجدين وليسوا فى حالة تسمح لهم بخدمة الآخرين. فكان لا يوكل إليهم بأى عمل قائلاً لهم (اجتهدوا لأجل خلاصكم، أن تتمسكوا بالحياة التى إليها دعيتم). فيقولون له (نحن حزانى يا أبانا، إذ نراك تتعب وحدك فى الدير). ويقول لهم (أى رجل بعد أن يربط بهيمته فى الساقية ينساها إلى أن تسقط وتموت؟ ففيما يخصني مثلا إذا رأى الرب إنى تعبت فسيرسل لنا آخرين ليساعدونا بأعمال طيبة). ووضع لهم، مستوحياً من الكتاب المقدس، قوانين ودستوراً لا يسبب لهم أى حجر عثرة ويضع تقاليد مفيدة لنفوسهم، ومساواة مطلقة أيضاً فى ملابسهم واللياقة فى نومهم.

وهنا نود أن نوضح أن قوانين الأنبا باخوم لرهبانه حفظت لنا بشكل إجمالى بترجمة لاتينية قام بها القديس جيروم عام ٤٠٤م منقولة من الترجمة اليونانية التى أخذت من الأصل القبطى الذي يفترض أنه قد تُرجم إلى اليونانية فى زمن مبكر لأجل الباخوميين الذين كانوا يجهلون القبطية (انظر بحث ليفور L.TH.Lefort بعنوان Regledaint Paeome فى مجلة Le Museon، المجلد ٣٤، الصادر عام ١٩٢١).

أما الأصل القبطى فلم يصلنا منه سوى مخطوطين يتقابلان مع ربع نصوص القديس جيروم، أما الترجمة اليونانية فقد وصل إلينا خلاصات تساوى ثُلث النص اللاتينى.

وقد قام (ليفور Lefort وبونيه Boonet) بطبع هذه النصوص الثمينة كما قام L.TH. Lefort بإكمال أحد النصين القبطيين. وبمقارنة ترجمة القديس جيروم نراها متوافقه مع النصوص القبطية.

لما وجد القديس باخوم أن كثيرين أتوا للسكن فى هذه القرية، قام مع الإخوة ببناء كنيسة لأجل إتاحة الفرصة لهم للتنـــاول، وكان هنـــاك سكان فى ضواحى ذلك المكان. وكان هو الذى يحضر لهم القربان إذ كانوا فقراء جداً وكان يذهب يوم السبت بمصاحبة إخوته ليتناولوا، وكان يقوم أيضاً بوظيفة القارئ.

وعندما وصل عدد الإخوة إلى المائة بنى كنيسة داخل الدير لأجل أن يمجدوا فيها الرب، ومع ذلك كان يذهب أيضاً إلى القرية مساء السبت ليحضر رفع القربان، ولكـــن كان الكاهن يحضر إلى الدير صباح الأحد لإقامة القداس. ولم يكن بين الإخوة أحد من حاملي إحدي رتب الكهنوت، إذ أن أبانا باخوم كان لا يرغب فى وجود كهنة فى أديرته ليضع حدا للغيرة. وكان كثيراً ما يقول لهم في هذا الصدد (أنه من المستحسن ألا نبحث شيئاً مثل هذا في جماعتنا خوفاً من عدو الرهبان، فإن العراك والحسد والغيرة تتـــداخل بينهم، وهذا لا يرضى الرب، إذ تنتهي إلى انشقاق وذلك كمن يرمى على بيـــدر فحمـــا ملتهباً فإذا لم يسرع بإطفائه فإنه يدمر تعب سنة بأكملها، كذلك ينتج من فكرة العظمـــة. من الأفضل أن نخضع فى احترام للكنيسة، وأن نقنع بمن نجده فى وقته ويكون مرسلا من أبائنا الأساقفة).

وكان إذا أتى إليه حامل لأحدى الرتب الكهنوتيـــة راغباً فى دخول الرهبنة ورأي فيه الاستعداد لذلك، قبله وأدخله إلى الرهبنة، ولكن مع احترام درجته الكهنوتية فقد كان يلزمه بالمحافظة على القوانين التى وضعها للأخوة.

وقد اختار البعض من بين القادرين على ذلك من الإخوة، لأجل مساعدته علـــى حفظ سلامهم الروحى. ومما يظهر عبقرية الأنبا باخوم فى التنظيم ذلك المكـــان الهـــام الذى كان يشغله العمل اليدوى فى نظامه النسكى، وقد لفت ذلك أنظار القديس جيـــروم بصفة خاصة بدرجة أنه ذكره فى مقدمة ترجمته للقوانين الباخومية. وقد قـــسَّم بـــاخوم الرهبان إلى بيوت، ويقول أن كل بيت يضم الرهبان ذوى الصنعه الواحـــدة. ويـــذكر النساجين، والذين يجدلون الحصر، والترزيين، والنجارين، وصانعى اللبـــاد وصـــانعى الأحذية، وتذكر القوانين البوابين والعاملين فى النزل والخبازين والطباخين والبـــستانيين والقائمين بأعمال الفلاحة، وصانعى السلال، ورعاة البقر، والنوتية، والممرضين.

وكان يسكن فى كل قلاية ثلاثة رهبان، وكل إثنتى عشرة قلاية تكوّن بيتا، وكـــل أربعة بيوت تكوّن قبيلة، وكل عشرة قبائل تكون ديراً. ويدير مجموع الأديـــرة رئـــيس أعلى، وطبعاً كان ذلك الرئيس هو باخوم إلى حين نياحته ثم تيودور تلميذه. وكان لكل

دير رئيس أو مدبر (هيغومينوس). ولكل بيت مُعلم ومعه (مساعد). وقد وضع على رأس أول بيت، وهو بيت صغار المدبرين، رئيساً ومعه مساعد ليساعده على العناية بغرفة طعامهم وعلى القيام بأعمال المطبخ، ثم رئيساً آخر مع مساعده ممن يثق فيهم كثيراً لأجل إعداد طعام المرضي والعناية بهم. وأذا أراد أحد الرهبان الامتناع عن تناول الطعام الموضوع على المائدة كان يتم ذلك بطريقتين: إما أن يأخذ جزءاً فقط من طعام المائدة، أو دون أن يدخل غرفة الطعام يأخذ خبزاً وملحاً ويجلس في قلايته – كذلك عين آخرين ممن لهم موهبة كيفية استقبال الغير والتحدث إليه لشئون باب الدير، وكان عليهم أن يستقبلوا الضيوف كلا حسب رتبته، على أن يظهروا شيئاً من العناية لرجال الكهنوت وللسيدات. وينص القانون على إدخال السيدات إلى فندق الدير إذا حضرن مساء، إذ تعتبر جريمة تركهن خارج الدير، على أن يكن بعيدات عن أى اختلاط بالرجال. كذلك كان على القائمين بشئون البوابة أن يلقنوا من يتقدمون للدخول إلى الرهبنة وسائل الخلاص إلى وقت إعطائهم ملابس الرهبنة. وانتقي رهبانا من أهل الثقه فى درجة عالية من الورع والتقي لأجل عملية المشتروات والبيع. ويتغير الرهبان الذين يقومون بالخدمات كل ثلاثة أسابيع، وينفذون فى خوف وتواضع الواجب الذى يكلفهم به رئيس البيت، وهذه الكلمات تعبر تماماً عن الشعور الذى يجب أن يدفع الرهبان ذوى الغيرة فى عملهم. ويمتلئ القانون بالتعليمات الدقيقه والتوجيهات التى تهدف إلى جعل الرهبان تحت رقابة دقيقة من نفوسهم، وتابعين فى أقل التحركات لرؤساء البيوت أو رؤساء آخرين الذين لهم السلطة فى أن يقابلوا بكل حزم أقل الهفوات وعدم العناية باشخاصهم وسوء تنفيذ أعمالهم. كذلك عين آخرين أيضاً من رؤساء البيوت و مساعديهم لأجل تنفيذ أعمال المصانع فى طاعة تامة. كما جعل لتعليم الدين ثلاث حصص أسبوعياً واحدة يوم السبت وإثنتين يوم الأحد، كذلك كان على رؤساء البيوت القيام بذلك يومى الأربعاء والجمعة.

الفصل السادس

تأسيس أول دير للنساء

نظراً لما ذاع عنه من أخبار فى مشروعه الطريف هذا قامت أخته مريم برحلة من بلدتها إلي الشمال قاصدة طابنيسي لتراه. وعندما أخبروا باخوم بمجيئها أرسل القائم بأعمال باب الدير ليقول لها (لقد أردت أن تسلكى هذه الحياة المقدسة وهذا يكفى فلا تتكدرى لعـــدم رؤيتى، فإذا أردتِ أن تسلكى هذه الحياة المقدسة حتى يتراءف الله علينا فكرى فى الأمـــر، فيقوم الإخوة بإقامة قلاية لكِ وتعيشين منفـــردة. ولا شك أن الرب سيرسل بـــسببك إلينـــا أخريات وتكونين أنت السبب فى خلاصهن، إذ ليس هناك أمل للإنسان فى هذه الحياة إن لم يصنع الخير قبل أن يترك جسده ليذهب إلى المكان الذى فيه يحاكم حسب أعماله). وعنـــد سماعها هذه الرسالة التى حملها إليها القائم على الباب أغرورقت عيناها بالدموع ووافقـــت علي الاقتراح. وعندما رأى أبونا باخوم ميل شقيقته إلى حياة الإستقامة والصلاح أرســـل على التو الأخوة ليبنوا لها في تلك القرية على بعد قليل من ديره مكاناً للإقامة يحتوى على مقصورة للصلاة. وبعد ذلك ذهبن كثيرات ليعشن حياة النسك بجوارها وكانت لهـــن أمـــا ومرشدة ممتازة إلى يوم نياحتها.

وعندما لاحظ أبونا باخوم أن عددهن قد إزداد، عين لهن أباً شيخاً هو الأنبا بطـــرس، رجلا له أقوال مصلحة بملح وكان عمله فى أن يحدثهن كثيراً عن الكتاب المقدس لخـــلاص نفوسهن. وقد نقل لهن الأنبا باخوم فى كتاب خاص قوانين الإخوة وأرسلها إليهن بواســـطة الأنبا بطرس.

وإذا أراد أحد الأخوة الذى لم يصل بعد إلى درجة الكمال أن يزور إحدى قريباته فـــي ديرهن أرسله باخوم عن طريق رئيس بيته إلى الشيخ أنبا بطرس الذى يعلم بـــدوره الـــدير فتخرج مع الراهبة المطلوبة أمهن وراهبة ثالثة ويجلسون جميعاً معاً إلى نهاية الزيـــارة فـــى تحفظ تام، ثم يقومون ويؤدون صلاة ويفترقون وكان قانون باخوم قد أخذ فى إعتباره مثـــل هذه الزيارات.

وعند نياحة إحداهن ينقلونها إلى المقصورة عندهن بعد أن تغطيها أمهن بمـــلاءة، ثم يخبر أنبا بطـــرس أبانا باخوم الذى ينتقى من بين الإخوة من لهم خبرة ويرسلهم مع بطرس إلى الدير وهناك يقصدون صالة الإجتماع ويقفـــون عند الباب يرتلون المزامير

فى حفل خاص بينما يكفنونها ثم يرفعون الجسد على عربة ويذهبون به إلى المـــدافن، ويتبع العربة العذارى أخوات الميتة تتقدمهن أمهن، ويتبعهن أبوهن, وبعد الدفن يؤدون صلاة على الميتة، ويعدن إلى الدير فى حزن كبير.

وعندما تنيح أبوهن القديس أنبا بطرس، عين لهن باخوم أبا آخر، رجـــلا قـــديراً يدعى أنبا تيتويه ذا أخلاق وروح ممتازة.

الفصل السابع

أنبا باخوم قائد للرهبان

(أ)

(بعد ٧٠ صفحة مفقودة من المخطوط)

ورأى أيضاً ابن شقيقته، التي كانت تعيش في الحياة النسكية بجانبه ضمن جماعته، وكان يقوم بأعمال شريرة، عند ذلك تذكر قول الإنجيل (وإن كانت يدك اليمني تعثرك فأقطعها وألقها عنك)، فطرده أيضا كما طرد الآخرين. وفى جميع أيام حياته تصرف بحكمة كذلك، إذ ألهمه الرب بأن يبعد عن بيته الفضائح وأحجار العثرات.

وكان يتصرف كراع حقيقي يعتني بقطيعه. كان يقوى الضعفاء في مراعي العدل، وكان يقيد الفاسدين بقيود الإنجيل، والذين ضلوا الطريق كان يردهم إلى الحظيرة، والمواليد الأول كان يقدمهم ذبيحة للرب لأجل أن يتنسم الرب رائحتهم الزكية، كمثال نوح الذى قدم على المذبح بهائم وطيور طاهرة فتنسم الرب رائحة الرضا، تطبيقاً لقول بولس الرسول (لأننا رائحة المسيح الزكية لله)، وكان يعمل كل جهده حتى لا ينطبق عليه قول حزقيال النبى (رعى الرعاة أنفسهم ولم يرعوا غنمى.)، وأكثر من ذلك كان يرعى الخراف الذين جمعهم الرب حوله بالطريقة التي رسمها بولس الرسول (ونطلب إليكم أيها الإخوة أنذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، إسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع)، وكان يرشد فى الحق خراف الرب لكى يتناولوا طعاماً جيداً حتى يكونوا للرب رائحة زكية، تصديقاً للقول (فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله)، رائحة ليس فقط بواسطة نقاء أجسادهم، ولكن أيضاً نقاء قلوبهم كما يقول داود النبى (ذبائح الرب هى روح منكسرة)، ويعظهم على أن تكون أفواههم (ذبيحة التسبيح)، واستعمل كل ما لديه من طرق ووسائل ليكرس كل إهتمامه لأجل جميع الذين وضعهم الرب بين يديه، وكان يمتحن الأرواح واحدا فواحدا مختبراً قدرات كل منها، وكان كل همه أن لا يجعل أحداً غيره يستطيع أن يجذب إلى الرب شخصاً يكون باخوم قد تركه، إذ لم يكن يرغب أن يستطيع إنسان آخر أن يخلّص إنساناً ساقطاً لم يستطع هو أن يخلصه، حتى لا يؤنبه هذا الساقط فى الدهر الآتى قائلاً (بعد أن طردتني كشخص لا يرجى منه صلاحاً، ها هو آخر قد أرجعني إلى الحياة)، هذا الخاطر هو الذى جعله يستعمل منتهى الدقة فى إختيار نفوس الإخوة. كان يوبخ البعض، ولآخرين يعطى نصائح وتوجيهات، ويعاقب البعض الآخر ليس فقط بواسطة الأقوال، ولكن بالطريقة التى كان يتحدث بها بولس عندما يقول (ماذا تريدون، أبعصا أتى

إليكم أم بالمحبة وروح الوداعة؟) ومع آخرين كان يتساهل في إهمالهم معلماً إياهم (عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق فيستفيقوا من فخ إبليس)، كل درجات الخطاة، كان يجتهد في خوف الله (وهنا مائة صفحة مفقودة).

(ب)

كان يوجد دير صغير على بعد ميلين جنوبى طابنيسى، وكان أب هذا الدير كثيراً ما يأتى إلى أبونا باخوم الذى كان صديقه، وكان يكرر على رهبانه أقوال الرب التى كان يسمعها من فمه.

وفى أحد الأيام طلب منه أحد رهبانه أن يعطى منصباً هاماً فقال له (لقد أوصانى أبونا باخوم ألا أفعل شيئاً لأنك لست جديراً بشغل هذا المنصب)، فغضب الراهب قائلا (لنذهب إليه ليثبت لى ذلك!)، وتبعه الأب وهو مرتبك ومغموم ويتساءل عما يمكن أن يحدث، ووصل ثلاثة إخوة إلى طابنيسى بجوار باخوم فوجدوه مشغولا ببناء جزء من سور الدير. فأقترب منه الراهب المذكور وهو فى شدة الغضب وقال له (إنزل وأثبت لى خطيتى، يا باخوم الكاذب!)، ولكن رجل الرب الصبور لم ينبث ببنت شفة. وإستمر الراهب يقول (ما الذى أجبرك على الكذب؟ أنك تدعى الرؤية بوضوح ونورك ظلام)، ولكن الأنبا باخوم رجل الرب الذى يعلم خبث إبليس أجاب (سامحنى لقد أخطأت! ألم تخطئ أنت أبداً؟). عندئذ زال الغضب عن الراهب.

ثم أخذ أبونا باخوم أب هذا الدير جانبا وسأله ماذا حدث، فقال له (سامحنى يا سيدى الأب! لقد طلب منى شيئاً يتجاوز إستحقاقه، ونظراً لأنى أعلم أنه لن يطيعنى ذكرت أسمك، وقلت فى نفسى لعله يهدأ، إذ أعلم أنه لا تخفى عليك مشكلة شائكة ولكنه (أضاف إلى خطيته معصية)، فأجاب رجل الرب (إسمعنى، أعطه ما طلب وبهذا الشكل تنتزع نفسه من أيدى العدو فإذا عملنا الطيب فى رجل شرير، فإنه يعود إلى الشعور الطيب. وإن محبة الرب تقوم على أن يحتمل بعضنا بعضا)، وبعد أن سمعا نصائح أبونا أنبا باخوم إنصرفا وهما راضيان.

وعندما وصلا إلى الدير، قام هذا الرئيس بإعطاء الراهب المنصب الذى طلبه كما نصحه رجل الرب أنبا باخوم. وبعد بضعة أيام إمتلأ هذا الراهب بشعور طيب ورجع إلى أبونا باخوم وقبلَّ يديه وقدميه قائلاً (فى الحقيقة يا رجل الرب، أنك فوق ما يقصونه عنك يوميا! علم الرب لو لم تعاملنى بالصبر يوم أن شتمتك أنا الخاطئ الغبى،

ولو أنك أجبتنى بخشونة لتركت الحياة الرهبانية وعدت إلى العالم. لتكن مباركاً يا رجل الرب! لقد أعطانى الرب الحياة بفضل صبرك وطيبتك!).

(ج)

فى مرة أخرى كان باخوم مريضاً إلى درجة الموت بسبب النسك الشديد فأخذوه إلى بيت المرضى لأجل أن يجعلوه يتناول فى هذا المكان بعض الخضروات، وكان هناك فى نفس الوقت أخ آخر راقداً، وكان مريضاً إلى حد أن جسمه كان عبارة عن هيكل عظمى نظراً لطول مرضه. وقد طلب هذا الأخ من القائمين بالخدمة دجاجة صغيرة أو سمكة صغيرة، ولكنهم رفضوا طلبه قائلين أنه لم يكن من عادتهم تلبية مثل تلك الطلبات، فرجا هؤلاء القائمين بالعمل (خذونى واحملوني إلى أبينا) وعندما حملوه إلى باخوم ورآه دهش من حالة التحول التى وصل إليها، وكان مازال ينظر إليه متعجباً عندما أحضروا له الخضروات فتنهد وقال (أنتم يا من تحابون الأشخاص أين الخوف من الرب؟ تحب قريبك كنفسك! ألم تروا أن هذا الأخ قد أصبح هيكلا عظميا؟ لماذا لم تعطوه ما طلبه؟ علم الرب إن لم تعطوه ما طلبه لن أتناول طعاماً أو شرابا! كل المرضى سواء! أليس كل شئ طاهر للطاهرين؟). وكانت الدموع أثناء ذلك تتساقط من عينيه (لأنه لم أكن هنا هذه الأيام، وكنا في الخارج مشغولين بجمع البوص، وإلا لما تركته فى هذه الحالة الشديدة!)، وفى الحال أسرعوا فى شراء دجاجة صغيرة، وطبخوها وأعطوها له، وبعد ذلك أحضروا الخضار المطبوخ لأبينا باخوم فأكل بدوره مع أعمال النعمة.

ونود أن نذكر بهذه المناسبة أنه طبقاً للقوانين الباخومية فإن الأطعمة الخاصة كانت تعطى بكل ارتياح للمرضى فى بيت المرضى، وحتى أثناء السفر فى السفن مثلا كان الأخ الذى تستدعى حالته طعاماً خاصاً يتناوله فى ركن خاص. وبينما كان القانون يبيح حساء السمك للمرضى فإنه لم يذكر اللحم. وكان علي الممرضين أن ينفذوا القانون حرفياً، ولكن روح القانون يتأكد فى هذا النص: يعطى المريض ما يطلب بوفرة (حتى لا تسببوا له أى حزن)، بل كان القانون يرى أن لا يقوم الإخوة بالسفر دون يكون معهم ممرضون.

(د)

ذهب الإخوة إلى الإسكندرية لبيع كمية من الحصر ولشراء إحتياجات الإخوة المرضى، وعند رجوعهم إلى دير بباو الذى يبعد ثلاثة كيلومترات شمال دير طابنيسى وهو الدير الرئيسى للمجمع صعد إلى السفينة ثلاثة رجال يريدون أن يدخلوا إلى

الرهبنة. وبعد أن عانق جميع الأخوة وسألهم عن سلام الكنيسة المقدسة الجامعة في المسيح قال أبونا باخوم لرئيس الجماعة (لماذا أحضرت معك هذا الزوان لأجل أن أقبله في الرهبنة؟) فأجاب الأخ في وداعة تامة (هل تعتقد يا أبي القديس أن لدي أنا أيضاً الموهبة التي أعطاها لك الرب للتمييز بين الصالحين والأشرار؟) فقال له باخوم (هذا الرجل من الزوان بأعماله منذ شبابه لقد ارتكب نجاسات كثيرة في حضرة الرب، وأنه من الصعوبة بمكان أن ينال مثل هؤلاء الحياة، إلا إذا قاموا بفروض كبيرة، وبأصوام عديدة، وبصلوات متوالية وأنواع نسك كثيرة، وسهر كثير. ومع ذلك بما أنك أحضرته فإننا سنقبله مع زميليه الآخرين، خوفاً من أنه لو رفضناه لخانت الآخرين شجاعتهما وتركانا، ولكنا نضعه تحت ملاحظتنا ونعلمه طريق الخلاص، خوفاً من أن يرجع إلى الأعمال الشريرة بيننا التي كان يرتكبها قبل أن تحضروه. فإذا رجع عن غيه وتاب رحبنا به ونقبله بيننا، أما إذا كان العكس فلا يتوب عن خطاياه أرجعناه إلى حيث أتيت به. أما إذا أرجعناه الآن أثر ذلك في نفسي الاثنين الآخرين وسيصيب روحيهما تلف بسببه، بواسطة عملنا هذا وسيلومنا الرب. إذ لا لزمام لدينا لإدخال أشخاص فاسدين إلى مجتمعنا لم يصمموا في قرارة نفوسهم أن يتوبوا أمام الرب.

وفي الواقع فإن الذين طردناهم هذا العام قد وصلوا إلى مائة). وفي ذاك الوقت كان عدد الإخوة في أديرة الجماعة حوالي ثلاثمائة وستين – فقال له الأخ (إذا لم تطرد هؤلاء الذين ذكرتهم لزاد عدد الإخوة ولوصلت الجماعة إلى رقم عال). فأجابه أبونا باخوم (لا على العكس! إذا إحتفظت بهم لقل عدد الإخوة. إذ أن عندما يكثر عدد الأشرار كل منهم بجوار الآخر، فإن غضب الرب ينزل أيضاً على العنصر الطيب من الإخوة ويقع الجميع تحت طائلة اللعنة كما يقول الكتاب المقدس: (لقد أنقصت الخطية عدد القبيلة نتيجة غضب الرب)، وعلى العكس عندما رفض شعب الرب الأشرار نزلت بركة الرب على جميع الشعب. الذي زاد أكثر حاملاً ثمراً للرب، وقال له الأخ أيضاً (أريد أن تفسر لي الكلمة التي قلتها هذا الرجل هو من الزوان هل يعني ذلك أن طبيعة هؤلاء الأشخاص فاسدة منذ مجيئهم إلى العالم؟ فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لهذا الإنسان منذ ولادته ما هو ذنبه؟) فأجاب أبونا باخوم (جميع الذين خلقهم الرب من آدم لهم القدرة على الإختيار بين الخير والشر، وعلى فرض وجود أحد منهم ذي طبيعة شريرة منذ صغره أخذها ولا شك من طبيعة والديه، لا نستطيع أن نشكو إلى الرب، لأن هذا الرجل حر في أن يكبح نفسه عندما تستولي عليه غرائز شريرة.

وإذا كانت جماعات النساء، يتحكمن في طبيعتهن بممارسة النسك والتبتل حتى الموت، فكم بالحال الرجل الذي صنعه الرب على صورته وشبهه، ألا يستطيع، على

فرض أن غرائز شريرة من النوع الذى ذكر إستولت عليه، أن يتحكم بإرادتـــه وبقــوة تمييزه وبعقله على هذه الغرائز الشريرة التي استولت عليــه ويطردهـــا بعيــداً عنـــه؟ والواقع فإن الكتاب المقدس فى حديثه عن الإنسان يخبرنا أن الرب قد صنعه مـــستقيماً، ولكنه بإرادته إتجه نحو أفكار فاسدة وأغضب الرب الذى خلقه، وأيــضاً بإرادتـــه أدار قلبه نحو أفكار فاسدة ونجـــسة، وشهوات فاحشـــة، وأحاديث تخدش الحياء، كما يقول سليمان الحكيم (إن الله صنع الإنسان مستقيماً) وحزقيال النبى يعلمنا (إن ولد إبن ورأى جميع خطايا أبيه التى فعلها فرآها ولم يفعل مثلها، بل أجـــرى أحكـــامى وســـلك فـــى فرائضى فإنه لا يموت بإثم أبيه، حياة يحيا).

وحتى على فرض أن شخصاً صار فاسداً من والديه. فإن له القدرة على أن يغيِّر نفسه بإرادته الخاصة وحكمه الخاص مهما كانت طبيعته، أما ذلك الذى ليس في مثـــل هذه الظروف، أى ليس به غريزة فاسدة منذ ولادته، إذا أراد أن ينمى طبيعته، التى صنعها له الرب لن يرتكب مثل هذه الخطايا الممقوتة، فإذا كان زيادة على ذلك يسير فى خوف الرب وإستقامته، فيحيا فى طهارة الزواج ولا يسلم نفسه للفحشاء ويقنع بزوجتـــه، وإذا كان يطمح إلى الكمال كما يقول بولس الرسول (ولكن جدوا للمواهب الحسنى) فيحيا فى طهارة الملائكة عندئذ فإن الروح القدس يسكن فيه ويقدسه يذهب ليدخل فـــى الرهبنـــة ويخدم الرب بكل طهارة وحق.

وقد رد الأخ على هذه العظة لأبينا باخوم قائلاً (هكذا يا سيدى الأب لقـــد أقنعتنـــى، بالإستناد إلى الكتاب المقدس، فيما يتعلق بالسؤال الذى تقدمت به، أود أن تفيدنى أيضاً لماذا ترد غالبية الجماعات التى تأتى إلينا طالبة الدخول فى الرهبنة، ما هو الدافع لك لإبعـــادهم بحجة أنه لا توجد توبة لهم، وأيضاً لأنهم لا يقبلون بكل قلوبهم ليكونوا رهباناً؟).

ويقول له أبونا باخوم فى ذلك (هل تبادر إلى ذهنك إنى أســـيئ الظـــن بـــصورة الرب؟ حاشا لى أن أسيئ الظن بالناس، ولكن من أرفضهم كانوا من الزوان، ويـــدفعنى إلى ذلك أنه من الصعب لمثل هؤلاء الرجال أن يجدوا خلاصهم فى حيـــاة الجماعـــة، نظراً للغرائز الفاسدة التى تسيطر عليهم. ولا يستطيع أحد، إن لم يكن شخص يسكن فيه الرب، أن يدخل إلى نفوسهم الخوف الذى يجب أن يشعروا به من الرب لأجل الخطايا والدنايا التى ارتكبوها وإنى أؤكد لك مع ذلك إذا كشفت عن أعمالهم للإخوة لأجـــل أن يصلوا لأجلهم أمام الرب فلن يرفضوا ذلك فقط ولكنهم يحتقرونهم ويرفـــضون الأكـــل والشرب معهم. فالسبب الذى من أجله لا أقبلهم هو الخوف من أن يسقط أحد الإخوة فى أعمالهم الفاسدة، ومن أن يتحجر قلبه من عمل أحدهم، ومن أن يسقط فى حبال إبليس.

وعندما أقبل فى بعض الأحيان مثل هؤلاء يقوم بينى وبينهم عراك شديد قبل أن أستطيع أن أخلصه من يد العدو، ويجب علي أن ألاحظهم عن كثب نهاراً وليلاً إلى أن يبرأوا، أو إلى أن يفتقدهم الرب ويموتوا فى الرب، وإنى أقوم بذلك لأكمل ما يقوله بولس الرسول (محتملين بعضكم بعضاً لأجل خلاصكم). وعندما أرفضهم فذلك خوفاً من أن أقلد الزارع الذى لأجل أن ينظف أرضاً بورا ورملية ومليئة بالأشواك يترك أرضاً نظيفة فى حالة بوار، لأنه لا يستطيع أن يعنى بالإثنين.

(وهذه هى طريقتى في العمل، أقول في نفسى أنه يجب أن أتجنب أن أكرس نفسى لأشخاص نجسين بينما أترك الأطهار والمعرضين لأن يسقطوا فى النجاسة دون أن أذهب لرؤيتهم، وبنعمة السيد المسيح فإنى أقود فى طرق الحياة الأبدية النفوس الطاهرة، وتلك التى أستطيع أن أجعلها نظيفة أجتهد فى أن أجعلها تترك أعمالها الفاسدة وأن تقوم بخدمة الرب. أما أولئك الذين أرفضهم فإنى أقول لهم (بما أنك ارتكبت الخطية عن عمى وجهل فإنه توجد له توبة ولكنك لن تجد خلاصك فى حياة الجماعة، إذهب إلى مكان ما وحدك وعش حياة توحدية، وثابر فى الصوم والصلاة أمام الرب نهاراً وليلاً بدموع غزيرة لأجل الخطايا التى ارتكبتها والرب يغفر لك، لاحظ نفسك بعناية تامة لئلا تقع مرة أخرى فى هذه النجاسات، ولا تطع الأفكار الشريرة التى يصنعها الشيطان فى نفسك لأجل أن تنفذها)، هذه هى النصائح التى أضعها أمام كل من هؤلاء الأشخاص حتى أكون بريئاً من دمهم أمام الرب فى يوم الدينونة العظيم بالعدل، وحتى لا يقولوا هم أيضاً إنى لم أهيئ لهم سبل التوبة أمام الرب.

أما عن الإسكندرى الذى قال عنه أنه من الزوان فقد انتحى به جانباً، وعندما عرف به الإخوة حكم عليه بأنواع نسك وفروض روحية مطولة لأجل أن ينجو من العقاب بالقيام بها، وشدد عليه في أن يصوم يومياً إلى المساء وأن لا يأكل طعاماً ما مطبوخاً. وقال له أيضا (إذا شعرت بمرض فلا تعتقد فى ذلك إلا إذا أخبرتنى مقدماً، لأجل أن أعرف إذا كان ذلك من الرب أو أن الشيطان قد نصب لك فخاً ليكون له الغلبة عليك بواسطة الأعمال التى قمت بها فى السابق فى العالم. فإذا كان من الرب فأوصى الممرض لأجل أن يعنى بك إلى أن تبرأ، وإنما ابتداء من اليوم حافظ على نفسك وعلى جسدك في حالة طهارة تامة دون أن تسمح للأفكار الشريرة التي يلهمك بها إبليس، وداوم على السهر في الصلاة للرب وفى البكاء بكل قوتك حتى يبتعد عنك الروح النجس الذى كنت مسكناً له. كن متواضع القلب وقل: عندما انتهى من حفظ كل ما أوصيت به سأكون بكل صعوبة جديراً بأن أحيا وبأن أهرب من النار التى لا تطفأ ودون القصاص الذى لا يموت. وإذا كان هناك من الإخوة من يمتدحك عندما يراك قائماً بنسكك جاهلاً ما ارتكبت من خطايا قل لنفسك مباشرة وأنت تبكى:

يا سيدى يسوع لو علم هؤلاء الأعمال الشريرة التي إرتكبتها في حضورك نهاراً وليلاً، ليس فقط لا يوجهون لى أى مديح، ولكن أيضاً لأعرضوا عن رؤية وجهى بسبب رائحة الخطايا الكريهة التى ارتكبتها أمام الرب. حاذر من أن يتطرق إلى نفسك أيـة فكـرة غـرور أو كبرياء، خوفاً من أن تضيف أخطاء أخرى إلي أخطائك، ومن أن تقع تحت طائلة العقوبات الأبدية. وإذا شتمك شخص أو أساء إليك تحمّله وباركه وقل فى نفسك كم من مرة تكـدر منك الرب من أعمالك الشريرة والنجسة. كن خاضعاً ومطيعاً لإخوتك بكل وداعة ومحبـة وبلا تململ تبعاً للقوانين المفروضة علينا فى الجماعة – الخضوع التام والطاعة المطلقـة وبدون تردد لجميع الرؤساء، فكر باستمرار فى القانون – لأجل أن الرب وقد رأى تواضعك وتعبك يغفر لك خطاياك وأعمال الطيش والفحش التى ارتكبتها أمامه نهاراً وليلاً، ولا يلقى بك فى العذاب الأبدى. كل ما تفعله إفعله فى خوف الرب، لا تفعل شـيئاً لأجـل المجـد الإنساني، حتى لا تذهب أتعابك سدى وحتى لا يتحكم فيك الشيطان وتخدمه مرة أخرى).

بعد أن استمع إلي ذلك من أبينا باخوم، انطلق هذا الشخص إلي فروض النسك العظيمة إلي درجة أن جميع الإخوة انبهروا من نسكه ومن أعماله، ولم يكن أى منـا يعلـم أن أبينـا باخوم هو الذى فرض عليه نسكا من هذا النوع وظنوا أنه يقوم بذلك تلقائياً. ولم يكـن أحـد يعرف ما هى الأفعال النجسة التى إرتكبها قبل أن يدخل الرهبنة سوى أبانا باخوم والراهـب الذى أتى به من الإسكندرية، كما أن أبانا باخوم، هذا الرجل الحكيم حذر الأخ الذى أتى بـه من الإسكندرية من أن يخبر أى أخ آخر بالخطايا والنجاسـات التـي ارتكبهـا ذلـك الأخ الإسكندرى. لقد كان شاباً وقويا وسلم نفسه طوال تسع سنوات لنسك شديد قام بـه خاضـعاً لجميع القوانين، ولكن لم يكن فى خوف الله والندم: لقد كان يترك نفـسه لأفعـال غرائـزه الشريرة وللملذات الفاحشة.

وبعد أن ظل يمارس أعمال النسك باستمرار طوال تسع سنوات، دفعته ميوله الشريرة من جديد إلي نصب كمين لنفس لأجل أن يقتلها، ولكن أبانا باخوم نظرا للروح القدس الـذى يسكن فيه فقد رأى إبليس يسكن في هذا الرجل الذى أطاع نصائحه الشريرة، وبدأ فى ارتكاب خطيئة عظيمة ومرذولة بتوجيهات إبليس عدو الخير. عندئذ دعاه أبونا باخوم فى وسط جميع الإخوة وسأله عن المخطط الذى فكر فيه لينفذه دون خوف من الله الحى. وعندما رأى هـذا الرجل خوف الرب مرتسماً على وجه أبينا باخوم ارتبك واعترف فى الحال بالخطيـة التـى وافق على القيام بها بكل جراءة، وفى الحال قام أبونا باخوم بطرده، وعنـدما علـم الإخـوة بالمسألة تملك الجميـع خوف عظيم من تلك النعمة الإلهيـة التى تسكن فـى أبينـا بـاخوم ومجدوا الرب.

الفصل الثامن

الأيام الأخيرة للأنبا باخوم ونياحته

كنا فى أيام صوم الأربعين المقدسة قبل عيد القيامة المجيدة، وكان القديس أنبا باخوم مريضاً دائماً، وفى الأسبوع الأخير من الأربعين المقدسة، وبينما الأخوة من جميع الأديرة وقد اجتمعت فى بباو لإحياء عيد القيامة معاً، إذا بملاك الرب يأتى إليه ويقول له (استعد يا باخوم لأن الرب سيتقبل ذبيحة كبيرة من بيتك يوم العيد)، وفكر هو فى نفسه أن ربما يزوره الرب فى سبت العيد. وقد أمضى الأيام الأربعة الأخيرة من الأسبوع المقدس دون أن يأكل حزيناً ويتنهد، إذ كان يخشى أن ينفرط عقد الشركة الرهبانية (وفعلا قد جرى بعض الصعاب من هذا النوع بعد نياحة باخوم).

وفى مساء يوم الجمعة – وكان اليوم الثالث الذى يمضية دون أن يأكل – جمع حوله جميع الإخوة وخطب فيهم كمثل الخطبة التى ألقاها صموئيل النبى فى شعبه مقدماً لهم حسابه وحدثهم كما يلى:–

(إنى أفكر يا إخوتى وأبنائى فى أن ساعتى قد أتت لأجل أن "أذهب فى طريق الأرض كلها:. كما فعل جميع أبائى، وكل سلوكى معروف جيداً لكم، لقد مكثت في وسطكم بكل وداعة وفى زهد، وأنتم تعرفون إنى لم أسع لأكون مميزاً عن أى منكم، وقد عشنا جميعاً معاً كأننا شخص واحد ولم أتوار لحظة عن أعينكم، وعلم الله لا أقول لكم ذلك عن تفاخر أو مجد باطل، كذلك لا أقصد أن أقنعكم بأعمالى المعلنة لكم، ولكن أن تشعروا بارتياح بأن أخبركم بما لا تعلمونه. لم أسبب لكم أية عثرة سواء أمام الرب أو أمام الناس. وغير ذلك، علم الرب إن لم تتبعوا جميع التعليمات والقوانين التى أعطيتكم إياها، وإن لم تمارسوها وتنفذوها لن تعلموا أين تجدون راحة لنفوسكم. أقول لكم ذلك لأنى أجهل ما سيصيبكم وقد حذرنا المخلص فى الإنجيل (فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان).

وأنتم تعرفون جيداً ماذا كان هدفى. لم أوبخ أى واحد منكم مدفوعاً ببواعث السلطة ولكن لأجل خير نفسه، كما أنى لم أنقل أحداً من مسكن إلي آخر أو من مهنة إلى أخرى، إن لم يكن فى علمى بأن ذلك في مصلحته. كذلك لم أقابل الشر بالشر، كذلك لم اشتم شخصاً شتمنى مطيعاً بذلك الصبر وعدم الغضب، ولكن عوضا عن ذلك كنت أرشدة بصبر لأجل أن لا يخطئ فى حق الرب قائلا له (لا مانع بأن تخطئ فى حقى إذ أننا

إنسان مثلك، ولكن احترس من أن تخطئ فى حق الرب الذى خلقك!)، كذلك لم استقبح مطلقاً من أن يوجه إلى أخ بسيط لوماً له أساس، وبالعكس كنت أقبل لومه كأن الرب هو الذى يوجهه إلى. وعندما كنت أقصد مكاناً ما أو أحد الأديرة لم أصدر أمراً مطلقاً بإحضار حمار لى لأركبه بباعث أن لى سلطة ولكن كنت أخرج سائراً شاكراً وبكل تواضع، وإذا جرى أحدكم خلفى ومعه حمار وأدركنى لم أركبه إلا إذا كنت أشعر بأنى مريض، وفى الطعام والشراب وغير ذلك من احتياجات الجسد أنتم تعلمون ما يتعلق بكل منها مما قلته لكم سابقاً).

ونذكر هنا أن القانون كان يسمح للرهبان بأن يدهنوا أيديهم بعد انتهاء العمل مساء. ولكن كان يمنع دهان الجسم كله إلا فى حالة المرض، ومادة أخرى في القانون كانت تسمح بدهان أشياء أخرى وخصوصاً الأحذية.

وكان القديس تادرس تلميذه أثناء هذا الحديث جالساً على مسافة منه واضعاً رأسه بين ركبتيه وينتحب وكان الكثير أيضاً من الأخوة يبكون، عالمين بالخدمات التى كان يؤديها باستمرار للجميع، وبالتواضع الذى كان يخدم به كلا منهم بشعور الخوف من الرب كما يقول بولس (كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانين إليكم نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين إلينا).

عندما أدلى أبونا باخوم بهذا الحديث لكل الإخوة كان مريضاً وراقداً فى السرير وكان اليوم الثالث الذى لم يتناول فيه طعاماً، وكان الجميع يبكون إذ تراءت لهم الكارثة التى تلحقهم وقت نياحته.

وكان أنبا بابنوته المشرف العام للأديرة وشقيق أنبا تادرس مريضاً وقد تنيح السبت عشية عيد القيامة. عندئذ تذكر أنبا باخوم ما قاله له الملاك بأن ذبيحة كبيرة سترفع من بيته يوم العيد.

وغير ذلك فإن إخوة كثيرين تنيحوا نتيجة هذا المرض إلى درجة أن كان هناك أموات يومياً في بعض الأحيان إثنان وفى أيام أخرى ثلاثة أو أربعة، وكان هؤلاء الأموات من جميع أديرة الإخوة بإرادة الرب، وكثيرون من مديرى الأديرة تنيحوا بسبب هذا المرض. وكان لونهم يتغير بمجرد شعورهم بالحمى وتحمر عيونهم بالدم وكانوا فى تنفسهم كأشخاص يختنقون. وبهذا المرض تنيح أنبا بابنوته رئيس الدير الكبير في بباو (فاوالآن) وشقيق أنبا تادرس، وأنبا سوروس رئيس دير فنوم وهو آخر أديرة باخوم وأنبا كرنيليوس رئيس دير ثموسون، وتنيح فى بباو ١٣٠ شخصاً من هذا المرض.

واستمر مرض أبينا باخوم وكان تادرس تلميذه يقوم على خدمته، وقد لازم الفراش أربعين يوماً فى بيت المرضى، وكان يخدم مثله فى ذلك مثل أى واحد من الإخوة دون أية تفرقة حسب وصيته لهم السابقة. وكان جسده فى حالة هزال شديد من المرض ولكن كانت روحه وعيناه مثل لهب متوهج. وقال لتلميذه تادرس (أرجوك أن تحضر لى غطاء خفيفاً لأتغطى به لأن هذا الغطاء ثقيل ولا أستطيع احتماله إذ أنى مريض منذ أربعين يوماً وأشكر الرب)، وعلى التو أحضر القديس تادرس من عند المدير (الإيفومينوس) غطاء خفيفاً وضعه عليه. ولكن عندما أحس أبونا باخوم بالفرق بين الأغطية احتد على تلميذه تادرس وقال له (يا للخطية الكبرى التي ارتكبتها يا تادرس هل تريدنى أن أكون مصدر عثرة للإخوة الذين يقولون بعدى عندما كان باخوم حياً كان يتميز عن جميع الإخوة! وبذلك أقع تحت إدانه الرب؟ وعلى كل حال سأدافع عن نفسى عندما أذهب إلى جوار الرب). عند ذلك رفع تادرس الغطاء وأحضر آخر مستعملا وأقدم من أى غطاء ووضعه عليه.

وفى عيد العنصرة كان باخوم مازال مريضاً وقبل نياحته بثلاثة أيام طلب حوله جميع الأخوة الكبار ذوى السلطة وقال لهم (هأنا ذاهب إلى جوار الرب الذى جبلنا والذى جمعنا لأجل أن نتمم مشيئته، اتفقوا على من تريدون أن يكون أبا لكم). ولكنهم ظلوا يبكون دون أن يجيب أى منهم، إذ أنهم كانوا يتألمون مفكرين فى سوء الحياة التى ستلازمهم بعد أن يفارقهم، إذ سيكونون كخراف فقدت راعيها. وأصر مرة أخرى موجهاً حديثة إلى هورسيزيوس (تشاور معهم وانظر من يريدون أن يكون أبا لهم). فأجابوا فى صوت واحد (إذا كان هذا يجب أن يكون نحن لا نعرف أحداً سوى الرب وأنت، ونحن نقبل ما يستقر عليه رأيك). فأجابهم (إن من كشف لى عنه من بينكم الذى يرقى بنفوسكم فى خوف الرب هو بترونيوس أب دير تسمين – وفى الواقع فإن طهارة قلبه جعلته جديراً برؤى كثيرة ولديه كل القدرة – أظن أنه هو أيضا مريض، ومع ذلك إذا عاش يكون هو أباكم). عند ذلك نادى على بعض الشيوخ وأرسلهم لأحضاره بينما كان هو مازال حياً. يجب أن نعلم أنه بعد أن جمع حوله الإخوة ليقول (هأنا سأتخذ الطريق الذى تتخذه كل الأرض) ذهبوا جميعاً إلى الكنيسة ليصلوا ويبكوا لمدة ثلاثة أيام أمام الرب لأجل أن يبقيه لهم بعض الوقت على الأرض، ولكن بعد ثلاثة أيام أرسل أبونا باخوم تادرس ليقول لهم بأن يكفوا عن البكاء لأن ذلك أمر من الرب أرسله إليه بأن عليه أن يرجع إلى جوار أبائه فرجع الإخوة إلى حيث يرقد وظلوا يبكون وهم في حالة ضعف شديد.

بعد ذلك تلفت نحو تلميذه تادرس وقال له (إذا زارني الرب لا تترك جسدي حيث دفن). فأجابه بحزن (سأفعل كما تقول). وبعد ذلك أمسك باخوم بلحية تادرس ودق على صدره وهو يقول للمرة الثانية (تادرس! إسهر على أن لا تترك جسدى حيث دفن) وأجاب تادرس مرة أخرى (سيدى الأب، سأفعل بعمل النعمة كل ما تطلبه منى) وقد فكر تادرس بأن الإصرار الذى جعله يكرر طلبه نجم عن الخوف من أن البعض يستولون على جسده لأجل أن يبنوا له بناء خاصاً كما هو المتبع في أجساد الشهداء القديسين، وفى الواقع قد سمعه مرات كثيرة يوبخ الذين يفعلون ذلك قائلا (إن القديسين لا يرضون عن أولئك الذين يفعلون هكذا إذ أنهم بذلك يتاجرون بأجساد القديسين)، وبعد ذلك أمسك باخوم بلحية تادرس للمرة الثانية وقال له (تادرس! اهتم بأن تنفذ سريعاً ما أمرتك به، وغير ذلك إذا أظهر الإخوة الإهمال أيقظهم فى شريعة الرب)، وفكر تادرس فى نفسه قائلا (إن ما قاله بأن فى حالة ما أظهر الإخوة تراخيا أو إهمالا أيقظهم فى شريعة الرب. هل يعنى ذلك أنه بعد مضى بعض الوقت سيوكل على قيادة الإخوة؟ إنى أجهل ذلك)، وكان يفكر فى ذلك عندما أجابه أبونا باخوم عن هذا التساؤل قائلا (لا تشك ولا تتردد! هذا هو! ليس فقط ما أقوله لك، ولكن أيضا ما تفكر فيه أنت......)، وأجابه أنبا تادرس وهو يبكى (حسنا!).

بعد أن قال ذلك تنهد باخوم لحظة، دون أن يتحدث إلى أى أحد، ثم رشم علامة الصليب على نفسه ثلاث مرات بيده، ثم فتح فاه وأسلم الروح وكان ذلك فى اليوم الرابع عشر من شهر بشنس في الساعة السادسة (أى الظهر). عند ذلك استولى على الجميع ذهول عميق، حتى أن المكان اهتز ثلاث مرات، وقص عدد من الشيوخ الذين تعودوا على الرؤى أنهم رأوا جموعاً من الملائكة مصطفه فوق بعضها وعيونها على باخوم يتقدمونه وهم يرتلون فى فرح وسرور إلى أن استقبل فى مكان راحته. وقد تصاعدت من المكان الذى تنيح فيه رائحة زكية عدة أيام وليال..... وأثناء ذلك أقفل تادرس عينى باخوم مثل يوسف. عندما قال الرب ليعقوب (لا تخف من النزول إلى مصر لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك، أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً، ويضع يوسف يديه على عينيك)، أما الإخوة فقد ارتموا عليه وهم يبكون وكانوا يقبلونه على وجهه وعلى كل جسده المقدس.

وقد أمضوا هذا اليوم وطوال الليل فى قراءة الصلوات حوله أمام المذبح وعندما فرغوا من صلاة باكر كفنوا جسده المقدس مثل جميع الإخوة وأقاموا قداساً لأجله، ثم

تقدموا الجسد وهم يرتلون المزامير إلى الجبل حيث دفن فى اليوم الخامس عشر من شهر بشنس ورجع الإخوة إلى الدير وهم فى حالة خوف وانكسار قلب، وكان البعض منهم يقول لزملائهم (لقد صرنا اليوم فى الحقيقة يتامى)، وفى مساء يوم الدفن أخذ أنبا تادرس ثلاثة إخوة وأخذوا الجسد من المكان الذى دفن فيه ووضعوه مع جسد أنبا بابنوته شقيق أنبا تادرس .... ولا يعلم أحد إلى اليوم أين يوجد.

وعدد سنوات حياته ستون، وقد تنسك فى الحادية والعشرين وأمضي فى الرهبنة التسعة والثلاثين سنة الباقية وقد رأى الرب أنه لكى يتم ارادته قد صلب جسده عن كل شئ، فأراد أن يعطيه راحة وتقبله بجانبه دون أن يجعله ليعيش طويلا فيصير إلى ضعف جسدى لم يكن فى رغبتة.

لم يعش بترونيوس بعد القديس باخوم سوى ثلاثة عشر يوماً فقط، وبعد ذلك أجمع الإخوة على انتخاب هورسيزيوس رئيساً عاماً للأديرة، ولكن بدأ ظهور بعض انحرافات فى الأديرة كذلك نزعة استقلالية فى أحدها فوجد هورسيزيوس نفسه أمام مشكلات تفوق مقدرته فاستعان بالأنبا تادرس التلميذ المفضل للأنبا باخوم والذى يلقب فى السنكسار اليونانى بتيودور المبارك.

وقد أقام أنبا تادرس أربعة أديرة أخرى، واحداً في أرمنت واثنين قرب الأشمونين كاييس وأوبى، وواحداً للنساء. تنيح أنبا تادرس فى ٢٧ ابريل عام ٣٦٨/٣٦٧ بالغاً من العمر ٦٥ عاماً وفى قول آخر ٥٣ عاماً.

وقد انتشرت الأديرة الباخومية أيضاً بعد ذلك شمالاً حتى أبى قير شرق الإسكندرية وكان يدعى دير التوبة (ميتانويا). وحتى القرن الثانى عشر كان يوجد فى القسطنطينية دير يتبع قانون أنبا باخوم وبه خمسمائه راهب.

الفصل التاسع

رأى القديس أنبا أنطونيوس الناسك المتوحد فى الجازات

أنبا باخوم الراهب

فى شهر يوليو من عام ٣٤٦م، أى بعد نياحة القديس أنبا باخوم بشهرين انتهز بعض تلامذته فرصة رحلة لهم إلى الإسكندرية لقضاء بعض الأعمال، لأجل أن يقوموا فى طريقهم بزيارة أنبا أنطونيوس.

وعندما بلغوا جبل تيلودج سألوا عن الطوباوى انطونيوس المتوحد، فأخبروهم أنه يرقد مريضاً في ديره فى بسبير في الجبل الخارجى على ضفة النيل، فأوقفوا سفينتهم على الشاطئ وذهبوا لزيارته. وقد كان للقديس أنطونيوس ديران أو جبلان أحدهما الدير الداخلى فى جبل القلزم على البحر الأحمر والآخر الدير الخارجى فى بسبير. فما أن علم أن إخوة من مجمع طابنيس قد جاءوا لزيارته حتى طلب ممن حوله أن يساعدوه على النهوض – ونظراً لشيخوخته فقد كان عاجزاً منذ وقت طويل. وقد استند إلي الإخوة الذين حوله وهم يتعجبون، وأخذ أنبا انطونيوس يسير إلى باب الدير لمقابلة القادمين الذين قبلهم بقبلة مقدسة، ثم أخذ أنبا تادرس يده اليمنى وأنبا زكا يده اليسرى وسارا معه بينما بقية الإخوة يتبعونهم إلى أن ذهبوا إلى حيث يوجد سريره، وبعد أن صلوا جلسوا وجميع الإخوة حوله، وكان وجهه يشع فرحاً كأنه ملاك.

وبدأ يوجه إليهم عبارات التشجيع قائلاً (لا تحزنوا يا إخوتى لنياحة هذا البار أنبا باخوم، لقد كنتم جسده وقد أخذتم من روحه. حقيقة لقد كنت أتوق لأن أراه أثناء حياته، ولكن يبدو أنى لم أكن مستحقاً لذلك، وإن قدرته على جمع النفوس لأجل أن يقدمها طاهرة للرب هو عمل يظهر أنه كان أعظم منا، وإن الطريق الذى سلكه، أى حياة الجماعة، هو طريق الرسل).

فأجاب أنبا تادرس فى محبة (أنت بار أكثر منا يا آخر الأنبياء!)، ولكن أنبا زكا الذى كان فيه نوع من الخفه لم يستطع أن يمنع نفسه من القول (أنك تجعلنا نغتر ولا شك! فإذا كانت حياة الجماعة التي اتبعها أبونا هى طريق الرسل، لماذا لم تعش في وسط جماعة وتقوم بتغذية النفوس في أعداد كبيرة؟ إذ جميعنا نعرف أنك رجل بار وكامل فى جميع الأعمال الصالحة يعلم الله إن أبانا لم يكف عن الحديث عنك فى جميع المناسبات عندما كان يحيا معنا، لكى يجعل لنا من حياتك مثالاً يحتذى).

فرد على ذلك أنبا أنطونيوس (سأعطيك رداً قاطعاً يا صغيرى زكا – إذ كان فى الواقع قصيرا – على السؤال الذى وضعته لى. فى الوقت الذى صرت فيه ناسكاً لم

يكن على الأرض أية جماعة استطيع أن أعيش فيها حياة جماعية، بل كان هناك أفـراد منعزلون ينسحبون خارج قراهم حيث يحبون حياة النسك، وهذا سبب إنى أنـا أيـضا اعتنقت حياة التوحد. وبعد ذلك عندما ظهرت على الأرض الحياة الرسولية – والعمـل الذى قام به رجلنا القدير أنبا باخوم – أصبحت الميناء لجميع الذين جعلهم فـى خطـر ذلك الذى يصنع الشر منذ البدء، والآن إذا أردت أن أجمع حولى جماعة فلـن أكـون قادراً على ذلك لأنى لم أقم بذلك منذ البدء. فليس لدى التجربة اللازمة للعمل مع كـل شخص فى هذه الجماعة، ومن ناحية أخرى إذا أردت الحياة مع الإخوة الذين يحيـون حياة جماعية وأظل بينهم فى الطاعة كراهب عادى أكون أيضاً غير قادر لأنى متقـدم فى السن: هذا هو السبب فى أنى فضلت أن أبقى حيث أنا.

وكان في كل مرة أخرج فيها من الجبل لأزور الإخوة، كان كل هدفى أن أتقابل عن مع أحدهم فأثبته بكلمة الرب حتى أحظى بمكافأة أمامه، وأؤكد لك في واقع الأمر أن أكبر هدفي لاهتمامى فى الرب هو أن أخلص فى الرب ولو نفسا واحدة. ولكن عوضاً عـن أن يتركونى لأعمل ما أريده، فإنه بمجرد أن يسمعوا أنى خرجـت مـن الجبـل الخـارجى يتجمعون حولى بأعداد كبيرة لها مشاحنات ومشاجرات فيما بينها، ولا تكف فـى إزعـاج ولجاجة تكلفنى بالكتابة إلى ولاة الأمور والحكام، وكنت لا أجد فى ذلك أية فائدة لما أروم القيام به فأقوم وانسحب إلى عمق الصحراء وأحيا وحيداً).

وبينما كـان الطوباوى أنبا أنطونيوس يلقـى هذا الحديث مادحا به القديسين أخـوة المجمع كان يوجد حوله جماعات من رجال الدين ومن الموظفين وغيرهم وقد أتوا لزيارته ولكى يطلبوا بركته، ونظراً لأنه كان يعلم بضجرهم للطريقة التى كان يمدح بهـا أخـوة المجمع، قال للجميع (أقول لكم لقد اغتممتم ولا شك لأنى امتدحت طريقة حياة الإخوة).

فغضب رجال الكهنوت وقالوا (هل غضبنا فى الواقع دون داع؟ لا! إن الذى أغاظنـا هو أنه منذ وقت طويل وبسبب مرضك لم تكلف نفسك أبداً أن تقوم بتقبيل من كـان يـأتى لزيارتك سواء أكان أسقفاً أو رئيس جند أو حاكم أو موظفاً، بل كنا نحن الذين ننحنى عليـك لنقبل رأسك أو صدرك اعترافاً بفضلك، ولكن ما أن أخبروك بأن الإخوة من طابنيسى قد أتوا لزيارتك حتى تركتنا جميعاً وذهبت لمقابلتهم بفرح عظيم، واحتضنتهم بكل محبة).

فأجاب أنبا أنطونيوس (سأعطيكم سبباً وجيها وأقول لكم الحقيقة المجردة. علم الله ليس بسببهم فقط خرجت لمقابلتهم، لقد سبقهم ملاك من الرب وأعلمنى قبل أن يخبرونى بوصـول أبناء باخوم الطابنيسى، وكان الملاك مازال يحدثنى عندما أتى الإخـوة ليبلغـونى أن إخـوة المجمع أتوا لزيارتنا. عند ذلك دفعتنى قوة علوية فقمت وأسرعت للقائهم وقبلتهم. وفى الواقع طوبى لمن يتممون ما أوصاهم به أبوهم أنبا باخوم، الرجل الكامل من كل وجه!).

وقال إخوة ديره بدورهم (إذا كان أخوة المجمع يستحقون كل هذا المديح الذى اختصتهم به، لماذا يقيمون لنا صعوبات عندما نمر بأديرتهم؟ فيسألوننا إذا كنا ميليتيين[1]، وعندما كنا نضطر لأن نعلنهم أننا من أبناء أنبا أنطونيوس يقولون (يأتينا الكثيرون الذين يدعون أنهم من أبنائه والذين نستقبلهم كوصية الإنجيل، وبعد أن يرحلوا ونستقصى عنهم نكشف أنهم ميليتيون! وعلى كل حال إن ما يغيظنا أن نكون من أبنائك ويشكون فينا!).

فأجابهم أنبا أنطونيوس (أيها البسطاء الذين ليس لديهم قوة الإفراز التي تحدث عنها الكتاب المقدس وتقبلون أيا كان دون أنْ تخضعوه للامتحان! هل تريدون أن يفعل أخوة المجمع مثلكم فلا يخضعون أحداً للامتحان؟ أنهم يحترسون دائماً متبعين قول الإنجيل (احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة). وأيضاً كما يقول بولس الرسول (امتحنوا كل شئ تمسكوا بالحسن، كما أنه فى الواقع توجد محبة تظهر للناس حسنة، ولكن عاقبتها تؤدى إلي جهنم).

اقتنع الإخوة والأكليروس الذين كانوا موجودين بكل هذا المديح الذى قاله أنبا أنطونيوس لإخوة المجمع. ونرى أن هذه الرواية كما أوردتها هذه السيرة عن بداية حياة الشركة الرهبانية في تاريخ أنبا باخوم لها أهمية لتاريخ الرهبنة الأولية، وفى الواقع لا تقريظ لحياة الشركة الرهبانية أحسن من نصوص الكتاب المقدس ومن شهادة أنطونيوس أب المتوحدين ومثلهم الأعلى.

عند ذلك وقف أنبا أنطونيوس وصلى معهم، أما الإخوة الذين سلمهم رسالة إلى الطوباوى البابا أثناسيوس فقد استأذنوا منه ورجعوا بسلام إلي سفينتهم.

ومن ناحية أخرى لا يجب أن نفهم (حياة الشركة الرهبانية) على أنها نوع من الانكار والتصحيح (لحياة التوحد): فقد أبدى أنبا باخوم إعجابة العظيم بالقديس أنبا أنطونيوس، وكان يضعه (ضمن العجائب الثلاثة في زمنه).

ولكن أنبا باخوم كان قد اقتنع بالفوائد التى تقدمها حياة الجماعة للناسك، وقد تبين له أن حياة الجماعة بإلحاق الشخص بفريق يتجنب بعض المساوئ، ويسهل فيها إصلاح النفوس بواسطة فضيلة المثل، والمجهودات التى تبذل لارتقائها تعود بالخير على الجميع.

وحياة باخوم هى قبل كل شئ حياة عمل يومى لرجل صمم على تأسيس أول دير فى العالم المسيحى فى الصحراء: وهى فكرة بدت غريبة لمعاصريه أنفسهم إلى درجة أن كانوا ينسبونها لملاك.

---

(١) الميليتيون : هم أتباع ميليتيوس الهرطوقى أسقف أسيوط الذى انشق على البابا بطرس خاتم الشهداء.

وظهور هذا الملاك لباخوم من أهم الحوادث في حياة باخوم، ففي أحد الأيام، وحسب عادته سار الشاب باخوم عبر الصحراء، وتحت دفع من الروح سار نحو عشرة أميال إلى أن أدرك قرية مهجورة على ضفاف النهر تدعى طابنيسى، وفكر في أن يدخل هذه القرية ليصلي.... وفي أثناء الصلاة جاءه صوت من السماء قائلا (يا باخوم أسكن في هذا المكان وأقم مسكناً لك فسيأتيك جمهرة من الرجال لفائدة نفوسهم)، وفي روايات جاءت بعد ذلك تروى هذا الحادث بدقة أكثر: أن ملاكاً ظهر لباخوم وأعطى له تعليمات وسلمه على لوح من النحاس قانون أديرته المستقبلة، وفي ذلك المكان أقام باخوم بعد بعض الوقت أول دير له. والمهم في هذه القصة هو أنه في فترة ما من حياته جاء لباخوم الإلهام – أو الفكرة – لما نذر له نفسه: وهو أن يجذب الناس إلى خارج العالم، كمثاله، وأن يجمعهم حوله، مكوناً بذلك في الصحراء جماعات تقوم على قوانين اجتماعية ومبادئ جديدة.

هذا هو لب المسألة، الطرافة العجيبة للمشروع الباخومى! إقامة مجتمع من الرجال (ابتداء من الصغر)، وتنظيم حياتهم وعلاقاتهم وفقاً لنظام فريد خارق للعادة بدرجة أن معاصرى باخوم وتلاميذه نسبوه أصلاً إلى ملاك.

ومنذ تأسيس أول دير في طابنيسى إلى نياحة باخوم ٣٤٦م كرس نفسه لتنظيم حياة الشركة الرهبانية وكان تنظيم أديرته فريداً أيضاً فوحدة الدير هي القلاية يسكنها ثلاثة رهبان، وكل إثنتى عشرة قلاية تكون بيتاً، وكل أربعة بيوت تكون قبيلة وكل عشر قبائل تكون ديراً.

ويشرف على جميع الأديرة رئيس أعلى وكان دائماً باخوم وبعده تلميذ تادرس. وكان يوجد رئيس لكل دير (إيغومينوس)، وعلى كل بيت يوجد قارئ أو معلم وكل بيت يحتوى على رهبان ذوى مهنة واحدة.

وما يُعرف (بقانون الملاك) يفترض بعض المؤرخين أنه نبع في الحقيقة من العبقرية الشخصية لباخوم. ومما جاء فيه أن يقسَّم الرهبان إلى أربعة وعشرين قسماً أو فرقة وفقاً للحروف الأبجدية اليونانية من ألفا إلى أومجا، هذا التقسيم يتم وفقاً لحياتهم الفكرية والروحية. ويقول القديس جيروم أن حرف يوتا وهو أصغر وأبسط الحروف يدل على الرهبان الهادئين الأتقياء، أما حرف (إكسى) ذو الرسم المتعوج فيدل على الرهبان دوى الأمزجة الصعبة وهكذا. ولا يعرف أى راهب الحرف الذى ينتمى إليه. الرؤساء فقط ورؤساء البيوت هم فقط الذين يعرفون دلالة هذه الحروف.

وطبعاً كان يضاف إلى القانون الباخومي مواد كلما دعت إلى ذلك الحاجة وقد ترجم القديس جيروم إلي اللاتينية ١٩٤ مادة وهو أول قانون رهبانى في العالم ومنه أخذت جميع القوانين الرهبانية وهو يغطى بدقة كل ما يتعلق بالحياة اليومية للراهب من حيث العمل والصلاة الجماعية والنظام.

وكان للعمل نظام أيضاً في حياة النسك، فكان على كل راهب أن يعمل بيديه علاوة على مهنته فيجدل حصيرة واحدة فى اليوم من البردى ثم يضعها على باب قلايته. (تعلم أن تصمت) كانت إحدى القوانين الهامة للجماعة الباخومية.

لقد نجحت التجربة الباخومية، وعند نياحته ترك تسعة أديرة للرجال كانت تحتوى على ما بين ستة ألاف وثمانية ألاف راهب. لقد ولدت الشركة الرهبانية وانتشرت بسرعة فى كل مصر، ثم فى أشكال مختلفة قليلاً فى فلسطين وسوريا وكبادوكيا واليونان والمغرب. لقد ولدت من أناس أرادوا ترك العالم، ولكن الأديرة الباخومية (رجعت على العالم)، إذ نظرا لأهميتها أجبرت على أن تلعب دوراً كبيراً في الحياة الدينية والاقتصادية والسياسية لمصر المسيحية، وهذا هو المظهر الغريب المتناقض لهذه التجربة لقد أرادوا أن يخرجوا خارج العالم والتاريخ، وإذا بهم أخيراً يصيرون قوة دينية أثرت على التاريخ بعظمتها المادية. وعند نياحة القديس أنبا باخوم كان الميزان إيجابياً ثمانية ألاف رجل يعيشون خارج العالم، خاضعين لما يعرف (بقانون الملاك).

واليوم تقول مجلة (سميثونيان) المركز العلمي الكبير فى الولايات المتحدة أن ثلاثين ألف راهب يخضعون لقانون القديس بند كت. ونضيف المأخوذة من قانون العبقرى المصرى أنبا باخوم. وسيظل هذا القانون مؤثراً فى حياة الجماعات الرهبانية بشكل أو آخر إلى أبد الدهر.

ورهبان القديس بندكت والجماعات الرهبانية العديدة التى تفرعت عنها هى التى تولت نشر المسيحية فى أوروبا منذ القرن السادس وحافظت على التاريخ والفن والتراث الأدبى والدينى والعلوم حتى أطلق عليهم (الرهبان الذين نشروا الحضارة فى أوروبا)، ونترك تفصيل ذلك للمقال الجامع الممتع بقلم الأستاذ العالم الجليل فى تاريخ العصور الوسطى دكتور عزيز سوريال عطية .

المصـــادر

المصادر العربية:

رسالة جمعية مارمينا العجايبى الثالثة (الرهبنة القبطية) عام ١٩٤٨.

المصادر الأجنبية:

1- "Les Saints d'Egypte" R.P. Paul Cheneau, D'Orleans O.F.M.

2- "Saint Benoit" par Don Stephan Hilpisch.

Edit. Desclée de Brouwer, Belgique.

3- "Les Perea Du Desert" par Rene Draguet. Professeur a éuniversite de Louvain. Plon.

4- "Vies des Peres des Deserts" par le R. P. Michel-Ange Marin. Lyon, Paris 1824.

5- "Les Hommes Ivres de Dieu" par J. Lacarriere. Edit. Arthaud.

6- "Le Museon," L. TH. Lefort. 1939. 1943. 1921.

7- "Egypte" par Mekhitarian. Edit. Bloud et Gay.

8- "Pachomiana" on the occasion of 16-Anniversary 1946.

الباب الثانى

نشأة الرهبنة المسيحية فى مصر وقوانين القديس باخـوم



د. عزيز سوريال عطية

تمهيد [*]:

كنا قد أصدرنا رسالتنا الثالثة عام ١٩٤٨م عن (الرهبنة القبطية) احتفالاً بمرور ستة عشر قرناً على نياحة القديس أنبا باخوم. وقد كان لهذه الرسالة صدى بعيد فى أوساط الشباب القبطى مما كان له أثر واضح في نفوسهم وفى نظرتهم إلى هذه الحياة الروحية التي كانت مصر مهدها، فإذا بنا نرى بعد هذه الرسالة وقد قصد نخبة منهم الأديرة يعمرونها ويرفعون من شأنها عاملين على بذل الجهد فى إرجاع مجدها القديم، ونشكر الرب إذ عشنا لنرى تلك الثمرة المباركة.

وكان من مما زان تلك الرسالة المشار إليها تلك المقالة الممتعة حقاً الجامعة بقلم أحد أساتذة العصور الوسطى العالميين الأستاذ الجليل دكتور عزيز سوريال عطية، ونظراً لاستنفاذ نسخ هذه الرسالة منذ زمن طويل فقد رأينا انتهاز فرصة هذه الرسالة التاسعة لأجل أن نضمنها تلك المقالة الفريدة خدمة للشباب وللباحثين، فيما يلى:

(*) كلمة د. منير شكرى فى تقديمه لكلمة د. عزيز سوريال عطية فى الرسالة التاسعة للجمعية التى صدرت عام ١٩٨١.

الفصل الأول

مقدمـة

تاريخ الرهبانية العام من الموضوعات التى كانت محل بحث وتأليف واسع النطاق فى الدوائر العلمية والتاريخية منذ أن كانت هنالك نهضة فى البحث والتأليف وإحياء تراث المدنية المسيحية. ولا شـك أن الفضل فى ذلك يرجع لحد كبيـر إلى أولئك الجهابذة من الرهبان الذين أنزووا عن الحياة الدنيا وما يكتنفها من مسئوليات إلى مكتبات الأديرة حيث عكفوا على الدرس والتنقيب في ذلك الجو الصوفى، فتضاعف بذلك إنتاجهم إلي درجة تبلغ حد الإعجاز والأمثلة الدالة على ذلك عديدة جداً ليس هذا مكان سردها، ونكتفى فى هذا المقام باقتباس مثالين أو ثلاثة من الأعمال الخالدة فى هذا الميدان، ونخص بالذكر منها مجموعة "حياة القديسين" (Acta Sanctorum) التى بدأ بجمعها الإخوان البولانديون (Bolloandistes) نسبة إلى مؤسسها (J.Bollandus) سنة ١٦٤٣ بمدينة انتورب فى بلجيكا، وقد بلغ عدد مجلداتها الضخمة للقديسين الذين تقع تذكارات حياتهم من يناير إلي أكتوبر ٦٢ مجلداً ثم أعمال الأب مينى (Abbe Minge) الجبـارة فى مجموعة الآباء اللاتين (Patrologia Latina) في ٢٢١ مجلداً والآباء الأغريق (Patrologia Graeca) فى ١٦٥ مجلداً غير المجموعات الأخرى التى لا نستطيع التعرض لذكرها هنا، أضف لذلك مجموعة قوانين الحركات الديريـة (Code Regularum Monasticarum) التي بدأ نشرها هولشتين بروما في سنة ١٦٦١.

ولكن الملحوظ فى هذا النشاط الأدبى الفائق، وفيما تلاه من البحوث التى بلغت الألوف المؤلفة فى العدد، أن عناية الكتاب كادت تكون قاصرة على تاريخ الرهبنة المـسيحية فـى أوربا، دون التعرض إلا بقدر قليل جداً إلى ذلك الفصل الأول الرائع عن تاريخ الرهبنة المصرية فى القرون الخمسة المسيحية الأولى، بالرغم من أن العالم يدين لمصر بوضع تلك الأسس العتيدة التي بنى عليها واقتبس من قبسها أولئك الآباء الـذين يرجـع لهـم الفضل الأكبر فى توجيه المدنية وبناء الحضارة المسيحية فى العصور الوسطى.

ظل إذن موضوع الرهبنة والديرية المصرية طوال القرون الخالية مجهولاً أو كاد إلي أن تنبه لقدره بعض العلماء والمؤرخيـن والمستشرقين فى الخمسين سنة الماضية علي وجه التقريب، فأخذوا فى التنقيب عن أصوله ووثائقه المتعددة فيما وصل إلينا من

ذلك التراث باللغات القبطية والعربية واللاتينية واليونانية، وما أن تبينت لهم قيمتها حتى سارعوا إلى نشرها نشراً علمياً دقيقاً مصحوباً فى أغلب الأحيان بترجمتها إلى إحدى اللغات الحية، ومن هؤلاء أملينو (Amelineau) قديماً وليفور (Lefort) حديثاً ومن بينهما من الكتـــاب في مختلف الدول أمثـــال لادوز (Ladeuze) وجروتزماخر (Grutzmacher) ووالـــس بادج (Wallis-Budge) وإيفتـــس (Evetts) وكاتبرت بطلر(Cathbert-Butler) وايفلين وايت (Evelyn White) وماكين (Mackean) وغيرهم كثير.

بدأت الأنظار تتجه على هذا الوجه إلى دراسة أصـــول الرهبنة والديرية المصرية دراسة علمية لأسباب كثيرة، **أولها** بأعتبارها فصلا من فصـــول التـــاريخ المـــسيحى العام، **وثانيها** لأن أنظمة المصريين الديرية القديمة هى الأصل والأساس الثابت المكين الذى ابتنى عليه قادة الأفكار والجماعات الديرية فى أوربا أنظمتهـــم المألوفة إلى يومنا هذا، **وثالثها** هو أحياء تلك الناحية الغامضة من تاريخنا القومى نحن معشر المصريين. وفى هذه المناسبة نجد أنه من واجبنا أن نستلفت أنظـــار المواطنين – المسيحى مـــنهم وغير المسيحى على السواء – على أن دراسة تاريخ آباء الكنيسة المصرية لا يجـــوز بأى حال من الأحوال أن تعتبر مسألة طائفية بحتة بل هى دراســـة قومية بكل معـــانى القومية فى هذا العصر الذى عكف فيه الباحثون المصريون على إحياء تراثنا القـــومي فى مختلف عصوره منذ أن بزغت شمس الحضارة المصرية على هذا الوادى، وظلت تنير السبيل إلى العالم المتحضر فى الشرق والغرب قرونـــاً عديـــدة. ومـــن الحقـــائق المفروغ منها أن تعاليم الآباء المصريين فى هذا الدور من أدوار تاريخنا القومى تعتبر من أكبر المفاخر التى جادت بها القرائح المصرية على العالم المتمدين.

ولكننا بالرغم من تلك الجهود المتصلة فـــى درس تـــاريخ الرهبنـــة والديريـــة المصرية، لازلنا على عتبة البحث فى هذا الميدان الذى تتجلى لنا يوماً بعد يـــوم ســـعة أطرافه، وعمق غوره، وتشعب أصوله ومنابعه، وأننا مـــدركون تمـــام الإدراك تلـــك الحاجة الملحة إلي تضافر جهود المجتهدين لوضع تلك الدراسات الديرية المصرية فى الأطار اللائق بها، فيأخذ البعض فى مواصلة نشر الأصول بينما يعكف البعض الآخـــر على كتابة حياة الآباء أمثال أنطونيوس وباخوميوس ومكـــاريوس وشـــنوده وغيـــرهم، ويأخذ الآخرون بعنان درس الأنظمة والقوانين الديرية إدارة الكنيســـة فـــى عـــصرها

الذهبى، تلك الإدارة التى ولد فى طياتها أول مشروع قومى لاستقلال هذا الوطن منذ نزلت به النوازل الكاسحة المتتالية فى غزوة قمبير لمصر سنة ٥٢٥ ق.م.

ونحن إذ تصدينا ونتصدي للمحاضرة والكتابة بقدر متواضع فى هذه الموضوعات، ثم إذ دعونا وندعو إلى المشاركة فى بعث هذه الدراسات بقدر أقل تواضعا مما وفقنا إليه، إنما نشعر في إيمان وصدق بكل تلك العوامل العلمية والوطنية التى تدفعنا إلى القيام بحملة مستنيرة لإحياء هذا التراث المجيد: تراث العلم، وتراث الفكر والحضارة المصرية، إنما التاريخ ذكرى، وإن الذكرى تنفع المؤمنين.



دير مارجرجس – إحدى أديرة منطقة نقاده وقمولا. من الأديرة الباخومية

الفصل الثانى

أصول الرهبنة المصرية

أتفق عامة الكُتّاب فى تاريخ الرهبنة على أن أصول النظام الرهبانى المسيحى ظهرت لأول مرة فى تاريخ مصر المسيحية خلال القرون الأولى من إنتشار هذه الديانة فى العالم المتمدين. كما أنهم أتفقوا على أن مؤسس الرهبنة هو القديس أنطونيوس فى القرن الثالث المسيحى فى صعيد مصر الأوسط.

ومع ذيوع تلك النظرية بين جمهور المؤلفين وأخذهم بها، لا نرى مندوحة من التحفز بعض الشئ فى معالجة هذا الرأى، لأن استعراض محتويات الكتب القديمة فى حياة الرهبان فى مصر المسيحية تدل دلالة واضحة على أن بذور التعاليم الرهبانية غُرست على ضفاف وادى النيل منذ ظهور الديانة الجديدة بين المصريين، وإنتشار المسيحية فى مصر وإنتظام كنيستها على أسس ثابتة الدعائم كان أقدم مما تصور مؤرخو المدرسة القديمة، فقد ظهر فى الكشوف البردية القبطية الحديثة وغيرها أن الناس أخذوا بقواعد هذه الديانة زرافات فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى الميلادى. ولا غرابة فى تهافتهم على إعتناق تلك الديانة وإتباع بعضهم النظم الرهبانية فى هذا العصر السحيق، إذ كانت أذهانهم وأفكارهم وما ورثوه من التقاليد والآراء، حتى فى العصر الوثنى المتأخر أساساً لتفهم معنى الديانة الجديدة، واستساغة تعاليمها والأقبال عليها بشكل لم يتوفر لسكان الأقطار الأخرى من المسكونة.

لا نريد التعرض لتفاصيل هذا الموضوع الواسع لأنها خارجة عن نطاق هذه الرسالة، ولذا فأننا نكتفى فيها بالإشارة إلى بعض الحقائق الأصلية فى الديانة المسيحية وما كان يوازيها فيما وصل إليه العقل المصرى القديم فى نضاله الطويل للوصول إلى قواعد الديانة المصرية فى أدوارها المتأخرة. ففكرة البعث وخلود الروح والثواب والعقاب فى العالم الآخر كانت من أسس الديانتين، كما أن كثيراً من الأفكار التى أنطوت عليها الديانة الجديدة لم تكن غريبة على عقول المصريين، فالثالوث المقدس فى المسيحية يقابله الثالوث المصرى القديم من أوزيريس وإيزيس وحورس مع وجود التوحيد فى المسيحية والعماد بالماء المقدس معروف فى الديانتين والصليب الذى هو رمز الحياة الروحية فى المسيحية كان رمز الخلود عند المصريين القدماء، إذ نرى آلهتهم على الدوام وفى يدهم ذلك الصليب المعقوف الرأس وهو علامة عنخ عندهم. ثم

إن الرهبان أيضاً سبقت المسيحية بينهم فى العصور القديمة. فلا غرابة إذن فى أقبال المصريين على المسيحية وكذلك الرهبانية دون جهد كبير.

وبالرغم من قلة الوثائق والأصول عن العصر المسيحى العتيق إذا قيس بما كتب فى ذلك خلال القرنين الرابع والخامس، نجد بعض الأمثلة لوجود التعاليم الرهبانية فى القرن الثانى، ونذكر من بينها فيما يلى مثالين شهيرين.

الأول أنه فى عهد الامبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨-١٦١م) نسمع عن شخص يدعى فرونتونيوس يرحل إلي برية نتريا وفى صحبته سبعون مسيحياً ليعيشوا عيش الرهبان، زاهدين فى الحياة الدنيا وراغبين فى التقشف والعزلة، كما يظهر ذلك فى "حياة القديسين" (Acta Sanctorum) تحت تاريخ ١٤ أبريل. ويعلق العلامة والس بدج على ذلك بأن تلك الحملة الرهبانية المنظمة لم تكن بطبيعية الحال إلا واحدة من حملات متعددة كانت تحدث تباعاً دون أن تسجلها الكتب المعاصرة. وأغلب الظن أن ذلك راجع لحدوثها في الخفاء بغير ضوضاء أو إعلان لأن الديانة الجديدة وأساسها إنكار الذات وعدم المباهاة بأمثال هذه الضروب من العبادة والتقشف كانت تحض الزهاد والمعتزلين أو الرهبان على الاحتفاظ بأعمالهم سراً لا يعلمه إلا فاحص القلوب.

والمثل الثانى أصدق دليل على هذا التحليل، ويظهر جلياً فى حياة الأنبا بولا الذى هرب من الوادى فى الصعيد الأوسط وتوغل فى الصحراء الشرقية إلى أن ألقى عصاه فى أحد كهوف الجبال المطلة على البحر الأحمر وهو في سن مبكرة، ومكث به إلى أن بلغ من العمر عتياً، إذ يقال إنه مات فى العام الثالث عشر بعد المائة من حياته، ولولا أن عثر عليه القديس أنطونيوس في أعماق الصحراء لظل أمره مجهولاً، ويمكننا الجزم بأن الأمثلة المجهولة من هؤلاء المعتزلة المعاصرين أكثر بمراحل من المعروفة.

وحياة هذا القديس تدعونا إلى التريث عند هذه النقطة لفحصها فى إلمامة سريعة تلقى ضوءاً علي نظام هؤلاء المعتزلة من أقطاب الرهبانية المسيحية. وُلد الأنبا بولا حوالى سنة ١٥٠م من أبوين موسرين، وتيتم وهو في السادسة عشرة فتولى الوصاية عليه زوج أخته الذى كان يتحين الفرص للتنكيل به. وقد تثقف بثقافة عصره المزدوجة، تلك الثقافة الإغريقية والمصرية علي السواء ودرس أصول الدين المسيحى الذى تعلق به، ولما لاحظ أن زوج أخته قد صمم علي تسليمه لأيدى الولاة في أثناء إحدى موجات الأضطهاد التي كانت تجتاح المسيحيين في العصر الروماني، ليستولى على أمواله، قرر بولا أن يهجر

العالم ويتوجه إلى الصحراء حيث يعتزل الخلق إلى عبادة الله ومزاولة حيـاة التقـشف الرهباني. وأخيراً وصل فى تجواله إلى المنطقة التي بنى فيها الدير الذى حمل أسـمه فيما بعد إلى اليوم. ويقال أن القديس أنطونيوس وجده هنالك وتحدث إليه قبيـل وفاتـه التي وقعت "كما يخبرنا المؤرخ بلاديوس في أيام ديسيوس وفاليريانوس"، وكلاهما مـن أباطرة الرومان، الأول حكم من سنة ٢٤٩ إلي سنة ٢٥٣م والثانى من ٢٥٣ إلي ٢٧٠م، أى أنه مات ما بين سنتى ٢٤٩ و ٢٧٠م. وأغلب الظن أن القديس أنطونيـوس الـذى وُلـد حوالى منتصف القرن الثالث كان شاباً حديث العهد بالحياة الرهبانيـة وقتئذ على نقيض مـا جاء فى الرواية المألوفة من أنه كان يبلغ من العمر تسعين عاماً عندما تلاقي مع الأنبا بولا. وإذا سلمنا بأن هذا الأخير عاش حقيقة ١١٣ عاماً حسب روايـة بلاديـوس فلابـد أن يكـون ميلاده على وجه التقريب فى منتصف القـرن الثـانى. وفـي كتـاب البـستان الفـردوس بقلم بلاديوس المذكور وصف طريف للكهف الذى كان يقيم فيه الأنبـا بـولا، ونظامه المعاشى، وأسلوبه فى العبادة، وشخصيته، وكيف قضى نحبه فى سلام. فـالكهف الذى إهتدى إليه كان واسعاً من الداخل ذا فوهة صغيرة يغلقهـا بحجر كبيـر، ويمتـاز بنظافته الفائقة وإنبساط أرضه ونعومة التراب المنثور عليه، وبجـوار الكهـف بعـض النخيل، ويرتدى برداء من الليف الذى يجمعه منه. وقد وجد بولا فى هذا المكان ذاك السلام الشامل والحياة الكاملة التى كان ينشدها، وعاش قرابة تسعين سـنة فـي هـذه البقعـة الموحشة، ولكن هذه الوحشة لم تؤثر على حلاوة شخصيته كما يتضح من رواية لقائـه مع القديس أنطونيوس. وكان يقضـى أيامه ولياليه فى التعبـد والـصـلاة والتأمـل الهادئ، فلما رقد إلى الأبد فى أثناء الصلاة والقديس أنطونيوس على مقربة منه إحتار فى أمر دفن جثته لأن أرض الجبل الذى كان يعيش عليه صخرية، وهنـا يـروى بلاديـوس قصة الأسدين اللذين ظهرا وحفرا الحفرة التى أنزل فيها جسد القديس بعد أن أخذ القـديس أنطونيوس ردائه الليفى وحمله معه.

قصارى القول، إن أصول الرهبنة فى مصر بعيدة الغور، وتاريخها أقدم من تـاريخ القديس أنطونيوس، ولكنها فى بدايتها لم تكن من نوع الحركات الاجتماعية العامة المنظمة، وإنما أخذت وضعهـا الثابت المعـروف، وصيغتها العالمية الواسعة النطاق، على يدى الأنبا أنطونيوس الذى تطورت فى عهده ذلك التطور التاريخى حتى أصبح المؤرخـون ينعتون هذا الدور من أدوار تاريخها بأسم "الرهبنة الأنطونية" نسبة إليه.

الفصل الثالث

الرهبنة الأنطونية

يمكن القول بأن هذا هو الدور الحــق من أدوار تاريخ الرهبنة المصرية بشكلها المألوف، ذلك لأن ما سبقه في الواقع يجب اعتباره بمثابــة مقدمات مرتجلة مهدت لهذا النظـــام الجديد، وإن كانت هذه الأدوار الأولى متداخل بعضها فى بعض، لا نـــستطيع رسم حدودها المضبوطة فى نقط ثابتة معينة، دأب الأنظمـــة والحركات التى تنمو نمواً طبيعياً تبعاً لظروف الأحوال. ولب الرهبنـــة الأنطونية فى عهدها الأول كان ينطـــوى على العزلة الفردية التامة، وإغراق الراهـــب فى ضروب الزهد، ومبالغته فى التقشف والصوم وتعذيب الجسد لخلاص الروح. وربما كانت حياة القديس أنطونيوس ذاتها من أبلغ المثل لهذا النوع من الرهبنة، وقد كتب عنها فى تفصيل القديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية وأسقفها الذى تزاور معه وعلم الشئ الكثير عنه.

وُلد الأنبا أنطونيوس حوالى منتصف القرن الثالث الميلادى فى مدينة قمن العـــروس أو هرقليوبوليس بمصر الوسطى من أبوين مسيحيين، وكان والده مشتغلا بالفلاحة ومن ذوى اليسار والجاه يملك مزرعة واقعة فى وادى النهر الخصيب تبلغ مساحتها ثلاثمائة فدان. وعاش القديس أنطونيوس فى بيت أبويه عيشـــا مترفاً بعض الترف، وتعلم منهما قواعد الدين المسيحى، وإن كان من المحقق أنه لم يأخذ بأى قسط من التعليم الـــدنيوى العـــام، إذ أن المعروف عنه أنه ظل أمياً لا يعـــرف القراءة أو الكتابة لآخر أيامه، ولم يتصل بالثقافة اليونانية أى إتصال، فظل مصرياً صميماً فى طبعه وفى تفكيره. وحوالى سنة ٢٧٠م بينما كان فى العشرين من عمره، توفى أبوه تاركاً مع تلك الثروة العريضة أختاً صغيرة يقـــوم على تربيتهـــا، والعناية بشئونهـــا. غير أن القديس أنطونيوس الذى أستهوته قواعد العقيدة المسيحية كان كثير التردد علي كنائسها، وبدأت تظهر عليه أعراض الاستخفاف بالحياة الدنيا، حتى أنه ذات يوم عندما كان فى الكنيسة سمع الكاهن يعظ الشعب مردداً قول الكتاب المقدس بأن المرء إذا أراد الكمـــال وجب عليه أن يبيع ما يملك وأن يوزعه علي المعوزيـــن ليكسب بذلك ملكـــوت السموات، فأعتبر أنطونيوس هذا الكلام موجها إليه من الله، وسارع إلى إجابة الدعوة ببيع ممتلكاته إلا ما يكفى لسد رمق أخته، ووزع قيمتها علي المساكين والمستورين. وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى قرر بيـــع البقية الباقية أيضاً لتوزيعها على الفقراء عندما سمع الكاهن مرة أخـــرى يـــردد الآيـــة

القائلة"لا تهتم بالغد، بل أجعل الغد يهتم بنفسه، يكفى اليوم شره". ثم عهد بشقيقته إلى جماعة من العذارى اللواتى دأبن على الإجتماع بحجرة الكنيسة للتعبد وتدريب النفس على القداسة، ورحل هو إلى سفوح الجبال الشرقية المتاخمة لحافة الوادى بعد أن عبر النهر، وهنالك بنى لنفسه صومعة أنفرد فيها، وكان أحياناً يخرج منها ليبحث عمن سبقوه إلي العزلة والتقشف لكى يتلقى عليهم دروسه الأولى فى الرهبانية، وهكذا أخذت منه هذه الحياة الجديدة كل مأخذ، جعل يتوغل فى الصحراء شيئاً فشيئاً للابتعاد ما أمكن عن سكان الوادى، وظل يواصل سعيه حتى أستقر نهائياً في الجبال الواقعة قرب ساحل البحر الأحمر، وعاش بقية أيامه فى كهف على قمة جبل قرابة الدير الذى يحمل أسمه إلى اليوم، ومات حوالى سنة ٣٥٦م وعمره أنذاك ١٠٥ من السنين بعد أن طلب إلى تلاميذه أن لا يحنطوا جسده على طريقة أسلافه من المصريين وأن يدفنوه فى مغارته.

ولم ينزل القديس أنطونيوس فى مدة الخمسة والثمانين عاماً التى قضاها فى تلك البقعة إلى الوادى على ما نعلم إلا مرتين عندما شعر بأن المسيحيين هنالك بحاجة إلى هدايته ومساهمته فى تشجيعهم عندما حاقت بهم المحن الكبرى التى منيت بها المسيحية فى أوائل عهدها بمصر. أما الأولى فهى ذلك الأضطهاد الكاسح الذى أنزله الإمبراطور الرومانى مكسيميانوس بمسيحى مصر سنة ٣١١م، فلم يجد القديس بدا من الخروج عن عزلته ليشد أزر المؤمنين ويقويهم فى أمانتهم لما بلغ الاضطهاد أوجه، فكان يزور السجون، ويتنقل فى المدائن معرضاً حياته لأشد المخاطر فى شجاعة ورباطة جاش. والمحنة الثانية جاءت عند إستفحال هرطقة اريوس الكاهن السكندرى فى أثناء حكم الإمبراطور قسطنطين الكبير، فنزل القديس أنطونيوس من الصحراء الشرقية إلى المدن المصرية سنة ٣٣٨ لكى يساعد القديس أثناسيوس في كفاحه الدامى ضد الهراطقة من أتباع اريوس، ولا شك أن شخصيته كانت من أكبر الدعامات فى رد المصريين إلى حظيرة الإيمان المسيحى الحق وكبت هذه الضلالة أو البدعة الجديدة.

أما نظام حياة القديس فى عزلته فكان بسيطاً بالرغم من إغراقه فى التقشف بتناول القليل من الخبز المجفف وبعض الملح ولا يشرب غير الماء، وكان إفطاره فى العادة مرة واحدة عند غروب الشمس، وأحياناً كان يمضى ثلاثة أيام أو أربعة فى صيام كامل عن الطعام والشراب، وقيل أنه كان فى بعض الأوقات يمد فترة الصيام التام حتى تبلغ عدة أسابيع. وكان يقضى لياليه ساهراً مصلياً، فإذا نام كان نومه على حصيرة من سعف النخيل. ولم يغتسل فى حياته الرهبانية أبداً، كما أنه لم يدهن جسده بالزيت. وكان

رداؤه عبارة عن فروة غير مدبوغة يلبسها مقلوبة لكى يقع شعرها على جسده إمعاناً فى تعذيب نفسه بخشونتها. ولم يكن يتدثر بغطاء فى نومه إلا بعد أن طعن فى السن وأخذ منه الضعف مأخذه فكان يضع فوقه إحدى الفراء.

أما شخصيته فقد أطال فى وصفها القديس اثناسيوس. كان حليما لا يغضب، بلغ من الحكمة وعمق التفكير مع بساطته مبلغاً رائعا، وأسلوبه في الكلام كان واضحاً وقوياً ومقنعاً بالرغم من أنه كان أمياً ولم يتكلم سوى اللغة المصرية ولم يدرس علوم الإغريق وفلسفتهم، وكان ذهنه حاضراً وقريحته وقادة كما يظهر من جدله مع من زاره فى عزلته من فلاسفة اليونان وحكماء الوثنية، وظل إيمانه بعقيدته ثابتاً كالصخر، كما بقيت نفسه هادئة تشع السلام على من حواليها، وكان شفيقاً بالناس، رحيما بهم، قادراً على معالجة ما يصادفهم من الأزمات الروحية بدون أن يقسو عليهم، أو يبعث اليأس فى نفوسهم، واسع الإدراك. محبوباً من الجميع على السواء.

لا غرو إذن أن تجتذب مثل تلك الشخصية الفذة الحلوة أعداداً كبيرة من الرهبان الذين تتلمذوا عليه، وأصبح هو فى نظرهم المثل الأعلي للحياة الكاملة، يقتدون به، وينسجون علي منواله، حتى أن الصحراء أصبحت تعج بجماعاتهم في جبالها الشرقية. ولكن النظام الأنطونى ظل في أساسه نظاماً فردياً، أساسه العزلة والتقشف والصوم، لأن قمع الجسد والحرمان كان فى نظرهم الوسيلة المؤدية لنجاة النفس وخلاص الروح وكان الأخوة من أتباع القديس انطونيوس يتنافسون فى هذا الميدان، إلى حدود تفوق حد الحسبان.

غير أن نظام العزلة التامة الذى زاوله الجبابرة من المتوحدين كان مصيره الطبيعى أن يتطور تطوراً بطيئاً إلي نوع من الرهبنة الاجتماعية المخففة، وأخذت بوادر هذا التطور فى الظهور رويداً رويداً حتى فى أثناء حياة القديس انطونيوس ذاته.

الفصل الرابع

الجماعات الرهبانية

تعتبر الرهبنـــة الجماعيـــة (Collective Eremiticism) المرحلة الثانية فى تطـــور الأنظمة الرهبانية المسيحية المصرية، وهى المرحلة المتوسطة بين التعاليم الأنطونية الأولى وقوانين الديرية الباخومية. ولا شك أن هذا التطور كان أمراً إنسانيا طبيعياً في الظروف القاسية التي كانت تحيط بالمتوحدين الذين عمدوا إلى انتزاع أنفسهم انتزاعاً كاملاً من كل الصلات البشرية، ولم يحسبوا للمخاوف والأخطار التى كانت تتهددهم أى حساب. فمن الناحية المادية وجدوا أنهم يعيشون فى صحراء جرداء، تندر فيها ينابيع الماء، وتكاد تكون خلوا من موارد الغذاء، ولابد لهم من الارتحال أميالاً عدة لكى يحصلوا علي ما يسد رمقهم من المأكل والمشرب مهما كان قليلاً. فإذا نزلت بأحدهم نازلة المرض وعجز عن التنقل، كان مصيره الموت المحقق. ثم إن الصحراء إلي جانب ذلك كانت تجوس فى جنباتها الحيوانات الضارية، ويجوب أكنافها قطاع الطرق من أهل البادية وأنصاف المتوحدين، وكلاهما لا تعرف الرحمة لقلبه سبيلا. أما من الناحية الروحية فقد كان المتوحدون ولاسيما البادئون منهم في سلم الرهبنة يتعرضون لأزمات نفسية عنيفة تودى بكيانهم المعنوي، ولدينا أمثلة – وإن كانت قليلة – من الرهبان الذين أصابهم الجنون فتركوا كل شئ وعادوا إلي المدينة يعيشون فيها عيشة غير طبيعية بعد أن قضوا أعواماً في جوف الصحراء علي الكفاف وقتل الغرائز الإنسانية والتقشف والتأمل والصراع مع أنفسهم، ونذكر من بين هؤلاء فالنس (Valns) الفلسطينى وبطليموس المصرى.

كان إذن من الطبيعى لهؤلاء المتوحدين أن يفكروا فى التخفيف من عزلتهم بعض الشئ تدفعهم لذلك الغريزة البشرية لحب البقاء، فأخذوا فى تركيز صفوفهم فى منـــاطق معينة حول الشخصيات الكبرى من الآبـــاء الروحيين ليتتلمذوا على أب لهم فى الروح اشتهر بالقداسة والعلم بأصول الديانة والتفقـــه في الكتب المقدسة، وليسترشدوا بتعليمه ويتشبهوا به فى قدسيته، وإن كان كل منهم لازال يحافظ على حيـــاة التوحد التى وهب نفسه لها فى مغارته أو قلايته دون أن يتعـــرض له جاره، أو يقطع عليه أحد زملائـــه حبل التفكير والتأمل والعبادة. ولكن مغاورهم وقلاليهم كانت قريبة بعض القـــرب مـــن بعضها، تقوم حول قلاية أبيهم الروحي. وبهذه القربى أيضاً يتغلبون علـــى الـــصعاب الماديـــة التى كانت تواجههـــم، فإذا ما نزلت بأحدهم نازلة المرض أو كارثـــة غيـــر

منظورة، كان له من جيرانه من الإخوة عون فى الشدائد والنوازل. وهم فى نفس الوقت يجتمعون إلى أبيهم الروحى بين أونة وأخرى ليشد أزرهم، ويحسن توجيههم، ويساعدهم فى التغلب على أزماتهم النفسية.

وهنالك عامل أخر دفعهـم إلى الحياة الاجتماعية المخففة، ألا وهو الاضطهادات الدينية التى كانت الحكومة الإمبراطورية تثيرها ضد المسيحيين للقضاء عليهم. فنجد أن المتوحدين بعد اضطهادات ديسيوس ودقلديانوس علي وجه أخص يجمعـون صـفوفهم عند اللزوم للدفاع عن أنفسهم. ومهما يكن من أمر هؤلاء الرهبان المسالمين، فإن كثرة أعدادهم – وقد بلغت الألوف المؤلفة – وهم مسلحون بعصيهم الثقيلة إنما كانوا يكونون جيشاً لا يستهان به، ولا تستطيع أى حكومة أن لا تقيم لخطرهم علي عمالها أي وزن.

وأهم المناطق التي تركزت فيها جماعات الرهبان بصحراوات مـصر الـشرقية والغربية نذكرها فيما يلى:

١- (منطقة بسبير "Pispir") في الصعيد الأوسط، واقعة فى الجبال الواقعة على الحافة الشرقية للنيل علي مقربة من مدينة بنى سويف، وهى المنطقة التي بدأ فيها القديس أنطونيوس حياته الرهبانية الأولى، ثم انتقل منها إلي الجبال النائية المطلة علي البحر الأحمر، وتبعه إلي بسبير فما وراءها عدد هائل من الرهبان الذين اجتذبهم شخصيته فسعوا إلي التتلمذ عليه وعاشوا فى رعايته الروحية، وقد ازداد عددهم إبان حياته وفى شيخوخته حتى بلغوا الألوف، وهنالك وصف أدبى رائع للصحراء التي ازدهرت بهم فى كتاب "تجارب القديس أنطونيوس" (Les Tentations de St. Atoine) بقلم الكاتب العظيـم جوستاف فلوبير (Gustave Flaubert)، وهذا الكتاب وإن يكن من الآثار الأدبية التى قد يصطدم فيها الخيال ببعض الحقائق التاريخية إلا أنه يصور لنا الحياة العامة للزهاد والنساك فى ذلك العصر وفى تلك المنطقة فى صور من أجل وأروع ما انتجته أقلام المؤلفين فى هذا النوع من القصص التاريخى.

٢- (منطقة "جبـل نتريـا") وكانت تعرف أيضاً باسم برية شيهيت التـى هـب إليهـا المتوحدون منذ أقدم العصور المسيحية فى القرنين الثانى والثالث، وتقـع الآن إلـى الغرب من منتصف الطريق الصحراوى الحديث بين مصر والإسكندرية تقريباً حيث يوجد على مقربة منها إلى اليوم دير البراموس الشهير من مؤسسات القرنين الرابع والخامس. ويروى الكاتب بلاديوس الذى زار هذه المنطقة حوالى سنة ٣٩١م أنـه

وجد هناك خمسة آلاف راهب يعيشون مع بعضهم مثنى وثلاثا وفي جماعات صغيرة، غير ستمائة ناسك يعيشون فرادى داخل الصحراء.

وكانت هذه المنطقة تنقسم إلى ثلاثة مراكز رهبانية: أولها جبل نتريا (Nitria)، وثانيها مستعمرة للقلالى (Cellia)، وثالثها الاسقيط (Scetis) على التوالى من الشمال إلي الجنوب منحرفة صوب الشرق قليلاً. ويعزى الفضل فى تأسيس الأولى إلى أمون الذى نزح إلى تلك المنطقة حوالى عام ٣٢٥م، بعد أن عاش ثمانية عشر سنة فى منزل الزوجية بالإسكندرية، وقصة زواجه قسراً وإقناعه زوجته أن تحيا معه حياة التبتل والعبادة سرا طوال هذه الفترة مشهورة. أما المركز الثانى فقد نشأ حول أبى مقار السكندرى الذى وُلد بالإسكندرية في فجر القرن الرابع، ثم مال إلى النسك فأخذ يتوغل فى صحراء مريوط (Mareotis) إلي أن استقر فى جهة القلالى وعرفت بهذا الاسم لأن أتباعه تكاثروا حواليه وبنى كل منهم لنفسه قلايته فى جواره ليتتلمذوا عليه، وقد اشتهر أبو مقار بسبقه المضطرد لغيره من النساك فى ضروب التقشف وقمع الجسد وإنكار الذات حتى أصبح لا يتناول من الطعام أكثر من ثلاث أو أربع أوقيات من الخبز الجاف ومن الماء ما لا يربو عن حاجته فى ابتلاع هذا الكفاف، وكان يعرض نفسه طوال يومه لشمس الصحراء المحرقة، ويمنع نفسه من النوم يقضى طوال ليله فى العبادة، فلما اكتظت القلالى بالرهبان من حواليه، هجرها بعض الرهبان إلى المركز الثالث وهو الاسقيط وكان أشد وعورة من سابقيه، وقد أسسه القديس مكاريوس الكبير المصرى.

وكانت الحياة فى تلك المنطقة كما يصفها الرحالة والحجاج حياة اجتماعية استقلالية تذكرنا بعض الشئ بالمؤسسات الباخومية التي سنتكلم عنها فيما بعد فقد كان بين الأخوة عدد من الخبازين الذين يعدون الخبز للرهبان، وعدد من النساجين الذين ينسجون التيل لملابسهم وكذا الزارعون وصناع النبيذ من الكرم الذى ينبتونه، كما كان بعض التجار يرتادون هذه المنطقة لشراء ما يزيد على حاجة الرهبان، وكان بينهم الأطباء للعناية بالمرضى. أما حياتهم الدينية فكانت موضع الإعجاب، إذ أن بلاديوس الذى كان يسمع ترتيلهم المزامير إذا ما أرخى الليل سدوله قد سما به الخيال إلى أن تصور أنه انتقل من هذا العالم إلي "جنة عدن"، وقد بنى الأخوة كنيسة عظمى فى وسط المنطقة يجتمعون بها للصلاة معاً ولتناول العشاء الربانى فى يومى السبت والأحد من الأسبوع، وفى ساحة هذه الكنيسة ثلاث من شجرات النخيل علق بكل منها سوط، الأول لعقاب الخطاة، والثانى لضرب اللصوص، والثالث لجلد الأغراب الذين يحيدون عن قواعد الجماعة.

٣- (منطقة ابهنسا) وهى التى كانت تعرف فى العصر الروماني باسم أوكسيرنكس (Oxyrhynchus) فى الصعيد الأوسط على مسافة ١٢٥ ميلاً جنوب القاهرة وكانت من المستعمرات أو المدائن الرهبانية الكبرى ولا تزال إلى اليوم مصدراً من المصادر الرئيسية للآثار القبطية الرومانية، وجاء وصفها فى "تاريخ الرهبان" المنسوب إلي هيرونيموس (Hieronymus) أنها كانت تعج بجماعات الرهبان، فى داخلها خمسة آلاف، وفى خارجها خمسة أخرى، يستمع الزائر إلى أصوات العبادة والتراتيل الدينية بها وهى تملأ عنان السماء أثناء الليل وأطراف النهار، وأعجب من هذا أنه كان بها أسقف فى رعاية عشرين ألف راهبة من العذارى، وهذا التقدير مع ما فيه من المبالغة الواضحة إنما يزودنا بفكرة عامة عما بلغته الحركة الرهبانية من التوسع فى القرون الأربعة الأولى من تاريخ المسيحية في بلاد مصر.

٤- (منطقة ليكوس Lycus) بالقرب من أسيوط وقد أمَّها خلق عظيم اجتذبهم إليها العجائب التى كانت يصنعها الناسك يوحنا النجار المولود سنة ٣٠٤م والذى نزح للزهد في جبل ليكوس سنة ٣٣٠ حيث أقام إلي أن مات سنة ٣٩٤م. وقد اشتهر بين معاصريه بنعمة التنبؤ بالغيب وصنع المعجزات حتي ذاع صيته فى أقصى المسكونة. وسعى إلى الأخذ بمشورته أناس من جميع الطبقات ومن بينهم الإمبراطور ثيودوسيوس المتوفى سنة ٣٩٥. ومن ضروب الزهد التى كان يمارسها القديس يوحنا أن عاهد نفسه ألا يتناول من الطعام ما كان مطبوخاً على النار بما فى ذلك الخبز، فكان طعامه قاصراً على الأعشاب المجففة.

٥- (منطقة انتينوى Antinoe) التى تقع مكانها قرية الشيخ عباده على ضفة النيل الشرقية، وهى التي زارها الرحالة بلاديوس ما بين سنة ٤٠٦ وسنة ٤١٢، وقضى بها أربعة أعوام كاملة يتنقل فى أرجائها نظراً لكثرة من سكنها من النساك، ففى حدود المدينة وجد إثنى عشر ديراً عامرة بالراهبات وخارجها ألف ومائتى راهب دائبين فى الأعمال اليدوية لسد حاجاتهم المعيشية، وعائشين عيشة الزهد والنسك والتبتل والقناعة. ويذكر هيرونيموس أنه كان يأوى صحراءها المقفرة رجل قديس اسمه إيليا بلغ من العمر مائة وعشر سنة قضى هناك منها سبعين عاماً متوحداً يقتات على ثلاثة دراهم من الخبز وثلاث زيتونات يومياً، وقيل إنه فى صباه كان يكتفى بأكلة واحدة كل أسبوع.

ويلاحظ من تلاوة تاريخ النساك والمتوحدين أنه وإن لم تكن هنالك قواعد مكتوبة يسيرون عليها فى حياتهم الرهبانية، أو نظام موضوع يرسم لهم خطة معينة يتبعونها كما سنرى فى قوانين القديس باخوم، إلا أنه كانت هنالك تقاليد وعادات مرعية الفوها

أو استوحوها من آبائهم الروحين، وجعلوها أساساً لاجتهادهم في ميدان النسك وفي مقدمة هذه العادات أو التقاليد الهروب من وجه الناس إلى التوحد والبتولة وحياة الفقر المطلق والطاعة وتدريب النفس على الاحتمال والصبر والمحبة والصدق في المعاملة وكان النساك يتبارون في الصيام. وعلى كل حال كان المفروض أن لا يتناول الراهب غير الخبز المجفف وبعض الملح مرة كل يوم، وفي بعض الأحيان كان البعض يسمحون لأنفسهم بأكل الخضروات المسلوقة والفاكهة والعسل البرى متى وُجد، أما اللحوم فكانت محرَّمة كل التحريم، وكان النبيذ غير مرغوب فيه، واقتصر مشربهم على قدر من الماء. أما ملبسهم فكان من فراء الماعز غير مدبوغة ومقلوبة بحيث تقع خشونة الشعر على أجسادهم، ولكنهم أحياناً كانوا يرتدون برداء مصنوع من التيل الخشن. وكان نومهم على حصيرة من سعف النخيل, إلا أن الكثيرين كانوا يفضلون الانبطاح على الأرض العارية أو على العشب والحشائش كما كان البعض يعرضون أجسامهم للعرى في شمس الصيف المحرقة وبرد الشتاء الزمهرير. وكان السكوت التام والتزام القلالى أو المغاور للصلاة والتأمل من الضرورات الملازمة للناسك، وإحلال العبادة محل النوم أمر مألوف بينهم عموماً، وقد ذهب القديس ارسانيوس إلي القول بأن نوم ساعة واحدة في الليل تكفى الناسك. والصلاة عند المتوحدين أصطحبت عادة بالحزن العميق وأحياناً بالبكاء وصرير الأسنان. ويقترن احتقار الناسك لهذا العالم بإظهار المحبة المطلقة لبنى الإنسان والحيوان على السواء. وقد لوحظ على كثير من المتوحدين شغفهم بالحيوان حتى الضارى منه حتى أنست الوحوش لهم ولم تفزع من رؤيتهم ولكن يجب أن نتذكر على الدوام أن هذه القواعد العامة من قبيل الاستنباط فحسب، وأن المتوحدين كانوا يمارسون العبادة كل على طريقته الخاصة وهم يتسابقون في ميدان البطولة الروحية وإذلال البدن والحرمان وكبت الغرائز والتقشف والإمعان في الوحدة والمتوحدون عادة لم يكن من قواعدهم العمل اليدوى، كما كانوا يربأون بأنفسهم عن مطالعة الكتب أو اقتنائها خلافا لما سنبديه في صدد قوانين أنبا باخوم، ذلك لأن الناسك كان في غنى عن الاسترشاد بالكتب، وإنما كان الاسترشاد بالله وحده عن طريق التأمل والعبادة والصلاة وإعلاء الفكر والروح إلى الأبراج السماوية، وليس شغل الناسك هو القراءة أو العمل اليدوي. وكان الناسك عادة قليل الحركة قابعاً في عقر مغارته يقضى فيها السنين الطوال دون الخروج منها، معتمداً على أهل البر في إيصال حاجات الجسد من مأكل بسيط إلى بابه. والعجب العجاب هو أن أولئك الزهاد كانوا يعيشون أعماراً طويلة تتجاوز القرن في أمثلة لا تعد ولا تحصى.

الفصل الخامس

قوانين القديس باخوم والحياة الديرية

تعتبر الديرية الباخومية ثالث الأدوار الكبرى وخاتمتها في تطور الحياة الرهبانية في مصر التى اصطلحوا على تسميتها بحياة الشركة. وللمرة الأولى في تاريخ الرهبنة نسمع عن أديرة منظمة ذات قوانين وضعية، ونظم محبوكة، تخضع لها الجماعة كبيرها وصغيرها. وهذا الفصل الجديد فى تطور التعاليم الرهبانية من أروع الفصول وأهمها في كل تاريخها السابق واللاحق، سواء فى ذلك مصر المسيحية أو أمم الشرق والغرب بلا استثناء. ولكى ندرك كنه هذه التعاليم الفذة، لابد لنا من دراسة حياة القديس باخوم بالقدر الذى تؤهلنا له الأصول والوثائق التاريخية وهى قليلة ومتضاربة، لأن فى هذه الدراسة مفتاح ذلك النظام الذى طلع به على العالم.

ولد أنبا باخوم فى بلدة كينوبوسكيون (Kenoboskion) بمنطقة طيبة ويقال إن مكانها الآن بلدة قصر الصياد الواقعة فى مديرية قنا بصعيد مصر الأعلى وكان ميلاده علي وجه التقريب فى سنة ٢٩٠م أو على وجه التحقيق ما بين سنتي ٢٨٥، ٢٩٥ من أبوين وثنيين، ومن ذلك نستنتج أن أنبا باخوم قضى سنيه الأولى في التقاليد والعبادات الوثنية، ولكننا لا نعلم تمام العلم كيف تربى أنبا باخوم فى صباه، إذ أن كل ما وصل إلى علمنا بعدئذ هو أنه انخرط في سلك الجندية الرومانية وهو فى سن العشرين، واشترك فى الحروب التى أثارها الإمبراطور مكسيميانوس على قسطنطين سنة ٣١٠، ولكن هذه الحملة كانت قصيرة الأجل لإندحار الأول وقتله فى نفس السنة بأمر قسطنطين، وبذلك انصرف أنبا باخوم إلي الحياة المدنية. ومع أن خدمته الحربية كانت مقتضبة على هذا الوجه، إلا أن تأثيرها فى حياته كان بالغاً إلى أقصى حد. وأول آثارها أنها أخرجته من الجو الوثنى الذى كان يعيش فيه ببلدته، وأتاحت له فرصة الاختلاط والتعرف بالمسيحيين وعاداتهم ودينهم فى مناطق أخرى. وقد حدث أن الكتيبة التى كان يعسكر بين أفرادها إلى مدينة لاتوبوليس (Latopolis) وهى إسنا الحديثة، فخرج سكانها إلى الجند يطعمونهم ويقضون حاجاتهم فى دعة ودماثة خلق، فتعجب من ذلك أنبا باخوم وسأل عن هؤلاء الناس الذين أكرموهم كما لو كانوا أهلا لهم وليس بينهم سابق معرفة، فقيل له إنهم مسيحيون، فما أنصرف عن الجندية إلا وعكف على دراسة قواعد هذا الدين الجديد، وإنتهى الأمر به إلى اعتناقه المسيحية فى سنة ٣١٤. وبذلك وجدت الديانة الجديدة واحداً من أكبر زعمائها. غير أن الحياة العسكرية كان لها أثر فى تكوين شخصية أنبا باخوم،

فتعلم فيها النظام والطاعة والعيشة الاجتماعية والعمل البدنى مما نلحظه من الصفات التي امتازت بها قوانينه الرهبانية فيما بعد.

ثم تملكت تلك الديانة على كل مشاعره حتى قرر ترك العالم، ورغب فى الحياة الرهبانية، وتبع القديس بلامون وتتلمذ عليه، وحاول القديس بلامون بادئ ذى بدء أن ينهى أنبا باخوم عن حياة النسك والتوحد لأنها حياة قاسية محفوفة بالأتعاب والآلام التي تعدو حدود التصور، ثم وضح له القديس بلامون نظامه مبدياً أنه لا يتناول من الطعام إلا كسرة واحدة من الخبز الجاف مع قليل من الملح مرة يومياً في أثناء الصيف ومرة فى كل يومين من فصل الشتاء، وأنه لا يستعمل الزيت ولا يشرب النبيذ، وأنه يقضى نصف الليل أو الليل برمته في ترديد المزامير والكتب المقدسة. ثم نصحه أن يفكر طويلاً قبل الأقدام على هذا النوع من العيش لأن كثيرين قبله ظنوا أنهم يستطيعون ممارسته، ولكنهم ارتدوا، والردة أمر غير مرغوب فيه لأن من وضع يده على المحراث لا يجب أن ينظر إلي الوراء. ولكن القديس باخوم طلب من المعلم أن يطلب إلي السيد المسيح أن يهبه الجَلَد والقوة لكى لا ينوء كاهله بهذا العبء الفادح، وأن يساعده على ممارسة حياة النسك حتى الموت. عندئذ قبله القديس بلامون تلميذاً له. وقد كان دور التلمذة عنيفاً في مجمله، مليئاً بتعذيب الجسد والصيام وسهر الليالى، وقيل أن القديس بلامون وجده فى ليلة من الليالى وقد أخذته سنة من النوم، فأيقظه وأخرجه من قلايته وكلفه بأن يقضى بقية الليل فى نقل أكوام الرمل من جانب من الصحراء إلي جانب آخر، قائلاً له أجتهد فأن العمل والجهد البدنى يدفع الشيطان عن إفساد ثمرة أتعابك. وكان أنبا باخوم موضع إعجاب معلمه الذى رضى فى النهاية عما وصل إليه تلميذه من السمو ودرجة الاعتماد على النفس، فطلب إليه أن يذهب ليحيا حياته فى وحدة تامة وأن لا يتلاقيا بعد الآن إلا دفعة واحدة فى السنة الواحدة. ويقال إن الفترة التى قضاها فى رعاية القديس بلامون سبعة أعوام كاملة.

إنصرف أنبا باخوم عندئذ إلي جهة في منطقة طابنا (Tabenna) بالقرب من قنا فى مواجهة دندره ليواصل فيها حياة التقشف والتوحد، وكان كفاحه فيها شديداً، وقيل أنه مرة قضى أربعين ليلة متوالية دون أن يذوق طعم النوم، عاكفاً على العبادة والصلوات. وأخيراً تقول الروايات الدينية إنه جاءه الوحى من الروح القدس على يد ملاك أنبأه بأنه أتم فترة التجربة كاملة وأنه لا حاجة له بالبقاء فى مكانه، بل عليه أن يتجول في القفار لجمع الأخوة المتوحدين، والنساك الذين يهيمون على وجوههم فى الأرض، وأن يسكنهم معاً فى دير يقام لهم، وأن يخضع الجميع لقانون واحد. ثم دفع له

الملاك بلوح نقشت عليه الوصايا التي يجب على الإخوة أن يسيروا بموجبها وعددها ستة، والكلام فيها موجه فى صيغة الأمر إلى أنبا باخوم، ننقلها فيما يلى مع قدر قليل من التصرف:

(١) دع الرجل (والمقصود الراهب) يتناول من المأكل والمشرب ما يشاء، وعلى قدر قوة هؤلاء (الرهبان) ممن يأكلون ويشربون تلزمهم بالعمل، ولا تنهاهم لا عن الأكل ولا عن الصوم، أما الضعفاء والصائمون فنطالبهم بالأعمال الخفيفة.

(٢) وعليك أن تقيم لهم القلالى يسكنونها معاً ثلاثة ثلاثة.

(٣) وعليهم جميعاً أن يتناولوا الطعام معاً فى قاعة واحدة.

(٤) وعليهم أن لا يناموا منبطحين على الأرض، ولكن عليك أن تصنع لهم المقاعد، حتى إذا ما إستلقوا فوقها أمكنهم أن يسندوا رءوسهم عليها.

(٥) وعليهم في أثناء الليل أن يلبسوا جلباباً بغير أكمام، وأن يشدوا أوساطهم بحزام، ويجب أن يعطى لكل منهم طاقية لغطاء رأسه. وعليهم أن يتناولوا العشاء الربانى في يوم السبت وفي أول يوم من الأسبوع (يوم الأحد) وطواقيهم فوق رءوسهم دون أن يكون عليها أغطية أخرى، وعلى صدر كل طاقية منها صليب مشغول من القرمز.

(٦) وعليك أن تقسم الرهبان إلى أربع وعشرين مرتبة (أو درجة)، وأن تميز كل مرتبة بحرف من الحروف الأبجدية اليونانية من الألفا إلي الأوميجا (أى من الألف إلي الياء)، لكل مرتبة منها حرف.

هذه هى الوصايا الستة كما أوردها الأسقف بلاديوس فى كتابه "بستان الفردوس" وقد عقب فيها الكاتب على الفقرة الأخيرة بما يفهم من منطوقه أن كل حرف يرمز به إلي صفة من الصفات تشترك فيها طبائع جماعة الرهبان الذين ينتمون إلى هذا الحرف أو القسم، فالبسطاء في الروح مثلا يرمز لهم بحرف "يوتا"، وصعاب المراس والمعاندون يرمز لهم بحرف "اكسي" وهكذا بحيث يستطيع رئيس الدير أن يعرف من هذا الوضع صفة كل راهب وطبيعته دون عناء كبير.

بعدئذ يذكر بلاديوس أن ملاك الله أضاف شفوياً إلى ما جاء فى اللوح المكتوب أنه إذا جاء إلى الدير راهب غريب يرتدى بزى مخالف لزيهم، لن يدخل معهم إلى المائدة. وعلى الرجل الذى يبتغى قبوله راهباً فى الدير أن يكلف بالعمل اليدوى ثلاث سنين قبل أن يمنح (زى الرهبان في هذا الدير) وحلقة الرأس (التي تميز هؤلاء الرهبان) أى حلق ذؤابة شعر الرأس فى المكان الذى يضعون عليه طواقيهم

(Tonsure). وعلى الرهبان إبان تناولهم الطعام أن يضعوا على رءوسهم القلانس التى تحجب رءوسهم ووجوههم حتى لا يرمقوا بعضهم بعضاً وهم يأكلون. وعليهم أن لا يتجاذبوا أطراف الحديث وهم على المائدة، وأن لا يتطلعوا من جانب لآخر.

كذلك أمر الملاك أنبا باخوم أن يطلب إلي رهبانه ترديد إثنى عشر مزموراً فى كل يوم، وإثنى عشر أخرى فى كل مساء، وإثنى عشر ثالثة إبان الليل، وعندما يتقدمون للطعام يرتلون المزمور الكبير.

ولكن أنبا باخوم الذى بهت من خفة الأعباء المفروضة على الرهبان قال للملاك: "إن الأجزاء التى عينتها للقراءة قليلة جداً". فأجابه الملاك قائلا: "حقاً إن الأجزاء التى عينتها قليلة، وما ذلك إلا لكى يكون في وسع الضعفاء من الرهبان تنفيذ القوانين دون أن يتقاعسوا عنها؛ أما الرهبان الذين بلغوا الكمال فأن إجتهادهم لا يحدده قانون بأى حال، لأن أذهانهم فى كل الأوقات متجهة نحو الله؛ غير أن القانون الموضوع فلهؤلاء الذين لم تكتمل أذهانهم حتى يمكنهم أداء الفروض وعلى وجوههم بهجة".

ومهما يكن من شئ فأننا ننقل هذه القصة لا على سبيل الرواية الدينية وإنما نظراً لما لها من الأهمية التاريخية الفائقة، فقصة اللوح المكتوب والوصايا الستة وظهور الملاك بها للقديس باخوم لاشك مستقاة من العهد القديم وقصص موسى والوصايا العشرة، ولكن منطوق القواعد الرهبانية الواردة فيها هو ما نسعى لتسجيله، لأن هذه النواة المبدئية هى الأساس الذى بنى عليه القديس باخوم قوانينه الهائلة التي أحدثت انقلاباً هائلاً فى الأوضاع الرهبانية المألوفة إلى ذلك الوقت، وأثرت أبلغ التأثير فى توجيه الأجيال القادمة فى كل أقطار المسكونة، لأنها أصبحت الأساس العظيم الذى إبتنى عليه الخلف الصالح تلك الأنظمة الديرية التى كانت الوسيلة الوحيدة الناجعة للاحتفاظ بنور المدنية والحضارة فى عصور الظلام الأولي بعد إنهيار الدولة الرومانية ونزول جحافل المتبربرين فى أكنافها بالغرب والشرق.

أنبا باخوم الذى عانى فى السنين الأولى من حياته الرهبانية كل ما كان يعانيه النساك والمتوحدين من الويلات، إنتفع بتجاربه الأولى المفزعة كل الانتفاع، وتفتحت عيناه إلى ما فيها من أعباء مفزعة لا طائل تحتها، وأدرك أن التقرب إلى ذات الله العلية، وأن منجاة النفوس من شرور هذا العالم، وأن كسب ملكوت في العالم الآخر، أدرك أن كل ذلك لا يتحتم من أجله أن يصل الراهب نفسه ضروباً من تعذيب الجسد تفوق التصور.

حقاً أن أنبا باخوم كان جباراً مثل هؤلاء الجبابرة الذين كانوا يقضون عشرات السنين الطوال فى عقر كهف مظلم أو قبر مهجور أو غرفة مهملة، فى بطن صحراء

موحشة أو برية مخيفة، ولكنه كان إلي جانب ذلك إنساناً يتميز عليهم بسعة الأفق وتقدير الممكن وغير الممكن في طبيعة البشر، ولذلك ارتاع من هول ما كان يجرى فى أكناف الصحارى من ضروب البطولة التى لا تدعو إليها الحاجة، ولا تحتمها قواعد الدين، فثار ثورته الهادئة الناضجة على تلك التقاليد، وبدأ فى وضع قوانينه التى أصبحت هدى ونبراساً يضئ الطريق للخلق العظيم من الرهبان، فأهتدوا بذلك النور الساطع وإزدحموا حوله الوف مؤلفة. وعندما أسس ديره الأول قرابة دندره، كان أول من تتلمذ عليه وأهتدى بهديه ثلاثة من المتوحدين هم بسنتاسس (Psentaesis) وسوروس (Surus) وبش ويس(Psois) . وما هى ساعة أو ضحاها إلا واتاه الرهبـــان من كل حدب وصوب للانضمام إلي هذه الحركة الجديدة، مما يدل على أن العالم كان فى أشد الحاجة إلي هذا البعث الجديد في تطور النظام الرهبانى الانفرادى، وإلى تلك الحركة الديرية الإجتماعية المنظمة. فلما ضاق نطاق الدير الأول برهبانه، أخذ أنبا باخوم فى تأسيس المؤسسات الأخرى فى منطقتى قنا وطيبـــة، فهذا ديـــر فى ببو(Pbau)، وذاك آخر فى مونكوزس (Monchosis)، وتلك أديرة أخرى فى ثيبيو (Thebeu) وبانوبوليس (Panopolis) وتاسى (Tase) وتسمانى (Tismanae) وباخنــوم (Pachnoum) ولاتوبوليس (Latopolis)، وهكـــذا أمتلأت الصحـــراء بجماعات الرهبان الذين يحيون حياة إجتماعية إنسانية دينية على جانبى الوادى فى تلك المناطق من صعيد مصر.

ويمكننا دون عناء كبير أن نتصور العبء الثقيل الذى وقع على كاهل هذا الزعيم الأكبر كنتيجة لذلك التوسع المضطرد السريع في هذا النظام من الحياة الديريـــة، فأنبـــا باخوم كان دائم التنقل من مكان إلي مكان واعظاً مرشداً منظماً. وبكثرة تلك المؤسسات أصبحت القواعد الأصلية التى أوردناها نقلا عن بلاديوس لا تكفى لضبط حكومة تلـــك الطائفة الكبيرة وذلك الجيش الهائل من الرهبان، فجعل أنبا باخوم يزيد عليها ما تمليـــه الحاجة وما تتطلبه الظروف التي نجمت عن تغير الأحوال الديرية. وربما كان هذا هو السر في أننا لا نجد قوانين أنبا باخوم في دورها الختامى مكتوبة بأكملها فى مجموعـــة محبوكة الأطراف، أو مرسوم شامل جامع مانع كما هو الحال في قوانين القديس بندكت من القرن السادس بإيطاليا، لأن دستور الجماعات الباخومية ككل الدساتير العظمى لـــم يسبق الحوادث، وإنما كانت نصوصه نتيجة طبيعية لمجابهة ما نجم عن هذه الحـــوادث والتطورات. لذلك أصبح لزاماً علينا أن نستنبط هذا الدستور العجيب ممـــا لـــدينا مـــن الأصول والتواريخ والآثار التى وصلتنا من الرحالة والحجـــاج الـــذين زاروا الأديـــرة الباخومية ودونوا فيها مشاهداتهم عنها، مثل بلاديوس وهيرونيموس ويوحنـــا كاســـيان وجيروم وغيرهم.

وأخيراً جاءت ساعـــة الرقاد الأبدى إلى هذا الأب الروحى، بعد حيـــاة حافلة بجلائـــل الأحداث والأعمال. عندما وقع الطاعون فى مصر على ما قيل سنة ٣٤٨، وأمتدت لهبه إلى الأديرة الباخومية تحصد الكثير من الأخوة فكان أنبا باخوم مثال الأب الحقيقى، يتنقـــل بـــين تلاميذه من المصابين عندما وقعت الكارثة بهم في كل مكـــان، لتمـــريض المرضـــى مـــن المخاطر، حتى إذا ما مضى عيد الصعود من تلك السنة إلا وبدأ هو أيضاً يشعر بـــأعراض المرض تهده هداً، فجمع أبناؤه حوله وأوصاهم أن يتمسكوا بأهداب النظام الذى وضعه، فـــلا يفتروا فى الصلاة أو العمل، وأنه متى جاءت الساعة فلهم أن ينتخبوا من يشاءون لرياستهم، ولكنه يقترح عليهم مجرد إقتراح أن يكون خلفه بترونيوس (Petronius)، ويتضح من ذلـــك أن أنبا باخوم لم يكن مستبداً فى إدارته بل ديمقراطياً إذ ترك لجماعته حريـــة إنتخـــاب مـــن يرونه صالحاً لزعامتهم. وفى النهاية توفى أنبا باخوم يوم ١٥ مايو حسب التقويم اليونانى أو ٢٢ مايو حسب التقويم القبطى، والغالب أن وفاته حدثت في سنة ٣٤٨م، وإن كان تحديد العام المضبوط لا يزال فى نظرنا موضعاً للبحث والتنقيب. وكان عمر أنبا باخوم وقتئـــذ ســـبعة وخمسين عاماً، وهو عمر قصير جداً إذا قيس بأعمار الرهبان والمتوحـــدين الـــذين كـــانوا يتوفون على القرن من الزمان. وبعد دفنه في مكان معين من الجبل نقل جثمانه أحد تلاميـــذه سراً إلي بقعة غير معلومة تنفيذاً لوصيته حتى لا يكون جسده محلا للتبجيل أو العبادة.

وقبل أن نتصدى لتحليل قوانين باخوميوس، يجدر بنا أن نلقى بنظرة عاجلة على ما وصلت إليه أديرته من الاتساع فى حياته وبعد مماته إلي أوائل القرن الخامس، وذلك من الإحصاءات التى وردت فى كتب الرحالة من هذا العصر.

بلاديوس ينبئنا بأن تلاميذ أنبا باخوم وأتباعه بلغوا ثلاثة ألاف فى أثناء حياته. وسبعة آلاف في سنة ٤٢٠م وهى السنة التى أتم فيها كتاب "بستان الفردوس". ويوحنا كاسيان (Cassien) الكاتب الفرنسى الذى زار مناطق الرهبان المصريين حوالى نفس التاريخ يقدر عددهـــم بنحو خمســـة آلاف راهب باخومى. ومن مؤلفـــات هذين الكاتبين نستنبط أن الديـــر الباخومى كان عادة يسكنه عدد يتراوح بين المائتين والثلاثمائـــة راهب، ولو أن دير ببـــو (Pbau) كان يحتوى على ستمائة راهـــب حوالى منتصف القرن الرابـــع وما بين ألف وثلثمائة وألـــف وأربعمائة راهب فى ختام ذلك القـــرن. وقد ذكر القديس جيـــروم (St. Jerome) الذى كتب فى عام ٤٠٤م أن عدد رهبان أنبا باخوم بلغوا آنذاك خمسين ألف راهب، وهو تقدير مبالغ فيه، وإن كان يدلنا من الناحية التاريخية عن أن تلاميذ أنبا باخوم زادت أعدادهم زيادة هائلة بسرعة خارقة، وأن تلك الزيادة المضطردة فى حياة أنبا باخوم هي التى حتمت عليه وضع أسس ثابتة قوية لذلك النظام نجمله فى الفقرات الآتية:

١- شروط القبول:

كان على الشخص الذى يريد أن ينضم إلي دير من أديرة أنبا باخوم أن يقضى ثلاث سنين تحت الاختبار، لكى يثبت فى أثنائها قدرته علي ممارسة حياة البتوليه والطهارة والخضوع لأحكام القانون. وفى هذه الفترة أيضاً كان لزاماً على المبتدئ أن يتعلم القراءة والكتابة، وأن يحفظ عن ظهر قلب عشرين مزموراً من مزامير داود النبى فى العهد القديم ورسالتين من رسائل العهد الجديد، فمتى تم له ذلك وُزعت ملابسه على الفقراء، واستُعيض عنها بالملابس الجديدة من الدير، وسمح له بالأنتقال من دار الضيافة الواقعة عند المدخل إلى قلالى الرهبان فى داخل الدير.

٢- الملابس:

كانت تمتاز بالبساطة التامة، فالراهب يرتدى قميصاً قصيراً من غير أكمام يصل إلي الركب، وله حزام يشد به وسطه، وعلي كتفيه وظهره علقت فروة من فراء الخراف أو الماعز (وكانت تعتبر من مميزات الرهبان في ذلك الوقت)، وفوقها عباءة خُيطت بأعلاها قلنسوة الرأس التي كانوا يرسمون علي جبهتها علامة الدير وهى عبارة عن صليب من مختلف الألوان للدلالة على المؤسسة التي ينتمى إليها الراهب، وفى قدميه حذاء (صندل) مفتوح. وهذه الملابس بكاملها إنما كان يرتديها الراهب عند سفره خارج الدير فقط، بينما كان وهو فى الدير يكتفى بإرتداء القميص القصير والحزام والطاقية التى أشرنا إليها فيما سبق، وكان القميص مصنوعاً فى العادة من التيل الخشن، وكان الراهب يسير حافى القدمين.

٣- الطعام:

كان يُقدم للرهبان فى قاعة المائدة مرتين فى كل يوم، ومواعيد تقديمه فى الظهر وفى المساء، ولكن لم يكن الحضور إلى القاعة الزامياً، وبعض الرهبان المتقشفين كانوا يفضلون البقاء فى قلاليهم ولا يتناولون سوى دفعة واحدة من الخبز والملح والماء فى كل يوم عند غروب الشمس، ولو أن أنبا باخوم لم يكن راغباً فى تشجيع الإسراف فى الزهد من هذه الناحية. والطعام عادة يتكون من الخبز والخضر والحساء والجبن والفاكهة، فالرهبان الباخوميون إذن كانوا نباتيين لا محل لأكل اللحوم عندهم، كما أنهم كانوا لا يشربون النبيذ، اللهم إلا إذا كانت ظروف الراهب المريض تدعوا إلي التجاوز عن هذه القيود باعتبار اللحم أو النبيذ من الأدوية اللازمة فى المرض. وكان الرهبان يدخلون قاعة الطعام حفاة الأقدام وهم لابسون القميص والفروة والعباءة والطاقية

والقلنسوة، ويأكلون ما يقدم إليهم فى سكون دون أن ينظر الواحد منهم ذات اليمين أو ذات اليسار، وفى أعلى القاعة واحد من الأخوة يقرأ فصولاً من الكتب المقدسة.

٤- النوم:

القاعدة فى النظام الباخومى هى سكنى الرهبان ثلاثة ثلاثة فى كل قلاية من قلايات الدير، وآثار القلايات الكاملة التي لاتزال موجودة فى بقايا دير القديس سمعان (أنبا هدره) الواقع على التلال الصحراوية المواجهة لمدينة أسوان، تدل دلالة واضحة على ذلك، إذ نجد فى كل منها مصاطب لها رأس مرتفعة مصنوعة من الطين علي شكل وسادة. وفى الوصايا الست يرد ذكر المقاعد ذات المساند للرأس فى حالة النوم. وقد استنتج بعض الناس أن رهبان أنبا باخوم استعاضوا عن النوم الكامل بالغفوة على مقعد. ولكننى أعتقد أن هذا التفسير يثير الشك فى ذهن الباحث، ويغلب على الظن أن المقصود بالمقاعد التى فسرت حرفياً بالكراسى لم تكن سوى المصاطب التى تستند فيها الرأس على وسادة مبنية من نفس المادة التي عملت منها المصطبة، وذلك لأن أنبا باخوم أراد أن يخفف من أتعاب النوم الذى أعتاده النساك بالانبطاح أرضاً وبدون أى مسند للرأس. ومهما تكن الحقيقة، فلاشك أن الأخوة كان مفروضاً عليهم أن لا يناموا إلا الهزيع الأول من الليل، ففى الساعة السادسة التى هى منتصف الليل كان عليهم أن يقوموا للتسبيح والصلاة والتأمل إلى أن يصبح الصبح، وعليهم أن لا يتجاذبوا أطراف الحديث داخل قلاليهم. وكان من المسموح به لهم أن يناموا على سقوف القلالى فى ليالى القيظ الشديد.

٥- العمل اليدوى:

كانت الأعمال اليدوية، فى المؤسسات الباخومية، إجبارية لا يعفى منها أى راهب حتى رؤساء الأديرة أنفسهم، وكانوا يجلسون فى غير ساعات العمل المخصصة لإدارة الأديرة للاشتراك في الأشغال التى يزاولها بقية الأخوة مثل جدل الحصر والسلال من سعف النخيل. ويُعد العمل البدنى من المميزات الرئيسية التي خرج بها أنبا باخوم على المألوف عند النساك الأقدمين، وذلك لحكمة مزدوجة: **أولاً** أن العمل وسيلة لكسب القوت الضرورى للراهب الذى يحب أن لا يكون عالة على المجتمع أو على غيره من الناس، **وثانياً** لأن للعمل فوائده الروحية الكبرى، فهو يشغل العامل عن التفكير فى الدنيا وشرورها.

ومن الأعمال الشائعة بينهم على ما ذكرنا صناعة الحصر والمقاطف من سعف النخيل وفتل الحبال من الليف، يبيعونها جملة إلي سكان المدن المجاورة أو يستبدلونها بحاجات معاشهم، أو يستعملون دخلهم منها في الإحسان على الفقراء والبائسين. لكن

الأديرة الباخومية كانت في نفس الوقت وحدات مستقلة، وقد دعا إتساعها، وزيادة عدد سكانها إلي التشعب والتخصص في الصناعات القديمة بها، لكى يقوم كـل ديـر بسد حاجاته، وذكر بلاديوس أنه رأى فى أحـد الأديـرة المجـاورة لمدينـة بـانوبوليس (Panopolis) خمسة عشر حائكاً وسبعة حدادين وأربعة نجارين وإثنى عـشر راعيـاً للجمال عدا المشتغلين بالحرث والعجن والخبز والطبخ وغير ذلك. ثم لا يفوتنا فى هذا الصدد أن ننوه إلى وجود الكُتَّاب والنُّساخ الذين تخصصوا فى كتابـة الكتـب ونـسخ المخطوطات بمكتبة الدير، وهذا يقودنا إلى المسألة الحيوية التالية وهى مكانـة العلـم والتعليم فى أديرة أنبا باخوم.

٦- التعليـم:

وكان إلى جانب العمل اليدوى الشعبة الثانية من الثورة التى أحدثها القديس باخوم على القديم. فبينما كان القدامى من المتوحدين يحتقرون القراءة والكتابة ولا يرغبون فى إقتناء الكتب ويتجنبون الدرس والتعليم، عمل أنبا باخوم على رفض هذه الفكـرة مـن نظامه كلية، فقضى على الأمية فى أديرته قضاء مبرماً، وجعل معرفة القراءة والكتابة شرطاً من شروط الدخول فى الدير ولابد على الراغب من تحصيلها فى سنى التجربـة والإختبار الأولى. ثم أنه نظم ثلاثة دروس يومية فى ذلك عند الساعات الأولى والثالثة والسادسة من النهار للمبتدئين، ودروساً أخرى عامة يعقدها رؤساء الأديـرة بأنفـسهم يومى الصيام الأسبوعى أى الأربعاء والجمعة في تفسير الكتـب المقدسـة والتعـاليم المسيحية، وكان حضورها أجبارياً على كل الأخوة بيد أنه لا يستهوينا الكلام فى هـذا الموضوع للمبالغة في قدر التعليم والعلوم الإنسانية بالأديرة الباخومية، لأن التعليم لـم يكن مقصوداً منه أكثر من توفير الأدوات اللازمة للراهب فى قراءة الكتـب المقدسـة وكتب الصلوات وتاريخ الرسل والآباء والتعاليم الدينية البحتة. فالغرض من التعليم إذاً كان دينياً قبل كل إعتبار وليس دنيويا بأى حال. ومهما يكن من شئ فأن التعليم فى حد ذاته كان له أكبر الأثر فى السمو بالأديرة الباخومية وما شابهها من المؤسـسات التـى ظهرت في القرون التالية فى مختلف البقاع والأقطار حتى أصبح الكثير منها يعتبر من المراكز الممتازة فى عالم التعليم والعلم، وأصبحت الأديرة بعدئذ الحصن الحصين الذى حفظت فيه مؤلفات آباء الكنيسة والآداب القديمة من عوادى الدهر على مر العـصور. ومحتويات المكتبات الديرية كانت تتكون فى العادة من الكتب المقدسة، وكتب الـوعظ، وأقوال الآباء، ورسائل التأمل، والتصوف، وحياة القديسين والشروح، وكتب الصلوات، وغير ذلك من موضوعات الأدب الدينى، ولكننا أحياناً نعثـر بينهـا علـى القـصص

والتاريخ والأدب الذى هو على هامش الدين ويمت للدنيا بصلة بعيدة أو قريبة، وكانت المكتبة مفتوحة على مصراعيها لكل قارئ يريد الإستفادة بما فيها.

٧- العبـــادة:

وكان لها نظام ثابت، كما كانت تنقسم إلى قسمين، العبادة أو الصلاة الاجتماعيـــة والعبادة أو الصلاة الانفرادية. أما الصلاة الاجتماعية فكانت تقام بالكنيسة مرات ثلاثـــاً كل يوم فى الصباح الباكر وعند الظهر وفى المساء، ويحضرها الرهبان بكامل عددهم. أما الصلاة الانفرادية فكان أمرها موكولاً للرهبان فى صوامعهم، يتابعون فيها عباداتهم وتأملاتها حسب إجتهادهم، وعلى كل حال كان مفروضا علـــى الراهـــب أن يـــصحو للصلاة من منتصف الليل إلي الفجـــر – ويحتفل بالقداس الإلهى الكبيـــر يومى السبت والأحد حيث يتناول الرهبان العشاء الربانى – أما الإسراف في التعـــذيب الـــذى كـــان جزءاً من التعاليم الأنطونية فإن أنبا باخوم لم يشجع رهبانه على مزاولته بالرغم من أنه لم يحرمه تحريماً باتاً.

٨- العقـــاب:

كان من لزوميات الجماعات الكبرى أن توجد القوانين الرادعة للخارجين على النظام أو المستهترين به، ولذلك لم يجد أنبا باخوم بدا من إستعمال الشدة مع المخالفين حتى فـــى أتفه الأخطـــاء. وكان العقـــاب على درجـــات، أما الدرجة الأولى فهى اللـــوم والتـــوبيخ العلنى والحرمان من وجبات الطعام للأخطاء الصغرى كالضحك أو النظر يميناً أو يـــساراً أثناء تناول الطعام، والدرجة الثانية وهى العقاب البدنى أو الجلد بالسياط وحبس الراهب في قلايته فكان من نصيب المتأففين والمتذمرين ومن على شاكلتهم، والدرجة الثالثـــة وهـــى الحرمان والطرد من الدير فكانت توقع على كل من يقترف جريمة من الجرائم الكبرى التى تعدو حد التذمر والتردد فى طاعة الرؤساء ولمن لا يرجى لهم صلاح.

٩- الإدارة:

وفى تنظيمها الدقيق تتضح عبقرية أنبا باخوم النادرة، ومقدرته الفائقة فـــى تأســـيس إدارة ثابتة الأركان، ذات دستـــور محبوك الحلقـــات. وقد قسم أنبا بـــاخوم الإدارة إلـــى قسميها الطبيعيين وهما الإدارة المحلية لكل دير والإدارة المركزية لجميع الأديرة. وفى كلا الإدارتين كانت الطاعة المطلقة أساس الدستور، وقد ذكر لنا المعاصرون أمثلة عجيبة للتدليل على روح الطاعة بين الرهبان، منها أن الرئيس إذا طلب واحداً من الأخوة وهو يكتب ترك القلم عند آخر حرف كان يكتبه وسارع إلى تلبية أمره ثم يعود إلى إكمـــال

الكلمة التى لم يتم كتابتها. وذلك راجع بلا نزاع إلى تلك التعاليم التى أكتسبها أنبا باخوم وهو فى سلك الجندية. أما الإدارة المحلية للدير فكانت توكل إلى رئيسه، ولكل رئيس نائب يساعده فى الاشراف على الأعمال اليومية العادية التى يتطلبها الدير، ثم أنه كان لكل دير أمين لا يزال حتى اليوم يدعى "ربيته" فى الأديرة القبطية، وربما كانت هذه التسمية مشتقة من كلمتى "رب البيت" بأعتبار صاحبها أميناً على خزائن الدير ومخازنه، وللمكتبة أيضاً خازن وكان من النّساخ عادة. وهنالك المعلمون والخبازون والنجارون والبناؤون والحدادون والزارعون والناسجون والجمالون وغيرهم من الفئات التى تتطلبها ظروف الحال فى كل دير حسب المنطقة التى يكون فيها، ولكل من هذه الفئات رئيس يشرف على عملها تحت رعاية رئيس الدير أو نائبه. ولما كثر الرهبان وتنوعوا فى الأديرة الباخومية قُسموا إلى أسر وكل أسرة منها تضم رهبان أمة معينة. ومن المعلوم أن حياة الشركة فى تلك الأديرة إجتذبت الرهبان من أمم متباينة مثل السريان واليونان واللاتين وغيرهم. وكان لكل أسرة معلم من جنسها يقوى على التفاهم مع أبناء جلدته وأرشادهم. ومن الجائز أن هذا النظام ورثته الجامعات في العصور الوسطى حيث إنتشر فى رحابها نظام الأمم، وكان منها فى جامعة باريس خمس أمم تشمل الفرنسيين والإنجليز، والنرمنديين والبيكرديين والترمان والبريطان. وربما أخذ عن هذا النظام أيضاً نظام الأروقة الذى ساد الجامعة الأزهرية إلى عهد قريب مثل أروقة الصعايدة والبحروة والمغاربة والشراقوة والأحباش وغيرهم. ثم أن أنبا باخوم قرر أن الدير الذى يعتبر وحدة قائمة بذاتها لا يجب أن يكون فى معزل عن الأديرة الأخرى.

وهنا يبدأ نظام المركزية الدقيق ويتدرج إلى أن يصل به إلى الإدارة البيروقراطية العليا فى الدير الرئيسى الذى يقيم فى رياسته أب الشركة أو الرئيس الأعلى وهو خليفة أنبا باخوم. وكان كل ثلاثة أو أربعة من الأديرة المتقاربة يكونون ما يسمى بالقبيلة ويشترك رؤساؤها فى أنتخاب واحد من بينهم ليكون زعيماً لتلك القبيلة، وهم يجتمعون من وقت لآخر للتشاور فيما يلاقونه من صعاب وفيما يهمهم من الأمور. وجميع الرؤساء وزعماء القبائل يخضعون خضوعاً تاماً مطلقاً لا رجعة فيه ولا نقاش ولا استئناف للرئيس العام، وإشراف هذا الرئيس العام يأتى عن طريقين، الطريق الأول هو الزيارة، وكان أنبا باخوم دائم الحركة دائم التنقل بين أديرته للتفتيش عليها والعلم بدقائق أحوالها، ولاشك أن بترونيوس الذى خلفه فى الرياسة بعد مماته ثم من تلاهما من الرؤساء كانوا ينسجون على منوال أبيهم الروحى الأكبر. والطريق الثانى مركزى يتلخص فى عقد إجتماعين عامين فى كل سنة، وكان جميع رهبان المؤسسات الباخومية يحضرون هاتين الجمعيتين في الدير الرئيسى فى ببو (Pbau) أو دير الرياسة العليا إذا إنتقلت منه لغيره. وتحدد للاجتماع الأول

موسم القيامة للاحتفال بعيد الصعود وهو من أهم أعياد القبط إن لم يكن أهمهـا فاعليـة، والإجتماع الثانى يقع فى الثانى والعشرين من شهر مسرى من الشهور القبطية وهو يوافق الثالث عشر من شهر أغسطس، والغرض من هذا الأخير بحث حالـة الأديـرة الداخليـة والخارجية وتقديم التقارير الخاصة بكل دير منها. وبعد طرح مسائل الأديرة على بـساط البحث ومحاسبة كل رئيس عما قدمت يداه فى أثناء العام المنصرم، يقرر المجلس السياسة العليا التى يجب على الرؤساء أتباعها لحسن سير العمل والنظام والعبادة فى جميع الأديرة، ثم يعلن الرئيس العام أسماء الرؤساء الفرعيين الجدد كما يعلن التنقلات بين رؤساء مختلف الأديرة، وأخيراً فى جلسة ختامية يحضرها الرهبان قاطبة، تعقد فيه صلاة جامعة، وفـى مشهد رهيب مؤثر يعلنون مغفرة الخطايا والصفح العام عن ذنـوب المـذنبين، ويبـارك الرئيس الأعلى جميع الحاضرين.

هذا هو مجمل قوانين أنبا باخوم التى حاولنا أن نجمعها فى صعيد واحد، ولكـن من العبث الأدعاء بأن هذا هو كل ما ينطوى عليه ذلك النظام، فأن هنالك موضـوعات صغرى لا يتسع المقام لأحصائها. خذ مثلاً العناية بالمرضى والضعفاء، فقد خـصص لهم نظام أنبا باخوم الإنسانى موضعاً يجمع فيه شملهم ويوليهم من العناية ما هم أهـل له، يعفيهم من قيود الطعام المفروضة على عامة الأخوة، ويعودهم الأطباء الجسمانيون والروحيون للاشراف على حالتهم. ثم موضوع الزوار والأغراب والحجاج وكان يوجد منهم بلاشك سيل متواصل على الأديرة الباخومية، وكانت القاعدة السائدة فى الأديـرة هى الترحيب بضيوفهم ومعاملتهم بالحسنى والأكرام، فيقابلهم الرهبان ويغسلون أقدامهم ويقدّمون لهم الطعام والشراب اللازم لهم، كل ذلك فى بيت الضيافة الملاصق لمـدخل الدير وداخل جدرانه بدون أن يكون على إتصال برحباته وقلاليه الداخلية المخصـصة للرهبان. وخلاصة القول أن حياة الشركة كانت منهجاً جديداً فـى تـاريخ الرهبانيـة، أصولها الرئيسية هى البتولة والطهارة وحياة الفقر والطاعة والعبادة والعمـل اليـدوى والأخذ بقسط من التعليم وقبس العلوم الدينية. وكان هذا النظام العجيب الكامل مظهـراً رائعاً للحكم الرشيد المستنير فى زمن كانت الفوضى ضـاربة أطنابهـا فـى أرجـاء الامبراطورية الرومانية التى أخذت هيبتها فى الزوال والتدهور، وحل فى أرجائها محل السلام الرومانى ذلك التخبط الذى أصطحب بغزوات المتبربرين فى القـرن الخـامس الميلادى.

كانت تلك الأديرة الباخومية مثلاً أعلى فى الأمن والسلام والنظام والحيـاة الراضـية، فى عالم منهار ملأه الفزع والفوضى، وشمله القنوط والدمار. وكان إذاً إتجـاه أنظـار

الناس إلى هذه المؤسسات التى هرعوا إليها بالمئات والآلاف أمراً طبيعياً فى ذلك العصر الذى سادته الروح الدينية، وأخذ الفكر المسيحى فيه على الخلق قلوبهم والبابهم. وكان كل دير من هذه الأديرة عبارة عن حصن زاخر بالحركة والنشاط، تحيط به الجدران الرومانية السميكة الشاهقة التى تبلغ حوالى الثلاثين متراً فى الأرتفاع، لحماية سكانه من غارات التفتيش التى كان يشنها عمال الحكومة عليهم فى زمن الاضطهاد، ومن عدوان المعتدين من عصابات النهب والسلب التى كانت تموج بها فلول الوادى. ومدخل الدير ليس إلا فتحة مستطيلة صغيرة لا يستطيع أكثر من رجلين أو ثلاثة إقتحامها دفعة واحدة فضلاً عن كونه محصناً ببابين من أفلاق الخشب الكثيفة المبطنة بألواح الحديد والمسامير ذات الرءوس الغليظة زيادة فى التحفظ، وعلى قمة السور ممشى داخلى طويل للحراس والخفراء، وفوق الباب فتحة يطل منها البواب عندما يدق ناقوس الدير إذا طرقه طارق بواسطة حبل قد تدلى إلى الخارج لهذا الغرض. وبجانب الباب فى ملاصقة السور من الداخل بيت الضيافة لإيواء الذين لم يسمح لهم بالتنقل فى رحبات الدير الداخلية المخصصة للرهبان والتى كان بها عدد كبير من المبانى المختلفة، أهمها الكاتدرائية الكبرى عدا الكنائس الصغرى، وقاعة الإجتماعات المخصصة للمجامع وللاستقبال والدروس العامة، والمكتبة، وغرفة المائدة وكانت عادة مستطيلة تتوسطها المائدة الطويلة وعلى جانبيها أحياناً دكتان طويلتان وكل هذه بُنيت من الحجر المنحوت خصيصاً لهذا الغرض، والمطبخ الرحيب، والأفران، ومخازن الغلال والملح والملابس وغير ذلك من الأدوات، والصوامع أو قلالى الرهبان وكان عددها كبيراً تقام إلى جانب السور فى صفوف طويلة، وفى الدير مساحة واسعة خالية من المبانى تزرع فيها الأشجار والبساتين، ويجلس فيها الرهبان لمزاولة الأعمال اليدوية مثل صناعة الحصر والسلال وغيرها، وبها أبيار المياه تقام عليها السواقى والشواديف، وحظيرة البهائم المستعملة فى الحرث والزرع وإدارة السواقى. وفى قلب الدير وسط هذه المبانى حصن مربع شاهق متصل مع سقف أحد المؤسسات الأخرى بقنطرة متحركة من دور من أدواره العليا، يلتجئ إليه الرهبان وقت الضرورة القصوى عندما يقتحم الدير، وفى هذا الحصن كنيسة ومخازن للطعام المجفف المحفوظ بها وبئر للارتواء منه عند الحصار. وكل هذه الأجزاء لا تزال واضحة فى الأديرة القبطية العامرة بأرض مصر.

الفصل السادس

الأنبا شنوده رئيس المتوحدين ونظامه

لا نزاع أن العالم يدين بالفضل الأكبر فى تأسيس حياة الشركة على ذلك الوجه الإنسانى للقديس باخوم. ولكن من الخطأ أن يُظن أن مصر حتى فى هذا العصر المتقدم كانت خلوا من الأديرة إلا ما أنشأه أنبا باخوم. ذلك لأن الحركة الديرية كانت قد بدأت جذورها تمتد فى مختلف البقاع بالديار المصرية، وكان نموها أمراً طبيعياً للأسباب التى أوضحناها، وقد ظهرت معالمها بأشكال متنوعة بالرغم من أنها لم تبلغ درجة الكمال والدقة والنظام الذى يرجع لعبقرية أنبا باخوم. مثال ذلك ما حدث فى وادى النطرون حيث أخذ أتباع أنبا أمون وأبى مقار وغيرهما من القديسين فى إنشاء الأديرة التى لا يزال شاخصاً من بينها أربعة أديرة تُعتبر من درر الصحراء الغربية هى دير البراموس وأنبا بشوي والسريان وأبى مقار. ولاشك أن للصلة الدائمة بين قديسي هذا العصر أكبر الأثر فى إزدهار الحركة الديرية. ونحن نعلم أن أنبا باخوم زار أنبا آمون فى نتريا، وأن أبا مقار السكندرى زار أنبا باخوم فى الصعيد الأعلى، وكانت زيارة هذا الأخير خفية، ولكن أمره لم يخف على أنبا باخوم إذ شاهده وهو يصوم أربعين يوماً كاملة، فأدرك أنه لا يستطيع إتيان هذا الأمر العظيم إلا أبو مقار. وهذا التزاوربين أولئك القديسين كان بلا غرو مصدراً لتبادل الأفكار واقتباس المبادئ والتعاليم والمثل العليا مما أثر تأثيراً مباشراً على نشر حياة الشركة فى درجات مختلفة بين مختلف الجماعات الرهبانية التى سكنت القفار والصحارى.

وكان من بين هذه المراكز العديدة مركز آخر على جانب عظيم من الأهمية والخطورة فى تاريخ الديرية والقومية المصرية على السواء، ولازال مع الأسف، هنالك قصور فى البحث والتنقيب فى مختلف مناحيه، ومعلوماتنا بتفاصيله إذا قيست بما نعلمه عن الجماعات الباخومية سطحية لأسباب سنجملها فيما بعد. وهذا المركز الجديد كان يقع فى قرابة سوهاج أو بالأحرى قرب بانوبوليس وهى مدينة أخميم الحالية حيث أنشأ الأنبا شنوده نظاماً إجتماعياً شبيهاً بحياة الشركة لدى أنبا باخوم، غير أنه كان أشد عنفاً من نظام زميله ومعاصره فى منطقتي طيبة وقنا. وأنبا شنوده كان رجلاً شديد المراس بالطبع وكان من أئمة العاملين على تهذيب اللغة القبطية وآدابها الدينية من التأثيرات البيزنطية. وهذه الحركة فى الواقع جزء من حركة أوسع منها بدأت فى حجر الكنيسة القبطية، وتتلخص فى يقظة الوعى القومى المصرى، والعمل على تحقيق إستقلال مصر من الناحية الدينية عن القسطنطينية، تلك الحركة التى أخذت فى الاضطراد حتى شملت الحياة

الإجتماعية المصرية، وتطورت فى النهاية إلى درجة الطموح إلى الاستقلال السياسى عن الدولة البيزنطية. من ذلك يتضح أن أنبا شنوده كان لحد ما من بناة أول مشروع إستقلالى لهذا الوطن منذ إنهياره فى عهد الوثنية القديمة على يد قمبيز الفارسى سنة ٥٢٥ ق.م.

والأنبا شنوده كما ذكرنا عاصر الأنبا باخوم فى أثناء سنى نسكه الأولى. ولد فى سنة ٣٣٣ وتوفى عند ظهر اليوم الثانى من أيام شهر يوليه سنة ٤٥١م. وكان قد طعن فى السن وبلغ الثامنة عشرة بعد المائة، ذلك بالرغم من إغراقه فى التقشف والعيش على الكفاف. ويلوح للباحث أنه لم يرض عن نظام أنبا باخوم كل الرضى، فأعتبر أن فيه تساهلاً كبيراً. ومع احتفاظه بتعاليم الشركة أدخل عليها من التعديلات ما جعل حياة الأخوة فى رعايته أصعب وأشد مما كانت عليه الأوضاع المقبولة عند أنبا باخوم. وكان أنبا شنوده يعادى كل شئ بيزنطى. وهذا يفسر لنا موقفه العنيف من نسطور والحركة النسطورية فى القسطنطينية، كما يفسر لنا الفرق الهائل بين مؤسساته ومؤسسات أنبا باخوم من زاوية أخرى، إذ بينما كانت هذه الأخيرة دولية فى طابعها يقصدها المصرى كالبيزنطى واللاتينى والفلسطينى والليبى والأفريقى على السواء أصبحت الأولى قاصرة على المواطنين من الرهبان المصريين الأقباط فحسب. وهذا الوضع الضيق يوضح لنا قلة المعلومات التى أشرنا إليها فى كتب الرحالة والحجاج الذين درجوا على زيارة مؤسسات الآباء المصريين فى أقصى القفار المصرية، لاسيما بلاديوس الذى لم يورد فى كتاب "بستان الفردوس" أى إشارة للأنبا شنوده أو جماعاته الرهبانية. وليس من المعقول أن بلاديوس كان جاهلاً بوجودها، وأغلب الظن أنه لم يستسغ مبادئها، فآثر أن لايتعرض للكلام عنها وعن مؤسسها.

ومن الغريب الذى لا نستطيع إيضاحه أو تعليله، هو أنه بالرغم من موقف الأنبا شنوده القومى البحت، تقف إمبراطورة بيزنطية عظيمة موقف الصدارة من تخليد ذكراه، وتدعيم نظامه، ورعاية أتباعه، تلك هى الإمبراطورة هيلانه والدة الإمبراطور قسطنطين الكبير، فقد أبقت له "الدير الأبيض" الذى لا تزال كنيسته موجودة وتقام فيها الشعائر الدينية حتى يومنا هذا، والذى أصبح المركز الرئيسى لجماعات الأنبا شنوده. فهل كانت الأمبراطورة بهذا العمل تريد استمالة أنبا باخوم إلى القسطنطينية؟ أو هل كانت حركة أنبا شنوده لم تزل فى عهدها الأول غير واضحة الإتجاهات والنوايا التى تتعارض مع الميول البيزنطية؟ هذا ما لا نستطيع الأجابة عنه إلى الآن، والمستقبل وحده كفيل بجلاء الغموض الذى تنطوى عليه قوانين أنبا شنوده وعلاقاته الدقيقة مع من عاصره من الحكام.

الفصل السابع

أنظمة أنبا باخوم فى العالم المعاصر وفى التاريخ

ليس من العجب بعد ما أوضحناه أن يذيع صيت أنبا باخوم، وأن تنتشر قوانينه فى الديار المصرية وفيما وراء حدود مصر. فإننا نجد الأديرة الباخومية تُبنى من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال فى طول الديار المصرية وعرضها. وهذا هو دير القديس سمعان (الأنبا هدره) لازالت أثاره شاخصة فى مواجهة مدينة أسوان، بالرغم من أن صلاح الدين الأيوبى أعمل فيه معاول الهدم سنة ١١٧٢م، كما يقال إن قرابة مدينة كانوب عند مصب فرع الدلتا الكانوبى على ساحل الإسكندرية الشرقى كان يوجد دير باخومى زاهر، وهذا هو معبد أبوصير القديم على مسيرة عشرات من الكيلوات مترات على ساحل البحر الأبيض المتوسط غرب الإسكندرية فى منطقة مريوط وقد حوله النساك إلى دير جليل فى العصر الرومانى مازالت أثار قلاليه وصوامعه قائمة بجوار أسواره من الداخل، وأسس كنيسته فى رحبة المعبد الوسطى منظورة ملموسة ثم أن القديس باسيليوس الكبير اليونانى الأصل وصاحب النظام الديرى الذى يقترن بمؤسسات جبل آثوس فى بلاد اليونان، إنما يرجع الفضل الأول فى تعاليمه وفى إدخال الأنظمة الجديدة بتلك البلاد إلى أنبا باخوم، ومن المعلوم أنه عاش عدة سنين فى أديرته بالصعيد وأنه تتلمذ عليه.

يلاحظ كذلك أن القديس أثناسيوس الكبير بطريرك كنيسة الإسكندرية قد حمل التعاليم الباخومية إلى أوربا الغربية فى رحلتيه المعروفتين عندما نُفى عن الإسكندرية، ولا سيما فى رحلته الثانية عندما نفاه الإمبراطور قسطنطين إلى روما، حيث قضى هنالك القدر الأكبر من الفترة الواقعة بين سنة ٣٤٠ وسنة ٣٤٦. وفى هذه المرة الأخيرة عرض على البابا يوليوس الأول أسقف روما نتيجة الأعمال الهائلة التى كان أنبا باخوم يقوم بها فى مصر، فكانت موضع الأعجاب والتقدير، وبذلك مهد للاقتباس من قبسها، والهدى يهديها. كما أن القديس جيروم ترجم قوانين أنبا باخوم وآثاره إلى اللغة اللاتينية فى عام ٤٠٤ ونشره بين الرهبان الايطاليين، بينما نقل يوحنا كاسيان فى أثناء النصف الأول من القرن الخامس حياة الآباء المصريين، وأقوالهم وأقاصيصهم وأنظمتهم فى أربعة مجلدات لاستعمالها بين الرهبان المقيمين فى قفار غرب أوربا وعلى وجه أخص

أولئك الذين كانوا يسكنون جنوب بلاد الغال (فرنسا)، ثم أنه حاول فعلا تطبيق تعاليمهم فى الدير الذى أسسه فى مدينة مرسيليا على ساحل فرنسا الجنوبى.

وهنالك راهب غربى آخر يدعى ديونيسيوس الصغير المتوفى سنة ٥٤٥ (Dionysius Exignus أو بالفرنسية Denys-Le-Petit) ترجم إلى اللغة اللاتينية تاريخ حياة أنبا باخوم وقصة أنظمته وقوانينه عن اللغة اليونانية فى أثناء النصف الأول من القرن السادس. وهذه الترجمة وإن لم تكن مصدراً من الطراز الأول لتاريخ حياة الشركة، إلا أن وجودها وتداولها مع غيرها من التراجم السابقة فى أوربا ليدلنا دلالة واضحة على مدى إنتشار الأفكار الباخومية والتمهيد لإدخالها فى النظم الرهبانية بالغرب لاسيما وأن أوربا كانت وقتئذ على عتبة قيام حركة الديرية البندكتية.

وربما كان أبقى آثار قوانين أنبا باخوم وأهمها فى أوربا هو ذلك الأثر الذى أنطبع به نظام الديرية البندكتية. وإذا كان القديس باخوم قد عمل على تكييف الحياة الرهبانية على أسس إجتماعية تتفق وظروف مصر فى القرن الرابع، فإن بندكت أقتفى أثر سلفه فى وضع قانونه الجديد لكى يناسب أحوال ايطاليا فى القرن السادس. وديرمونت كاسينو (Monte Cassino) فى أواسط ايطاليا لا يكاد يختلف إختلافاً بيناً فى مجمله عن أديرة قنا فى الصعيد الأعلى. ولا يتسع المجال هنا لمقارنة تفاصيل قوانين وأنظمة هذين القديسين، لأن ذلك موضوع دراسة خاصة مطولة، ولكن ما يعنينا هنا فى هذا الصدد هو أثبات ما يدين به القديس بندكت للقديس باخوميوس من حيث إقتباس الكثير من أفكاره فى حياة الشركة وفى النظام والعمل البدنى والعقلى والطاعة المطلقة للرؤساء وتثقيف الرهبان إلى جانب الشروط الأصلية فى الحياة الرهبانية كالبتوليه والطهارة والفقر. وقد قيل أن الأول نقل فى بعض الأحيان نقلاً حرفياً من قوانين الآخر. ونظراً لما كان يتمتع به بندكت بين اللاتين من مركز ممتاز، فقد إنتشرت التعاليم الباخومية عن طريقه فى أوربا إنتشاراً واسعاً وسريعاً ومنذئذ أخذ التاريخ الرهبانى فى الغرب صبغة مصرية جديدة هى صيغة إنسانية وروحية فى نفس الوقت.

غير أن حياة الشركة التى يرجع تأسيسها وتنظيمها إلى القديس باخوم فى القرن الرابع لم تقتصر آثارها على الديرية البندكتية فى القرن السادس، وإنما تعدتها إلى أوربا فى جملتها خلال القرون الوسطى التالية. وإن للباحث فى زوايا التاريخ الأوربى بالقرن

العاشر أن يتساءل بحق عما إذا كانت تعليم أنبا باخوم قد أثرت تأثيراً مباشراً فى حركة الأصلاح الكلونى (نسبة إلى Cluny الواقعة فى فرنسا على مقربة من حدود المانيـــا)، تلك الحركة الكبرى التى كان لها أثرها الدائم فى توجيه المدنية فى العصور الوسطى، وفى إحياء تلك الروح الفذة التى هدمتها النزعة الانفصالية والاســتقلال الــذاتى بــين مؤسسات القديس بندكت، إذ أن قانون بندكت الأصلى كان قد تجاوز عــن النــصوص التى ربطت مختلف الأديرة الباخومية برباط واحد، حتى يتم التعـــاون بينهـــا، وحتـــى يصلح المحسن بينها من زلة المسئ. وكان هذا التجاوز مصدر الزلل والتـــدهور فـــى كثير من الأديرة البندكتية، لذلك عمد آباء كلونى إلى الاستيحاء بوحى الماضى البعيـــد من تعليم أنبا باخوم فى توطيد أواصر الصلات بين الأديرة الكلونية، فجعلوا من رئيس ديرهم الأصلى زعيما وراعياً ورئيساً عاماً يخضع لسلطانه رؤساء الأديـــرة الفرعيـــة قاطبة، ويدينون له بفروض الطاعة المطلقة ثم أنهم لم يقتصروا فى اصـــلاحهم علـــى ذلك، بل قرروا عقد إجتماعين سنويين لجميع الرؤساء بقصد الشورى فـــى أمـــورهم، وتقديم التقارير عن أعمالهم فى أديرتهم، وإسداء النصح المتبادل بين رئيسهم الأعلـــى وبينهم، ورسم السياسة العليا التى يسيرون بمقتضاها فى عامة أعمالهم. والكلونيون فى كل هذا يذكروننا بأحداث القرن الرابع وبقوانين أنبا باخوم وأنظمته التى تحمـــل أوجـــه الشبه العجيبة لها. وإن هذا العجب يتضاءل أو يبطل إذا تذكرنا أن المؤلفات اللاتينيـــة التى كتبها يوحنا كاسيان والقديس جيروم وغيرهما عن آباء الـــصحراوات المـــصرية وعن قوانين أنبا باخوم وأنظمته ظلت منتشرة تتداولها أيدى الرهبان المتعلمين فى بلاد (غاله) التى هى منبت الحركة الكلونية خلال القرون الوسطى فكان طبيعيـــاً أن يرجـــع المصلحون فى الغرب إلى ما جاء بها من تعاليم الأوائل والأخذ بها.

وليس من العبث أو البهتان أن نقول إن حركة قيام الجماعات الرهبانية الجديـــدة المحكمة فى القرنيـــن الحادى عشر والثانى عشـــر مثل أخوان جراندموت (Grandmont) والكارثوزيان (Carthusians) والسترشيان (Cistercians) وغيرها كثير أنما جاءت فـــى أثر الحركة الكلونية. كما تلاها فى عهد لاحق جماعات الفرنسسكان والدومنيكان التـــى لايزال فضلها معروفاً إلى اليوم. ليس من العبث والبهتان أن نقول أن تلك السلسلة مـــن أولها لآخرها يمكن إقتفاء أصولها ومنابعها فى وحى أنبا باخوم المصرى. وإذا ســـلمنا بذلك، أصبح لزاماً علينا أن نسلم أيضاً بأن النهضة الأدبية الفكرية الأولى فى القـــرنين

الثانى عشر والثالث عشر، تلك النهضة التى تقترن بقيام العلوم الإنسانية ونشأة الجامعات فى العصور الوسطى، إنما هى أثر من آثار تلك الهيئات الديرية التى يرجع تكوينها فى الأصل إلى عبقرية أنبا باخوم.

وإننا إذا أمعنا النظر فى تاريخ الرهبانية العام على ضوء هذه الحقائق، لأدركنا فى وضوح تام أن مصر التى ولدت هذه الحركة الإنسانية الهائلة فى صحراواتها وقفارها، إنما ظلت تهيمن على كل ماتلاها من حركات الإصلاح الديرى بأوربا قرناً بعد قرن زهاء العصر الوسيط.

الباب الثالث

القديس باخـــوم
والحكيم المصرى أمنموبى



الحكيم المصرى أمنموبى



عالم القبطيات لويس يثؤفيل ليفور

L. Th. Lefort

عندما ينتهى تحقيق وترتيب وتحليل الأعمال الأدبية للباخوميين الأولين، فإنها ستثير قضايا كثيرة لا يقّدر أهميتها الذين ينظرون إليها فى عدم تقديـــر بأعتبار أنها آداب كنسية. ونرغب فى هذه العجالة البسيطـــة أن نوجه الأنتبـــاه إلى إحدى هذه القضايا، وأن نلخص النتائج الأولية لحل قد يبدو للكثيرين غير منتظر.

فمن المعروف أن مؤرخى الأدب المصرى لا يدخلون فى حسابهـم الأدب المصرى المسيحى، أى الأدب القبطى، معتبرين إياه بكل بساطة أنه أدب يونانى بتعبير مصرى، أى أن المسيحية قد إنتشرت فى مصر عن طريق الهيلينية وتتابعت تبعاً لذلك ترجمات المصادر اليونانية للعقيدة الجديدة، أو الإقتباس منها لأجل أن تصل إلى العناصر الأقل تأثراً بالهيلينيـــة، وهى الطبقات الدنيا التى إحتفظت باللغة الوطنية، وبذلك نشأت اللغة القبطية وآدابها.

هذا الحكم المجمل والسائد يرتكز على الواقع فى أن النصوص المعروفة عموماً هى فى الأصل ترجمات عن اليونانية للكتاب المقدس والأبوكريفا وتاريخ الـــشهداء وتعليمـــات مختلفة وغير ذلك. فلنلاحظ أولاً أن هذه الكثرة من الترجمات وهى طبيعية جداً فى بلد كانت النصوص الرسمية فيه، سواء أكانت كنسية أم مدنية، مكتوبة باليونانية، وهـــو أمـــر لـــيس منصوصاً على مصر فقط، ولا يقضى على الآداب الأصلية، وفى المكان الثانى – وهو أمر هام – فإن ما تبقى الآن لدينـــا من الأدب القبطـــى القديـــم، أنما نعرفه على الأخـــص مـــن النصوص التى حصلنا عليها من مصر السفلى، ومن خليط يرثى له من وريقات غير مرئية وممزقة، إنتزعت مجزءة من وفى قطع، فى بعض الأحيان منذ قرون، من كتـــب قديمـــة، وإنتشربت كيفما أتفق بالشراء. فمثلاً أكثر من عشرة آلاف ورقة من مكتبة الـــدير الأبـــيض الشهيرة، أكثرها اليوم دون عنوان أو مجهولة الأصل موزعة بين عشرين مكتبـــة عامـــة أو خاصة. ومن الطبيعى أن أول ما توصل إلى معرفتها من النصوص هى التى كان لها مقابل يونانى، وأما ما تبقى بعد ذلك فما الذى تستطيع أن تستخرجه منهـــا؟ بالنـــسبة إلـــى الأدب الأصلى، فإن أعمال الأنبا شنوده الأدبية مازالت مجهولة حتـــى مـــن الأخـــصائيين بينمـــا المعروف أنها كثيرة: وغير ذلك فهو فى طريقه إلى الظهور سواء ما يتعلق به أو بغيره، وها هو البحث المرتب عن أعمال أنبا باخـــوم ومدرسته الأدبية يبشـــر بمصادر لم تكن متوقعة. وبإختصار يمكننا أن نؤكد أن الأدب المصرى القديم قد إنتعش فى مصر المسيحية.

والمشكلة الأولـــى التى تجابهنـــا هى معرفـــة ما إذا كان الأدب المصرى ذو الإلهام المسيحى لا صلة له مطلقاً، كما يؤكدون، مع ماضى مصر، ليكون من نفسه غصنا غريباً من الهيلينية المسيحية. من المهم أن نبحث إلى أى مدى قد تخللت الهيلينية عقليـــة هـــؤلاء المصريين، وهل حقيقى أنهم يفكرون يونانياً بينما يستمرون فى التحدث بالمصرية؟

إن فحص أعمال الباخوميين، الذى يكاد يبتدئ، يمكننا من الإجابة منذ الآن بدقة على هذا السؤال عندما ندلل بإختصار بمثال نموذجى.

لقد قلنا فى المجلد التاسع من مجلة الموزيون Museon أنه من المحتمل أن يكون قانون باخوم أقدم نص معروف للأدب القبطى الأصيل. ومما لاشك فيه أن هذا القانون الأساسى للرهبنة المسيحية لا يمكن النظر إليه كقطعة من الأدب فى أمور الدنيا، فهو إذن ينظر إليه كمادة نموذجية لفحص العقلية المصرية المسيحية. وفى هذا القانون يوجد فصل حفظته لنا الصدفة كاملاً تقريباً بلغته الأصلية بشكل يضمن لنا الحد من حريات المترجمين فى تصرفاتهم.

ففى هذا الفصل نستطيع أن نقرأ صورة أخلاقية طويلة لرئيس الجماعة الرهبانية الكامل، أو كما يقال فى العالم العسكرى (المساعد) الكامل. وبهذه المناسبة فقد كان كل دير باخومى، على مثال شعب إسرائيل، مقسماً إلى قبائل والقبائل إلى بيوت، وكان كل بيت يحوى رهباناً ذوى مهنة واحدة، وكان لرؤساء المنازل (مساعدون)، وهم الأوتاد العمالية الحقيقية للجماعة الرهبانية. وبقراءة هذا الفصل فى القانون يلفت نظرنا أولاً أن الصفات المطلوبة يعبر عنها بتعابير قصيرة وبطريقة سلبية، مثلاً: من لا يرغب.. من لا يضيع.. من لا يترك.. وهكذا، وهل من الضرورى أن نؤكد على طريقة يعرفها غير الملمين بالأدب المصرى، ولو بأسمها، وهى الإعتراف السلبى؟ بل أنه من المفيد مقارنة فصل من كتاب الموتى مع ما تقدمه من نصوص. ثم مما يلفت النظر ما تحتوى عليها التعابير من حكم وأمثال مما يعطى الأنطباع أن هذه الصورة عبارة عن حكم متعددة الألوان. ونظراً لأن الأدب الرهبانى تتخله كالعادة تعابير من الكتاب المقدس، كان علينا أولاً أن نبحث فى الكتاب المقدس عن المصادر التى أخذت منها هذه العبارات، وقد خرجنا بالنتيجة الآتية: إن ما يقارب من نصف هذه التعابير لم نجد لها مقابلاً ولو فى المعنى، ووجدنا مقابلاً لنحو العشرين تعبيراً فى المعنى يعتبر مرضياً إلى حد ما، ثم هناك تعبيران أو ثلاثة يبدو أنها تتقابل فى التعبير تقريباً (ونلاحظ أن هذه المقابلة فى التعبير والمعنى نجدها كلها تقريباً فى الأمثال أصحاح ١٧ إلى ٢٠ وفى الأصحاح الأول من حكمة يشوع بن سيراخ)، ومن المعروف أن التعبير فى الأمثال له الأهمية الأولى، لذا نتساءل بحق إذا كان باخوم يتبع الكتاب المقدس لماذا يغير التعابير كقاعدة تقريباً، فمثلاً: لا تصب المر فى فم المكفوف، عوضاً عن التعبير الكتابى (قدام الأعمى لا تجعل معثرة "لاو ١٤:١٩")، ونتساءل يكتب القديس جيروم فى ترجمته (لا تضع معثرة أمام قدمى مكفوف)، يجب إذن أن نبحث مصدر ذلك خارج الكتاب المقدس. وبما أننا بحثنا دون جدوى فى باقى الأدب المسيحى القديم، وبما أن الطابع العام لهذه القطعة

هو عبارة عن نصائح عملية مختلفة فقد جازفنا بالبحث فى أدب النصائح الفرعونى، وقد تحصلنا على بعض فئات منه وقد أوصلتنا الصدفة وحبنا للاستطلاع إلى أفكار متفرقة فى هذه البقايا التى أحدثها حكمة (أمن – إم – أوبى) والتى ترجع إلى إثنى عشر قرناً قبل أنبا باخوم، ورغماً عن الظروف غير المواتية فقد أدى بنا البحث إلى العناصر التى نستطيع تبيانها فى الصورة الآتية:

أنبا باخوم:

(رئيس البيت هو رجل)

- لا يفاجأ فى حالة سكر
- لا يحزن فى يوم الرب.
- الذى يقهر جسده حسب عادة القديسين.
- الذى لا نجده على أسرة التباهى حسب عادة الأمم.
- هو الذى كان مقسماً
- هو الذى لا يزحزح الحدود.
- ليس خبيثاً فى مقاصده.
- الذى لا ينسى فقره الروحى.
- الذى لا ينغمس فى أعمال الجسد.
- الذى لا يختال فى مشيته.
- الذى لا يتسرع فى التلفظ بنافلة القول.
- الذى لا يضع مراً فى فم مكفوف.
- الذى لا يتعود القيام بأعمال الطيش.
- الذى لا يسقط بالضحك بكلام معسول.
- الذى لا يدع هدية تضله.
- الذى لا يجعل الشدائد تتغلب عليه.
- الذى لا يخشى الموت ولكن الوقوف أمام الرب.

- لا تعتاد علي شرب جرة من البيرة (آنى)

لا يعمل على قطع العلاقة التى وضعها الرب فى السماء لكى تدوم على الأرض.

- تملأه الرغبة ليحافظ على نفسه (أمن – إم – أوبى).
- لا تزحزح حدود الأرض المزروعة.
- ولا يغش؟ (فى ...(أمن – إم – أوبى).
- لا تنس كيف كنت قبلاً (بتاح حوتب).
- البيرة والنساء (غير مذكور الإسم).
- لاحظ تصرفاتك أمام من هم دونك (أمن – إم – أوبى).
- لا تتكلم علانية (أمن – إم – إوبى).
- لا تستهزئ بمكفوف (أمن – إم – أوبى).
- لا تقذف قلبك إلى الخارج (امن – إم – أوبى).
- شفتاه معسولة ولسانه مر (أمن – إم – أوبى).
- لا تقبل حبويا من الفلاح ولا تزدر ... (أمن – إم – أوبى).
- لا تندب بؤسك (أمن – إم – أوبى).
- حافظ على نفسك أمام من يملك كل شئ (أمن – إم – أوبى).

❖ الذى لا ينكر عن خوف.	❖ ... لا تمدحه عندما يستولى الخوف عليك (أمن – إم – أوبى).
❖ الذى لا يترك النور لأجل الطعام.	❖ احتقر الطعام حتى إذا كنت تتناوله بمحض ارادتك (كا – جمنى).
❖ الذى لا يعوم فى أعماله.	
❖ الذى لا يتلون فى أعماله ولكن يحافظ على قول الحق، يحكم ويقرر الحقيقة دون تفاخر.	❖ لا تقف فى المحكمة أمام أمير ولا تكذب ولا تصعد وتنزل فى إجابتك قل الحق (أمن – إم – أوبى).
❖ المتبصر فى علوم القديسين.	
❖ الذى لا يظلم قريبه عن كبرياء.	❖ لا تجر إنساناً فى شدة أمام المحاكم، ولا تقلب الحقائق، ولا تعتن بذوى الملابس الجميلة وترفض ذوى الملابس القذرة.
❖ الذى لا يمكن جذبه بحساسية عينيه.	
❖ الذى لا يسقط نتيجة رغبته.	
❖ الذى لا يتصرف بمكر.	
❖ الذى لا يبرر الظلم.	
❖ الذى لا يمدح شخصاً فى المحكمة.	❖ لا يقبل هدية من قوى. نظير هدية.
❖ الذى لا يتضاحك فى وسط الصبية.	
❖ الذى لا يجرد نفساً مما تملك.	❖ حاذر أن تسلب فقيراً.
❖ الذى لا ينسى حنين الفقراء.	❖ وأن تستعمل العنف مع ضعيف (أمن – إم – أوبى) و(بتاح حوتب).
❖ الذى لا يؤدى شهادة زور نظير مكسب.	❖ لا تزور ... (أمن – أم – أوبى).
❖ الذى لا يكذب عن كبرياء.	
❖ الذى لا يسعى لأجل الحصول على مركز.	❖ لا تجعل قلبك يميل نحو السلطة.
❖ الذى لا يهرب من الآلام.	
❖ الذى لا يراعى نفسه عن خزى.	
❖ الذى لا يركز عينيه على ما يوضع على مائدة الطعام.	❖ لا تكن جشعاً فى ملء بطنك (آنى) و (بتاح حوتب)
❖ الذى لا يشتهى الملابس الجميلة.	❖ لا تشته النحاس، وتباعد عن الكتان الجميل. (أمن – إم – أوبى).

من الواضح أن العلاقة بالأدب الفرعونى ليست لفظية فقط، كذلك ليس أقل وضوحاً أن هذه القطعة القبطية مملوءة من أدب النصح والأمثال المصرية القديمة. هذه الحقيقة الرئيسية مليئة بالنتائج وتثير أمام أفكارنا جمهرة من الأمثلة، متى وكيف تشرب الأنبا باخوم بهذا الأدب؟ وُلد نحو عام ٢٩٠م فى مقاطعة إسنا من عائلة وثنية ذات مكانه محترمة. وبهذه المناسبة نرى وضع حد لتلك الشهرة التى صاحبت ظهور الرهبنة القبطية، بأن الرهبان كانوا جماعة بدون ثقافة ومن الأوساط الدنيا، بينما كان بترونيوس أول خليفة للأنبا باخوم على درجة من الغنى وتملك عائلته أملاكاً واسعة، وكان تيودور الخليفة الثانى والتلميذ المفضل كذلك من عائلة محترمة وتثقف فى صباه. اعتنق الأنبا باخوم المسيحية فى العشرين من عمره، ومنذ ذاك الوقت انسحب إلى الصحراء بصحبة جماعة من النساك سنين طويلة قبل أن يكون جماعاته الرهبانية. ونستطيع الآن أن نتفهم معنى هذا التفصيل الذى أورده بعض كتاب سيرته وهو أن والديه قد عنيا بتثقيفه بالأدب المصرى، كما أن أعماله تكشفت عنه كعبقرى ومفكر ممتاز جداً، إذن فقد تأدب الأنبا باخوم فى صباه فى المدرسة بالأدب الوطنى القديم، ومن المعروف أن كراسات الطلبة قد أوصلت إلينا جزءاً محترماً من الأدب الفرعونى الأخلاقى، ومن المعروف أيضا أن تعاليم آنى وحكمة (أمن – آم – أوبى) كانا ضمن الكتب المدرسية فى مصر القديمة، ونستطيع أن نتبين أن نفس هذه المواد كانت مازالت تدرس فى المدارس فى بداية القرن الرابع، وأن التقاليد القديمة كانت مازالت سائدة. فليس إذاً من باب الصدفه أن هيلينية مصر كانت سطحية إلى حد كبير بعكس ما يصوره لنا علماء البرديات.

تحت أى شكل إذاً كان الأدب المصرى يقدم للشاب باخوم؟ تتفق جميع المصادر لتخبرنا سواء بطريق مباشر أم غير مباشر، ان أنبا باخوم كان يجهل اليونانية لمدة طويلة. إذن كان التعليم وكانت الكتب باللغة المصرية، ولكن أية لغة مصرية؟ كل ما نستطيع أن نتبينه من النصوص أن أنبا باخوم كان يتكلم ويكتب باللهجة الصعيدية الخالصة، وقلما نسطيع أن نعثر على آثار من الأخميمية. وقد تتيح الأنبا باخوم قبل عام ٣٥٠م. من يستطيع أن يدعى أنه بتغيير ديانته قد غيَّر فى نفس الوقت لهجته الأدبية والكتابة خصوصاً ونحن نراه أميناً لأدبه القديم؟ أنها لمسألة محيرة. فإذا كان أنبا باخوم قد تَعلم القبطية فى صباه فى المدرسة الوثنية فمعنى ذلك أن القبطية ليس لها فى مهدها علاقة خاصة بالمسيحية! فقد تابعت الآداب المسيحية إذاً تياراً قديماً. إن المسيحية المصرية وهى التى كانت توجه ليس إلى الهيلينيين أو المثقفين بالهيلينية ولكن إلى الجمهرة التى

ظلت أمينة لتقاليدها القديمة ولغتها، وقد دخلتها بعزيمة قوية، سارت في نفس خط التقاليد الوطني. ليست اللغة القبطية إذاً هي التي قتلت الثقافة المصرية، وقتلت صلة الأدب بين مصر الفرعونية ومصر المسيحية، ولكن اللغة العربية هي التي استطاعت أن تقتل في بضعة قرون اللغة القبطية! وهي نتيجة لم تستطيع اللغة اليونانية أن تتوصل إليها وكما أنه من السخف أن نرى فراغاً بين الآداب المسيحية سواء أكانت لاتينية أو يونانية وبين الأداب الوثنية في هذه اللغات، بل نراها مكّملة لها، كذلك ألا نكون مخطئين في أن نتخيل الأدب القبطي مضاداً للأدب المصري القديم؟ وعلى العكس أليس الأدب القبطي هو الوريث المباشر للأدب المصري القديم؟

هذه الفكرة هي التي كانت على كل حال تدور في خُلد أنبا باخوم عندما نظّم الشركة الرهبانية المسيحية، فهو عوضاً عن أن يبتعد في تقزز عن كل الماضي القديم لأمته، فقد طعم جذع الحكمة المصرية القديمة بفرع النسك المسيحي.

أي ضوء يلقيه هذا الإلهام غير المنتظر على خصائص الشركة الرهبانية الحديثة الولادة، وتزيد أيضا على خصائص الأدب المسيحي الحديث لمصر.

وفي الختام، من وجهة النظر الأدبية هل مازلنا نتساءل إذا كان قانون القديس باخوم قد كُتب أولاً باليونانية؟ وهل مازلنا نردد أن الشكل الأصلي له نجده عند بلاديوس في (قانون الملاك)؟ وهل من المعقول أن تُدعى أن النصوص القبطية للسحر والطب.. الخ. منقولة عن اليونانية؟ في كلمة واحدة أليس هناك مكان لنصحح وجهات نظرنا التي تفرض أن أي نص قبطي إنما هو منقول عن اللغة اليونانية؟

على غير طائل أن نطيل قائمة الأسئلة إذ إن الحصاد لم يتم بعد نضجه، ولم يأت بعد وقت جمعه. وفي خلال العمل البطئ للتحقيق والترتيب أردنا بكل بساطة أن نتوقف برهة لنشير إلى الطريق الذى نتبعه ولنطلب من الافهام المستنيرة إذا كانت ظنوننا خاطئة .

عاش باخوم من عام ٢٨٧ إلى عام ٣٤٦م، وعاش أثناسيوس من ٢٩٥ إلى ٣٧٣م، فيكون نشاطهما الأدبي قد تداخل في ذاك الوقت أكثر من ربع قرن.

وقد تثقف أثناسيوس مبكراً بالأدب النسكي وهذا الاستنتاج يتطابق مع ما نعرفه عن شبابه بواسطة مؤلفه عن حياة القديس أنطونيوس، لقد عاشر المتوحد العظيم، وكان يترجم من القبطية إلى اليونانية عظات القديس أنطونيوس الذى لم يكن يتكلم سوى القبطية, فكيف كان يتاح له معاشرة القديس أنطونيوس وترجمة عظاته إذا لم يكن على معرفة بالقبطية؟

وقد بينا فيما سبق أن أنبا شنوده الذى كان يعرف البابا أثناسيوس طوال ثلاثين عاماً، كان تحت نظره النصوص القبطية لبعض كتاباته النسكية. وكذلك أنبا باخوم، قبل ٣٢٨م، أما أنه كان تحت نظره هو الآخر أو فى ذاكرته رسالة أخرى للبابا أثناسيوس عن النسك بالقبطية.

ولا نستطيع أن نقتنع بالقول بأنه من الممكن أن البابا أثناسيوس، مثله فى ذلك مثل جميع المثقفين. كان يكتب باليونانية، وأن بعض كتاباته قد تُرجمت إلى القبطية لفائدة الرهبان الذين لا يتكلمون اليونانية... ومثل هذا التفسير الذى يستند إلى افتراضات لا تصمد طويلا أمام الحقائق، يجعلنا نتساءل لماذا يترجم القديس أثناسيوس إلى اليونانية عظات القديس أنطونيوس بالقبطية لأجل الغربيين ثم يضطر إلى إرسال توجيهات إلى مواطنيه باليونانية بينما هم لا يستطيعون سوى قراءة القبطية. إن النقد البناء يلزمنا بأن نتساءل عما إذا كانت الكنيسة فى مصر التى كانت تتكلم بلغتين، لم تكن دائماً وبشكل رئيسى قبطية فى حياتها الداخلية.

وتلخيصاً لما سبق: فإن ناسكين من كبار النساك القبط وهما أنبا باخوم. وأنبا شنوده، وكل منهما كان معاصراً للقديس أثناسيوس. كان تحت ناظريهما رسالات نسكية للقديس أثناسيوس بالقبطية وغير معروفة باليونانية. وكان البابا أثناسيوس فى شبابه قد تدرب على الحياة النسكية لدى القديس أنطونيوس الذى لم يكن يتكلم سوى القبطية. وقد ترجم من القبطية إلى اليونانية عظات القديس أنطونيوس، كما فى خلال حياته الصاخبة قد التجأ أكثر من مرة إلى هذا العالم الرهبانى الذى كانت لغته هى القبطية فهل نتردد بعد ذلك فى الاعتراف بأن البابا أثناسيوس، الذى كان الرهبان يكنون له تقديراً عظيماً، إنما قد شارك فى تلك الحركة الرهبانية الكبيرة فى وطنه بلغة القديسين انطونيوس وباخوم وشنوده أى باللغة كان التى يتكلم بها كل النساك المصريين؟

إن السبب الذى جعل بعض الأوساط فى السابق تتردد طويلاً، وهو فى الفكرة التى كانت لديهم فى الغالب عن الكنيسة المصرية، فتبعاً لذلك السراب الناتج عن تعاليمنا القديمة، اعتقدنا أننا نستطيع أن نصرح بأن جميع (المثقفين) فى مصر كانوا يكتبون باليونانية، ولكن هنا نؤكد شيئاً لا نستطيع أبداً أن نبرهن عليه. وبعد ذلك ندعى بكل بساطة بأن الأوساط النسكية كانت تعيش فى عمق الصحراء، مقطوعة عن أى اتصال بمراكز الحياة الفكرية وحتى العلوم الكنسية، وفى هذا إنكار لحقائق ثابتة، فمثلاً

إن الإثنى عشر ديراً باخومياً التى كانت مزدهرة حوالى عام ٣٦٨م كانت جميعاً على شواطئ النيل أو على حافة الوادى أى بجوار النيل، الطريق الوحيد الكبير للمواصلات وكان لدى الجماعة فرقة خاصة منظمة من النوتية الذين كانت مهمتهم الوحيدة تأمين المواصلات بين الأديرة وبعضها ومع الإسكندرية والأسواق الأخرى لتصريف منتجاتهم ويأتون إلى أديرتهم بما لا تستطيع عمله.

فيجب أن يكون واضحاً يوماً ما أن مصر لم تتأثر بالهيلينية سوى سطحياً وتكفى شخصية مثل شخصية الأنبا شنوده فقط لأجل أن تؤكد هذا الاستنتاج، حتى ولو لم يكن هناك ألف دليل آخر لهذه الحقيقة تدفعنا إلى الاعتراف بأن جمهرة مسيحى مصر، بما فى ذلك عدد من الأساقفة، لم يكونوا يستعملون سوى القبطية. وفى مثل هذا الوسط مما لا يدعو إلى الدهشة، أن اسقفاً كبيراً مثل البابا أثناسيوس، وغيره قبله وبعده ممن جلسوا على كرسى القديس مرقس كان اتصالهم مباشراً مع رعيتهم.

الباب الرابع

قوانين الأنبا باخوم أب الشركة الرهبانية

الأب جيرار فيو

"وحقاً إرتفع إسمك يا أبانا أنبا باخوميوس لأنك أظهرت الشركة الرهبانية... ونور فضائلك وصل إلى البلاد البعيدة وإلى الذين تحت السماء فى البرارى والجبال".

(ذكصولوجية القديس باخوميوس يوم ١٤ بشنس)

تقديم

لقد ذكـــر (بلاديوس Palladius) فى كتابه: "تاريخ لوزياك، (Histoire Lauiaque)، ١:٣٢، أن قوانين القديس باخوميس قد أملاها عليه ملاك من السماء وأمره بتغيير حياته النسكية إلى حياة الشركة مع الرهبان بأن يسمح لهؤلاء أن يعيشوا معه، وقد ظهر له ملاك الرب عندما كان جالساً فى مغارته وقال له "لقد أخلصت فى إتمام ما يخصك من الأمور ومن العبث أن تظل هكذا مرتبطاً بهذه المغارة، هيا أخرج من هنا واجمع كل الرهبان الشباب وأقم معهم حسب المخطط الذى سأعطيه لك وأفرض عليهم ما يلزم من قوانين" ثم سلمه الملاك لوحة نحاسية محفوراً عليها نص القوانين.

وقدم بمعونته تعالـــي، قوانيـــن القديس باخوميوس حسب النص اللاتينى للقديس (إيرونيموس Jerome) ناسك بيت لحم الذى كان يجهـــل اللغة القبطية فاستعان بالترجمة اليونانية لوضع نصه اللاتينى، ولقد وُجدت الترجمة اليونانية قبـــل الترجمـــة اللاتينيـــة ببضع سنوات.

حيث رأى القديس باخوميوس أن الحاجة ملحة إلى تنظيم دير للرهبان الأجانب تحت إشراف (ثاؤذورس Theodore) الإسكندرى الذى ترجم قوانين الشركة الباخومية إلى اللغة اليونانية لخدمة الرهبان اليونان والرومان لجهلهم اللغة القبطية، ومن المحتمل أن يكون (سيلفانوس Sylvain) الكاهن قد أعطى نسخة من هذه الترجمة اليونانية للقديس إيرونيموس وطلب منه ترجمتها إلى اللاتينية لمصلحة بعض رهبان (كانوب Canope) شمال شرق الاسكندرية فى أبى قير، وكذلك لرهبـــان (طيبايا Thebaide) الذين كانوا يجهلون القبطية واليونانية.

لقد أسس القديس باخوميوس ديره الأول حوالى سنة ٣٢٠م ومنذ هذا التاريخ صنف القوانين الأولى للحياة النسكية.

وتنيح القديس باخوميوس سند ٣٤٦م.

وفى سنة ٤٠٤م تسلم القديس إيرونيموس الترجمة اليونانية لنقلها إلـــى اللاتينيـــة حتى يستخدمها الرهبان اللاتين الذين إنضموا إلى تلاميذ القديس باخوميوس.

وهذه الترجمة أتاحت لقوانين القديس باخوميوس الإنتشار فى الغرب، وقد استعان القديس باسيليوس بقوانين الأنبا باخوميوس فى وضع قانونه الخاص.

وكذلك شكلت الترجمة اللاتينية لقوانين الأنبا باخوميوس ربع كتاب: "القانون الشرقى Regula Orientalis" الذى ألفه الشمـــاس (فيرجيليوس Virgile) فى سنة ١٢٠م فى بلاد Gaule بفرنسا.

ولقد استعـــان القديسان (سيزير الآرلى Cesaire d'Aries) و (أوريليوس الآرلى Aurelius d'Arles) بقوانيـــن الأنبا باخوميـــوس فى وضـــع قانونيهما وكذلك الرهبان (سيلت Celtes)، وكذلك تتشابـــه قوانيـــن "Regula Tarnatensis" التى وضعـــت فى القرن السابـــع، وقوانيـــن القديس (بينيديكوس Benoit) مؤسس الرهبنة فى الغرب مع قوانين الأنبا باخوميوس.

أخيراً القديس (بينيديكتوس الانيانى Benoit d'Aniane) المتوفى عام ٨٢١م، استعان فى إصلاحه الكبير بقوانيـــن القديس باخوميوس فى كتابه "Liber ex regulis diversorum patrum collectus" عن النص اللاتينى للقديس إيرونيموس.

إن نص قوانين القديس باخوميوس الذى نقدمه هنا عن ترجمة القديس إيرونيموس تشمل أربعة أقسام تسبقها مقدمة القديس إيرونيموس نفسه وتنقسم إلى ١٩٤ قانوناً:

مقدمة القديس أيرونيموس:

القسم الأول: من ١ – ١٤٤: تعلميات.

القسم الثاني: من ١٤٥ – ١٦٢: تعليمات وأنظمة.

القسم الثالث: من ١٦٣ – ١٧٩: تعليمات وأحكام.

القسم الرابع: من ١٨٠ – ١٩٤: تعليمات وشرائع.

لم تحفظ قوانين القديس باخوميوس بكاملها إلا فى نسخة القديس إيرونيموس اللاتينية.

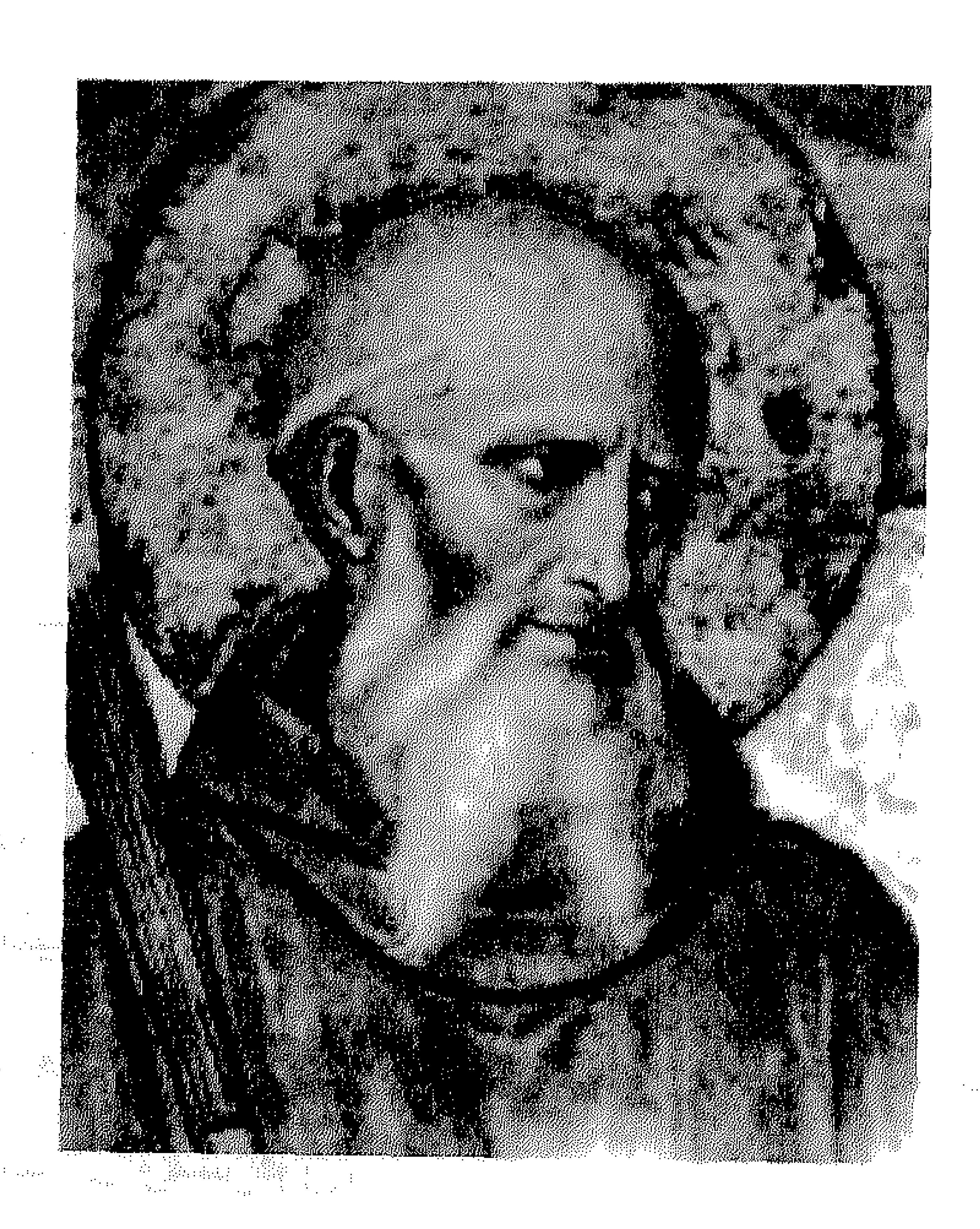
لدينا بعض أجزاء بسيطة من النص القبطى، وإلى الآن لم يعثر على أى مخطوط كامل للنص اليونانى لهذه القوانين.

أما النص العربى الذى نود أن نقدمه للقراء الأفاضل فما هو إلا ترجمة لنص فرنسى وضع فى دير (سوليسم Solesmes) بفرنسا بمساعدة الأب (بلاسيديسيل P. Placide Deseille) من رهبان دير التجلى فى (أوبازين Aubazine) بفرنسا عن النص اللاتينى من القديس إيرونيموس، النص النقدى (لأرماند بوون Don Armand Boon) فى "الباخوميات اللاتينية" بمكتبة مجلة التاريخ الكنسى الجزء السابع: لوفان ١٩٥٢ (Bibliotheque de la Revue d'Histoire Ecclesiatique, fascicule 7, Louvain 1952).

أما نص الأجزاء القبطية لقوانين القديس باخوميوس فقد نشرها (ل. ت. ليفور L. T. Lefort) فى "أعمال القديس باخوميوس وتلاميذه" مجموعة الكتاب المسيحيين الشرقيين، المجلد ١٦٠ الجزء ٢٤: لوفان ١٩٥٦ (Corpus Scriptorum Chritianorum Orientalium, Volume 160, Scriptores Coptici, t. 24, Louvain 1956).

سنقدم قريباً "قوانين الملاك" الذى إستلمه القديس باخوميوس من الملاك. صلاة وبركة الأنبا باخوم تكون معنا آمين.

الأب جيرار فيو – فاقوس



الأب بندكت

✣

مقدمة القديس إيرونيموس

(١) مهما كان السيف حاداً ولامعاً فسيعلوه حتماً الصدأ وسيفقد بهاء لمعانه إذا استمر طويلا فى غمده.

لذلك بينما كنت مغتما لموت القديسة الموقرة بول (لم أتصرف فى ذلك خلاف وصـية الرسول ولكنى كنت أتوق بحـرارة أن يتعزى العـدد الكبيـر الذى حرمه الموت سـندها)، قبلت أن أتسلم الكتب التى أرسلها إلىّ رجل الله سلوانس الكاهن التى كان قد تسلمها من الاسكندرية ليسلمها إلىّ لترجمتها.

فى الواقع كان يقول أن فى أديرة طيبانا وفى ديـر ميتانويا (دير كانوب بأبى قيـر) كان يقيم فيه كثير من الرهبان اللاتين الجاهليـن القبطيـة واليونانيـة اللغتين اللتيـن سجلت بهما قوانين باخوميوس وثاؤذورس وهورسيوس، هؤلاء الرجال العظـام الذين كانوا أول من أسس قاعدة الحياة النسكية المشتركة "Còenòβια" فى طيبايا ومصر حسب وصايا الله والملاك المرسل من قبله تعالى لهذا الغرض.

بعد ما لزمت الصمت طويلا كنت إيانه يسيطر على الألم، حثنى على العمل القس ليؤنس والإخوة الذين أرسلوا لهذا الغرض لذا أستدعيت سكرتيراً وأمليت عليه باللاتينية القوانين التى سبق ونقلت من القبطية إلى اليونانية. ولم يكن هذا استجابة لطلبات مـن توسلوا إلىّ ولكن لأوامر هؤلاء الرجال العظام، حطمت حياة الصمت الطويل وانتهزت هذه الفرصة الحسنة كما يقال ورجعت إلى سابق عهدى من حياة العمل لأدخال السرور على نفس تلك المرأة القديسة التى كانت تشتعل حباً بالحياة النسكية وتمعن التأمل علـى الأرض فيما سوف تشاهده فى السماء.

وفضلاً عن ذلك فإن عذراء المسيح الموقرة إبنتها (أوستوشيوم Eustochium) ورثت عنها الخامات الكافية لتضع قوانين لقيادة أخواتها كما تبع إخواننـا طريـق الرهبـان المصريين رهبان (طيبانيس Tabenne).

(٢) لهؤلاء الرهبان فى كل دير كونوموسـيون(*) وخـدام أسـبوعين وضـباط مساعدون ورؤساء منازل ومشرفون.

---

* كونوبيون: تعنى شركة رهبانية.

كان يجمع كل منزل حوالى أربعين أخاً (فى الواقع من عشرة إلى عشرين) يتحتم عليهم الطاعة للمشرف، وكل دير يحسب بالنسبة لعدد رهبانه بين ثلاثين وأربعين منزلا، تتوحد كلها فى ثلاث أو أربع مجموعات، وهذه المجموعات تذهب معاً للعمل وتتابع حسب دورها فى الخدمة الأسبوعية.

(٣) من دخل الدير أولاً تكون له الأولوية فى الجلوس والسير وتسبحة المزامير والجلوس على المائدة وقبول المناولة فى الكنيسة إذ لا يعتبر الأخ بكبر سنه ولكن بتاريخ دخوله الدير.

(٤) لا يكن فى صوامعهم سوى حصيرة والأشياء الآتية:

رداءان "نوع من الملابس المصرية دون أكمام" وثوب ثالث مستعمل يرتدونه أثناء النوم أو العمل، معطف من الكتان، قلنسوتان، فرو من جلد الماعز يسمونه ميلوت، وأخيراً صدرة صغيرة من الكتان، حذاء، عصا كرفيق للطريق.

(٥) يعتنى بالمرضى عناية بالغة، فتقدم لهم وجبات وافرة جداً، أما الأصحاء فيجب أن يكونوا أشد تقشفاً على الجميع، الصوم مرتين فى الأسبوع يومى الأربعاء والجمعة ما عدا أيام الفصح والعنصرة، وفى الأيام الأخرى من أراد أن يأكل فبعد الساعة السادسة، أما فى المساء فتقدم المائدة للعاملين والشيوخ والأطفال، وكذلك فى الأيام الشديدة الحرارة، بعضهم يأكل قليلاً فى الدفعة الثانية والبعض الآخر يكتفى بوجبة واحدة الغذاء أو العشاء، ومنهم من يكتفى بقليل من الخبز ثم يخرج من المائدة.

الجميع يأكلون فى وقت واحد، إذا امتنع أحد عن الحضور إلى المائدة يرسل له فى صومعته خبز وماء وملح فقط كل يوم أو كل يومين حسب طلبه.

(٦) الإخوة الذين يحترفون مهنة واحدة يجمعون فى منزل واحد تحت سلطة المشرف، فمثلاً يجتمع سوياً الذين ينسجون الكتان، ثم يكون أسرة واحدة هؤلاء الذين يصنعون الحصر، وكذلك الخياطون والحدادون والقصارون "الصباغون" وصانعوا الأحذية.

يحكم كل تلك المجموعات المشرف عليهم ويقدمون كل أسبوع تقريراً عن أعمالهم لرئيس الدير.

(٧) يخضع جميع رؤساء الأديرة لرئيس واحد يقيم فى دير "بابو Pabou" وفى زمن الفصح جميع الرهبان (ما عدا الذين يتحتم عليهم المكوث فى أديرتهم) يجتمعون حوله بحيث أن خمسين ألف رجل يحتلفون معاً بعيد آلام المخلص.

(٨) فى شهر مسرى الموافق شهر أغسطس إقتداء بفصح العام اليوبيلى "لاويين ٢٥" توجد أيام فيها تغفر خطايا الجميع وتتم فيها مصالحة جميع المتنازعين ثم يتم تعيين الرؤساء والكونوموسيين والمشرفين والمساعدين لمختلف الأديرة حسب احتياجاتها.

(٩) يقول أيضا رهبان طيبايا أن باخوميوس وكورنيليوس "هذا الأخير مازال على قيد الحياة كما ورد وسنه يزيد عن المائة وعشر سنوات" هؤلاء تعلموا من ملاك لغة غريبة تسمح لهم بالكتابة والتحدث فيما بينهم بواسطة أبجدية روحية تكمن بها معانى خفية وراء بعض العلامات والرموز، وبما أن تلك الحروف والعلامات قرأها الرهبان الأقباط واليونان فإننا نقلناها إلى لغتنا ثم نسخنا أيضاً تلك العلامات "فى الابجدية الرمزية" التى عثرنا عليها.

إن غاية المحافظة على أمانة التفسير هى التى دفعتنا إلى أن نسلك طريق بساطة اللغة القبطية لئلا نكون عرضة لترجمة تافهة لا تعطى الصورة الصحيحة لهؤلاء الرجال الرسوليين الذين غمرتهم نعمة الروح.

إننى تجنبت التعرض لأشياء أخرى وردت فى مؤلفاتهم حتى يتسنى لهؤلاء الذين يتمتعون بحب الشركة الرهبانية "Koinonia" بأن يستقوها من منشئيها ليشربوا من العين ذاتها لا من الجداول التى تتفرع منها.

الفصل الأول

تعليمات أبينا باخوميوس

الرجل الذى أسس الحياة النسكية بأمر من الله

هنا تبدأ التعليمات:

١- أن من يقبل للمرة الأولى إلى سينكس القديسين يدخله كالعادة حارس الباب الذى يصحبه من الباب ويجلسه مع جماعة الإخوة، ولا يسمح له بتغيير مكانه او ترتيبه فى الصف بل ينتظر حتى يعين له "Oikiakos" أو مشرف المنزل مكانه المناسب.

٢- يجلس بكل حشمة وأدب واضعاً تحته الجزء الأسفل من "الراهتو" الذى يعلق من جهة الكتف ويشد بعناية ثوبه أعنى رداء الكتان بحيث تكون ركبتاه مغطاتين.

٣- عند سماع صوت البوق الذى ينادى إلى السينكس(*)،على الراهب أن يخرج فوراً من قلايته ليتأمل فى بعض أيات الكتاب المقدس حتى باب مكان السينكس.

٤- أثناء السير فى الكنيسة التوجه إلى مكان الجلوس أو الوقوف لا يداس الخيزران المبلل بالماء المعد لاستعماله فى صنع الحبال حتى لا يكون هذا الأهمال سبباً لخسارة ولو طفيفة للدير.

٥- عندما تسمع الخبط ليلاً لا تذهب إلى جوار النار التى توقد عادة لتدفئة الجسد من البرد، ولا تجلس دون عمل فى السينكس بل عليك أن تعد بنشاط الخيوط اللازمة لجدل حبال الحصيرة، فى هذه الحالة يسمح للضعيف بالتوقف عن العمل من وقت إلى آخر حتى يتجنب الارهاق.

٦- عندما يصفق بيديه الجالس فى أول مكان وهو يتلو عن ظهر قلب بعض نصوص من الكتب المقدسة معلناً بذلك نهاية الصلاة لا يسوغ لأحد التأخر عن القيام، بل على الجميع أن ينهضوا معاً دفعة واحدة.

٧- لا يجوز لأحد أن ينظر إلى أخيه وهو يجدل حبلاً أو يصلى، بل عليه أن يركز نظره فى عمله دون سواه.

٨- إليك نظام الحياة الذى ورثناه عن القدماء:

إذا ما ضحك أحد أو تكلم أثناء الأبصلمودية أو التأمل أو القراءة فليحل فوراً زناره وليذهب للوقوف أمام المذبح مطأطأ الرأس وذراعاه منخفضتان نحو الأرض، ويوبخه رئيس الدير، ثم يكرر هذا العقاب فى حجرة المائدة عند اجتماع الإخوة فيها.

(*) سينكس تعنى المجمع أى مكان الاجتماع

٩- عند سماع صوت البوق الذى ينادى إلى السينكس نهاراً، من يأتى متـأخراً بعـد التأمل الأول يعاقبه الرئيس بالتوبيخ وفى حجرة المائدة يظل واقفاً.

١٠- أما ليـلا حيث الأجسـاد الضعيفة فى حاجة إلى الراحـة، من يأتى متأخراً بعد الصلوات الثلاث يعاقب كما سبق فى الكنيسة وفى حجرة المائدة.

١١- عندمـا يجتمـع الإخـوة للصـلاة فى السينيكس لا يخـرج أحد دون أمر القدماء Les anciens ودون أن يحصل على إذن فى الخروج لاحتياجات طبيعية.

١٢- لا يوزع أحد الخيزران اللازم لجدل الحبال سوى خادم الأسبوع، وفى حالة عدم إمكانه القيام بذلك لقيامه بعمل آخر يجب إنتظار أمر الرئيس.

١٣- فيما يتعلق بالخدمة الأسبوعية لكل منزل لا يختار من يحتل المكان الأول أو من يتلو فى اجتماع كل الإخوة بعض فقرات من الكتب المقدسة بل يكون الاختيـار حسب ترتيب الإخوة فى جلوسهم وقيامهم ومن يستطيع أن يتلو عن ظهـر قلـب التعليمات التى أصدرت له.

١٤- إذا ما نسى أو تردد خادم الأسبوع فى تلاوته شيئاً ما يستحق التأديـب الموافـق لإهماله ونسيانه.

١٥- يوم الأحد عند إعداد التقدمة لا يسوغ لأى خادم من خدام الأسبوع التغيـب حتـى يجلس مكان كبير المرتلين ويرد على من يتلو التسبحة هذا يخـص علـى ا لأقـل المقيمين بالمنزل الذى يكون فى خدمة الأسبوع الكبير إذ أنه يوجد فى كـل منـزل خدمة الأسبوع الصغير الذى يقوم به عدد قليل من الإخوة، فإذا ما كان عددهم غير كافٍ فعلى رئيس المنزل المختص بالأسبوع الكبير الاستعانة بإخوة آخرين من القبيلة نفسها التى ينتمى إليها المنزل بدون أمره، لا يسوغ لمن كان من منزل آخر من نفس القبيلة أن يأتى إلى التسبحة، ولا يسوغ مطلقاً لأخ أن يشترك فى خدمة أسبوع منزل آخر ما لم يكن من نفس القبيلة التى ينتمى إليها، وتُدعى قبيلة اجتماع ثلاثة أو أربعة منازل حسب عدد الإخوة وأهمية الدير وهذا ما نسميه أسراً أو شعباً لأمة واحدة.

١٦- يوم الأحد وفى السينكس حيث يقدم القربان ليس لأحد حق تلاوة التـسبحة غيـر رئيس المنزل أو شيوخ الدير المؤهلين لهذه الخدمة.

١٧- عندما يخطئ أحد الشيوخ فى التسبحة أو قراءة المزامير عليه أن يخضع فـوراً أمام المذبح متمماً فروض التكفير والتوبيخ.

١٨- من يغادر السينيكس حيث يقدم القربان دون إذن الرئيس ليؤاخذ على الفور.

١٩- فى الصباح كل منزل لا يرجع الإخوة إلى قلاليهم بعد الصلاة مباشرة بل يتحدثون فيما يعرضه عليهم المشرفون فى الإرشاد وبعدها يسوغ لهم الرجوع إلى قلاليهم.

٢٠- على رؤساء المنازل أن يلقوا ثلاثة إرشادات كل أسبوع، وفى أثناء هذه الأرشادات لا يسوغ للإخوة أن يغيروا ترتيبهم فى الجلوس أو القيام، بل عليهم أن يلازموا أماكنهم حسب ترتيب الأديرة والأشخاص.

٢١- إذا ما جلس أو نام أحد أثناء المحاضرة التى يلقيها رئيس المنزل أو الدير يجبر فوراً على القيام ويظل واقفاً حتى يسمح له بالجلوس.

٢٢- عند قرع خبط الإجتماع لسماع تعليمات الشيوخ، "المتقدمين" لا يسوغ لأحد المكوث فى مكانه أو أن يشعل ناراً قبل إنتهاء المحاضرة، ومن يخالف شيئاً من هذه التعليمات يخضع للتأديب السابق ذكره.

٢٣- ليس لخادم الأسبوع السلطة دون أمر رئيس الدير أن يعطى لأحد حبالاً أو أى شئ آخر كما لا يستطيع بدون أمره أيضاً إعطاء خبط التجمع لسينكس الظهيرة أو صلوات المساء الست.

٢٤- بعد صلاة الصباح على موظف الأسبوع المفوض أن يسأل أبا الدير عن الأمور التى يراها ضرورية، وعن مواعيد عمل الأخوة فى الحقول، وتنفيذا لهذه الأوامر عليه أن يطوف فى كل منزل ويبلغ كل واحد ما يجب عليه فعله.

٢٥- إذا ما طلب أحد كتاباً للقراءة يُعطى له، ولكن عليه إعادته إلى مكانه فى نهاية الأسبوع مراعاة لمن يتعاقبون فى الخدمة.

٢٦- بالنسبة لضفر الحصيرة: على خادم الأسبوع أن يطلب من رؤساء كل منزل كل مساء كمية الخيزران اللازمة للمنزل ثم يبللها بالماء لتوزيعها فى الصباح على كل واحد حسب الترتيب، وإذا ما لاحظ خلال الصباح أنهم سيحتاجون إلى مزيد من الخيزران عليه أن يبله ويوزعه على المنازل حتى يدق خبط الأكل.

٢٧- على رئيس المنزل الذى ينهى أسبوعه ومن يخلفه وكذلك على أبى الدير أن يتقصوا عما حدث من أخطاء أو إهمال فى العمل، وعليهم أيضاً الإهتمام بتنفيض حصيرة الكنيسة، وإحصاء الحبال المجدولة كل أسبوع وتسجيل عددها على لوحات تُحفظ للاجتماع السنوى حيث تقدم الحسابات ويتم الصفح العام عما أرتكب من أخطاء.

٢٨- بعد إنصراف السينكس على الإخوة الخارجين الواحد تلو الآخر للذهاب إلى قلاليتهم أو إلى حجرة المائدة أن يتأملوا فى بعض فقرات من الكتاب المقدس ولا يغطى أحد رأسه فى أثناء التأمل.

٢٩- عندما يدخل الإخوة حجرة المائدة عليهم أن يجلسوا بنظام فى أماكنهم المحددة لهم ورؤسهم مغطاة.

٣٠- إذا ما أمرك أحد الشيوخ أن تغير مائدتك لا يصح لك إطلاقاً مقاومة أى أمر ولا تبدأ بخدمة نفسك قبل رئيس المنزل ولا تنظر مطلقاً إلى الآخرين فى أثناء تناولهم الطعام.

٣١- على المشرفين تلقين أعضاء منزلهم كيفية الأكل بنظام وحشمة إذا تكلم أو ضحك أحد فى أثناء الأكل يكفر عن ذلك ويوبخ على الفور وهو فى مكانه ثم يمكث واقفاً حتى ينتهى من الأكل ويقوم أحد الإخوة.

٣٢- إذا وصل أحد الإخوة إلى حجرة المائدة متأخراً دون معرفة أوامر الرئيس توقع عليه نفس العقوبة أو يرجع إلى منزله دون أكل.

٣٣- إذا احتاج أحد وهو على المائدة إلى شئ لا يجرؤ أحد على الكلام ولكنه يشير إلى الخدم بذلك.

٣٤- عند خروجك من حجرة المائدة إلزم الصمت فى العودة حتى تصل إلى مكانك.

٣٥- لا يأكل الخدم سوى ما أعد للإخوة عامة ولا يؤذن لهم فى أصناف غيرها من الطعام لأنفسهم.

٣٦- على من يقرع الخبط لمناداة الإخوة للطعام أن يتأمل عندئذ.

٣٧- من يوزع الحلوى للإخوة على باب حجرة الطعام عند خروجهم فليتأمل أثناء التوزيع فى فقرة من الكتاب المقدس.

٣٨- من يأخذ نصيبه من الفاكهة المعطاة له لا يضعها فى قلسونته ولكن فى راهوته، ولا يتذوقها قبل وصوله إلى منزله، وعلى من يوزع الفاكهة لإخوته أن يأخذ نصيبه من مشرفه وكذلك من يقومون بالخدمة يتسلمون فاكهتهم من شخص آخر دون أن يميزوا أنفسهم، وما أخذوه يكفيهم لمدة ثلاثة أيام، وإذا تبقى بعض الطعام فى نهاية الأيام الثلاثة عليهم أن يعيدوه لرئيس المنزل الذى يعيده بدوره إلى المخزن ليحفظ مع باقى الأشياء التى توزع على جميع الإخوة.

٣٩- لا يُعطى أحد أكثر من غيره.

٤٠- أما فيما يختص بالمرضى، فعلى المشرف أن يطلب من يخدم المرضى ويتسلم منهم اللازم.

٤١- إذا كان أحد خدام المائدة هو الضعيف، لا يُسمح له بدخول المطبخ أو المخزن ليأخذ منه شيئاً، لكن على الخدام الآخرين أن يعطوه ما يرونه ضرورياً له ولا يؤذن له بطهى ما يرغب، لكن على المشرفين أن يطلبوا من الخدام الآخرين ما يرونه ضرورياً له.

٤٢- لا يجوز لغير المرضى دخول بيت المرضى، أما المريض فيقوده مشرف المنزل على بيت المرضى، وإذا احتاج إلى برنس أو ثوب أو أشياء أخرى كالثياب أو الطعام، فعلى المشرف ذاته أخذ هذه الأشياء من الخدم وإعطائها للمريض.

٤٣- لا يجوز للمريض أن يدخل حجرة الذين يأكلون ولا أن يلتهم ما يرغب دون أن يصحبه الخادم المكلف بهذه المهمة، ولا يحق له أن يحمل إلى قلايته شيئاً مما أعطى فى بيت المرضى ولا ثمرة فاكهة.

٤٤- على من يطهو الطعام أن يقدمه كل بدوره للجالسين على المائدة.

٤٥- لا يجوز لأحد أن يأخذ نبيذاً أو شراباً خارج بيت المرضى.

٤٦- إذا ما مرض أحد المبعوثين فى سفر فى الطريق أو على مركب وكان فى حاجة أو رغبة لتناول حساء السمك أو أشياء أخرى تؤكل عادة فى الدير لا يأكل مع الإخوة الأخرين لكن على حدة، وعلى الذين يخدمونه أن يقدموا له وافر الطعام كى لا يحزن الأخ المريض لأمر ما.

٤٧- لا يسوغ لأحد زيارة المريض دون امر الرئيس، حتى أحد أقاربه أو إخوته لا يستطيع خدمته دون أمر من المشرف.

٤٨- إذا أهمل أحد أو خالف إحدى هذه التعليمات، يعاقب بمقتضى التوبيخ المألوف.

٤٩- إذا تقدم أحد إلى باب الدير ناوياً ترك العالم والدخول فى مصاف الإخوة لا يؤذن له فى الدخول، إنما يجب أولاً تنبيه أبى الدير ويظل الطالب بالخارج بضعة أيام يتعلم خلالها أمام الباب الصلاة الربية وما يقدر على حفظه من المزامير، على أن يبرهن أثناء ذلك على حسن نيته خشية أن يكون قد ارتكب بعض الأعمال الشريرة ومن فزعه هرب إلى الدير أو ربما تحت سلطان غيره، وهذا الإختبار يمكّنه من التروى فى شأن استطاعته ترك والديه واحتقار غناهم، إذا رضى بكل هذه المطالب يُلقن باقى تعليمات الدير الأخرى التى يجب عليه إتمامها والخضوع لها إن كان فى السينيكس الذى يجمع كل الاخوة أو فى المنزل الذى سيرسل إليه

أو فى حجرة المائدة، وبعد ما يهذب ويتقن كل عمل صالح ينضم إلى الإخوة وبعدئذ يُجرد من ملابسه العالمية ويرتدى لباس الرهبان، ثم يوكل إلى حارس الباب فيقوده وقت الصلاة أمام جميع الإخوة ويجلسه فى المكان المعد له.
تُعطى الملابس التى حملها معه إلى الدير للمختصين بهذه الخدمة لترتيبها فى بيت الثياب ووضعها تحت تصرف أبى الدير.

٥٠- لا يستطيع أحد من سكان الدير أن يستقبل أحداً فى حجرة المائدة، بل عليه أن يرسله إلى حارس الباب ببيت الضيوف حتى يقوم بخدمته المعينون لهذا العمل.

٥١- إذا تقدم إلى باب الدير أناس من الأكليروس أو الرهبان، يستقبلون بترحاب وشرف عظيم ، تغسل أرجلهم كما جاء فى أنجيل القديس يوحنا ١٣ وينزلونهم فى بيت الضيوف، حيث يقدم لهم جميع ما يناسبهم على طريقة الرهبان، وأثناء الصلاة أو السينيكس إذا رغبوا حضور اجتماع الإخوة إن كانوا على عقيدتهم، ينبه حارس الباب أو خادم بيت الضيوف أبا الدير، وبعدئذ يمكنه أحضارهم إلى الصلاة.

٥٢- أما إذا إلتجأ إلى الدير مرضى أو ضعفاء (١ بطرس ١٧:٣) أعنى نساء يجب قبولهم فى أماكن مختلفة حسب جنسهم كما يتدبر المشرف الأمر. ولا سيما السيدات يعاملن برفق وعناية كما تستوجب مخافة الله، ويعطين محلا منفصلاً تماماً عن الرجال، لكى لا تشان سمعة أحد، ولو وصلن فى المساء، لا يليق طردهن بل يقبلن بكل ذوق فى مكان منعزل ومغلق كما سبق القول مع اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة حتى تستمر جماعة الإخوة فى القيام بخدمتهم دون عائق، ولا تسنح لأحد فرصة للاغتياب.

٥٣- إذا تقدم أحد من باب الدير طالباً زيارة أخيه أو أحد أقاربه، على حارس الباب إبلاغ أبا الدير فيستدعى رئيس المنزل فيسأله هل الأخ تابع لمنزله، وبعد إذنه يرافقه أحد الإخوة الأمناء فى مقابلته أخيه أو قريبه. إذا اتفق وقدم له بعض الأطعمة المسموح بأكلها فى الدير، لا يجوز له أخذها بل عليه استدعاء البواب ليأخذ ما أحضر، إذا كان الأمر يتعلق بأشياء تؤكل مع الخبز، لا يأخذ الأخ الذى قدمت له منها شيئاً بل تعطى كلها لبيت المرضى، وحتى البواب لا يجوز له تذوقها، بل عليه أن يعطى للذى قدمها بعض الخضر والكرنب، أما فى شأن الأطعمة التى تكلمنا عنها التى أحضرها الآباء أو الأقارب وتؤكل بالخبز فعلى المشرف أن يأخذ الذى قُدمت له إلى بيت المرضى ليأكل منها مرة واحدة فقط، والباقى يوضع تحت تصرف من يقوم بخدمة المرضى، وعلى هذا الخادم أن لا يأكل منها.

٥٤- إذا ورد خبر مرض أحد والدى أو أقارب سكان الدير، فعلى حارس الباب إبلاغ أبى الدير فيستدعى المشرف التابع له منزل الأخ المطلوب ويسأله ثم يختاروا معاً رجلا يوثق به مر بجميع التجارب، ويرسلونه بصحبة الأخ الذاهب لزيارة المريض ويحملون ما يأمرهم الرئيس بحمله من الزاد إذا اضطرتهم الظروف أن يمكثوا مدة كبيرة خارج الدير، ويأكلوا عند الأهل أو الأقارب، لا يجوز لهم عمل ذلك، ولكن يمكثوا فى كنيسة أو فى دير تابع لهم، أما إذا جهز والديهم أو أقاربهم وقدموا لهم أطعمة لا يسوغ قبولها أو أكلها، إن لم تكن نفس الأصناف التى تؤكل عادة فى الدير، عليهم أن لا يذوقوا أبداً السمك المملح أو يشربوا الخمر ولا أى شئ لا يؤكل عادة فى الدير، وإذا قبلوا شيئاً من والديهم لا يأكلوا إلا ما يكفى للسفر، أما الباقى فيعطونه لرئيس منزلهم فيحمله إلى بيت المرضى.

٥٥- إذا مات والد أو أحد أقارب راهب، على هذا الراهب أن لا يحضر الجنازة إلا بعد إذن من أبى الدير.

٥٦- لا يخرج أحد من الدير لعمل أى شئ دون أن يرافقه أحد الرهبان.

٥٧- وعند رجوعهم إلى الدير إذا رأوا أحداً أمام الباب يريد مقابلة أحداً يعرفونه من الدير، لا يجوز لهم إبلاغه ذلك، كما لا يجوز لهم التحدث عما صنعوه أو سمعوه خارج الدير.

٥٨- عندما تعطى خبط الخروج للذهاب للعمل على رئيس المنزل أن يمشى أمام الإخوة ولا يمكث أحد منهم فى الدير دون أن يحاط أبو الدير علماً بذلك، والذاهبون للعمل لا يجوز لهم السؤال إلى أين يذهبون.

٥٩- عندما تجتمع كل المنازل، على رئيس المنزل الأول أن يتقدم والجميع يسيرون خلفه حسب ترتيب المنازل والأشخاص، لا يتكلم أحد فى السير بل على كل واحد أن يتأمل فى بعض فقرات الكتاب المقدس، وإذا قابل أحد الأخوة وأراد الحديث معهم، على حارس باب الدير المعين للخدمة أن يسرع للإجابة بصفة وسيط، وإن لم يكن البواب موجوداً، على رئيس المنزل أو من يؤمر بذلك أن يجيب من يقابلون الأخوة.

٦٠- طول العمل لا يذكر الإخوة أى حديث دنيوى بل يتأملون فى الأشياء المقدسة أو يحفظون السكوت.

٦١- لا يحمل أحد معه برنسه الكتانى أثناء العمل إن لم يأذن له الرئيس بذلك، فضلاً عن ذلك لا يجوز لأحد إرتداء هذا المعطف أثناء تجواله فى الدير بعد السينيكس.

٦٢- طول العمل لا يجوز الجلوس دون إذن الرئيس.

٦٣- إذا احتاج الذين يذهبون بالإخوة إلى العمل إلى إرسال شخص ما لأى عمل كان، لا يسوغ لهم إرساله إلا بعد إذن المشرف إذا عارض هذا الأخير الذى يقود الأخوة فى الذهاب إلى مكان ما ليترك مهمته لمن يليه فى الترتيب.

٦٤- إذا اضطر الإخوة العاملون فى الخارج أن يأكلوا خارج الدير ليرافقهم أحد خدم الأسبوع ليقدم لهم أطعمة بغير حاجة لطهى وليوزع لهم الماء كما يعمل بالدير حتى لا يضطر أحد للنهوض لاستقاء الماء للشرب وقت الأكل.

٦٥- عندما يرجع الإخوة إلى الدير لا يخرج أحد من الصفوف وأثناء الرجوع إلى منازلهم يرجع الإخوة الآلات التى إستخدموها فى عملهم واحذيتهم عند نائب رئيس المنزل فيحملها فى المساء إلى قلاية منعزلة ويغلق عليها.

٦٦- فى نهاية الأسبوع كل الآلات تُجمع وتُرتب فى منزل خاص حتى يعرف من أتى دورهم نوع عمل كل منزل.

٦٧- الثياب وما يلبسه الرهبان من لباس تُغسل شخصياً فى يوم غير يوم الأحد ويعفى من ذلك الخبازين والبحريون.

٦٨- لا يذهب أحد لغسيل الثياب قبل إعطاء الأمر للجميع، ويتبع كل واحد مشرفه ويتم الغسيل فى سكوت ونظام.

٦٩- عند غسل الثياب لا يسوغ لأحد أن يشمر لباسه أكثر من اللازم؛ وبعد إنتهاء الغسل يرجع الجميع معاً؛ إذا مكث أحد فى الدير أو تغيب عندما يغسل الإخوة ثيابهم ليعرف مشرفه ليرسل معه أخاً آخر وبعد غسل ثيابه يرجع إلى منزله.

٧٠- فى المساء عندما تجف الثياب على الإخوة أخذها وإعطاؤها لنائب المشرف لوضعها فى بيت الثياب، وإن لم تكن قد جفت تُنشر فى اليوم التالى حتى تجف ولا تترك معرضة للشمس بعد الساعة الثالثة؛ وبعد جمعها تُطوى بعناية ولا يحتفظ بها الأخوة فى قلاليهم بل تعطى لتصان فى بيت الثياب إلى يوم السبت.

٧١- لا يجوز لأحد أخذ خضر من الحديقة بل ليأخذها من البستانى.

٧٢- لا يجوز لأحد بدافع شخصى أن يقطع سعف النخيل الذى يستعمل فى جدل السبات إلا المسئول عن ذلك.

٧٣- لا يسوغ لأحد أكل السنابل أو العنب الذى لم ينضج بعد، وكل هذا لفائدة حفظ النظام فى كل شئ؛ فضلاً عن ذلك بصفة عامة، لا يجوز لأحد أكل ما يجده فى الحقول أو الحديقة قبل عرض المحصول على جميع الإخوة معاً.

٧٤- على الطباخ أن لا يذوق الأطعمة قبل أن يأكل جميع الإخوة.

٧٥- على المهتم بالنخيل أن لا يأكل من ثمرها قبل أن يسبقه الإخوة فى الأكل منها.

٧٦- من أعطى إليهم الأمر بجمع ثمار النخيل عليهم أن يقبلوا من مشرفهم أثناء قيامهم بهذا العمل بعض الثمار، وعند وصولهم إلى الدير يأخذون نصيبهم كبقية الآخرين.

٧٧- إذا وجدوا ثماراً ساقطة تحت الأشجار لا يجوز لهم أكلها وما يجدونه فى طريقهم يضعونه تحت الأشجار، ومن يوزع الفاكهة على من يعمل لا يجوز له تذوقها بل يحملها إلى الكونوموس الذى يعطيه نصيبه ويتم التوزيع للأخرين.

٧٨- لا يجوز لأحد أن يضع الطعام فى قلايته إلا الذى يعطيه له الكونوموس.

٧٩- بالنسبة للخبزات الصغيرة التى يأخذها رؤساء المنازل لإعطائها لمن لا يريدون الأكل على المائدة مع بقية الإخوة لأنهم يعيشون عيشة تقشف، على المشرفين أن لا يميزوا بينهم حتى المسافرين، ولا يسوغ وضع هذه الأطعمة فى مكان عام (مشترك) حتى لا يأخذ كل واحد منهم ما يحلو له، بل يجب إعطاوها للإخوة فى قلاليهم مع حفظ النظام العام، وعندما يودون أن يأكلوا مع هذه الخبزات الصغيرة لا يأكل الإخوة إلا الملح.

٨٠- لا يطهى الطعام إلا فى الدير وفى المطبخ إذا خرج الإخوة من الدير للعمل فى الحقول يعطون خضراً بملح وخل، وفى الصيف هذه الخضروات تُعطى بوفرة إعتباراً للعمل الطويل.

٨١- لا يملك أحد فى قلايته غير المذكور بنوع عام فى قانون الدير حتى لا يملك الإخوة لا ثوب من الصوف ولا برنس ولا فروة خروف ناعمة لم تجز ولا قطع نقود ولا وسادة من الريش لرؤسهم ولا شئ أخر، ولكن يكون عندهم فقط ما يوزعه أبو الدير لرؤساء المنازل، أعنى مجموعة ملابسهم وهى عبارة عن ثوبين وآخر مستهلك، بليين طويل تلف حول الرقبة والكتفين، راهتو Peau de chèvre، حذاء، قلنسوتان Ksuculles، وعصا. كل ما يزيد عن ذلك ليتجرد عنه دون احتجاج.

٨٢- لا يجوز لأحد إقتناء ملقط لينزع من رجليه الشوك الذى علق بهما أثناء سيره، هذا مخصص لرئيس المنزل ونائبه، هذا الملقط يجب أن يعلق بالنافذة المصفوف عليها الكتب.

٨٣- إذا انتقل راهب من منزل لآخر لا يأخذ معه إلا ما ذُكر سابقاً.

٨٤- لا يجوز لأحد أن يذهب إلى الحقول أو يتمشى فى الدير أو يتنزه خارج ساحة الدير دون إذن رئيس المنزل.

٨٥- يجب الإمتناع عن نقل الأخبار من منزل إلى آخر أو من دير إلى غيره أو من دير إلى الحقول أو من الحقول على الدير.

٨٦- إذا سافر راهب فى البر أو البحر أو اشتغل خارج الدير لا يسوغ له أن يروى فى الدير ما رآه أو صنعه فى الخارج.

٨٧- ليكن النوم دائماً على "شا أف Sellette"، المعطاة لذلك سواء فى القلاية أو على السطح عندما يستريح ليلاً لإتقاء الحرارة الشديدة أو فى الحقول.

٨٨-عند الذهاب للنوم لا يجوز التحدث مع الآخرين، وإذا استيقظ أحد فى الليل وعطش أيام الصيام لا يؤذن له فى الشرب ويفترش شيئاً غير الحصيرة على "الشا أف Sellette".

٨٩- ممنوع دخول قلاية جاره دون قرع بابها.

٩٠- لا يجوز الذهاب للطعام قبل سماع الخبط العام، أو التجوال فى الدير قبل سماع الخبط.

٩١- لا يجول أحد فى الدير للذهاب إلى السينيكس أو إلى حجرة المائدة بدون الراهتو والحمالة.

٩٢- فى المساء لا يجوز لأحد أن يزيت أو يلين يديه بعد العمل إلا بصحبة أخ آخر، كما لا يجوز لأحد دهن جسمه كله بالزيت إلا إذا كان مريضاً ولا يستحم ولا يغسل جسمه كله بالماء إلا إذا كان مريضاً جداً.

٩٣- لا يسوغ لأحد غسل أو دهن أخ دون إذن بذلك.

٩٤- لا يكلم أحد أخاه فى الظلام.

٩٥- لا ينام أحد مع أخ آخر على الحصيرة ذاتها، ولا يمسك أحد بيد الآخر ويجب أن تكون هناك مسافة ذراع بين الإخوة إن كانوا واقفين أو سائرين أو جالسين.

٩٦- لا يؤذن لأحد نزع شوكة من رجل الآخر إلا لرئيس المنزل أو نائبه أو لمن يؤمر بذلك.

٩٧- لا يحلق أحد شعره دون إذن رئيسه.

٩٨- لا يسمح لأحد بتغيير الأشياء التى تسلمها من المشرف، ولا قبول شئ أجود بدلاً من الأقل جودة أو بالعكس، وبالنسبة للملابس والثياب، لا يجوز إستعمال شئ أحدث مما يستعمله الإخوة الآخرين على سبيل الأناقة.

٩٩-جميع الراهتوات تثبت وتعلق على الأكتاف، وكل حمائل الإخوة تحمل إشارات ديرهم وعلامات منازلهم.

١٠٠- لا يترك أحد كتاباً مفتوحاً عند ذهابه إلى الكنيسة أو إلى حجرة الطعام.
١٠١- الكتب التى تعاد فى المساء تحت النافذة أعنى فى تجويف الحائط، تُسلم لنائب الرئيس وهو يعدها ويضعها كالعادة فى مكان مغلق.
١٠٢- لا يذهب أحد على السينكس أو إلى حجرة الطعام بحذائه أو مرتدياً برنسه الكتانى سواء فى الدير أو الحقول.
١٠٣- الذى يترك ملابسه معرضة للشمس بعد الساعة السادسة (ظهراً) عندما يذهب الإخوة إلى حجرة المائدة يعاقب على إهماله، وكل من خالف باحتقار إحدى هذه القوانين السابق ذكرها يجرى إصلاحه بعقاب مماثل.
١٠٤- لا يحق لأحد أن يدهن حذاءه بالزيت أو يستعمل أشياء أخرى غير رئيس المنزل والمكلف بهذه الإحتياجات.
١٠٥- إذا لحق الأذى براهب أو جُرح دون حاجة إلى ملازمة الفراش، مثلا كان يمشى بصعوبة أو فى حاجة إلى ملبس أو برنس أو شئ ما ضرورى له، فعلى رئيس منزله أن يذهب إلى المشرفين على بيت ثياب الإخوة فيحضر له ما يلزم، وعندما يُشفى الراهب عليه أن يرجع ما أخذه دون إبطاء.
١٠٦- لا يجوز لأحد قبول شئ من راهب آخر دون إذن مشرفه.
١٠٧- لا يجوز لأحد النوم فى قلاية مغلقة بالمفتاح أو ينام فى قلاية يمكن إغلاقها إلا إذا سمح أبو الدير له لكبر سنه أو لعجزه.
١٠٨- لا يذهب أحد إلى المزرعة دون أن يُرسل، ما عدا الرعاة والعلافين والمزارعين.
١٠٩- لا يركب إثنان من الإخوة معاً على حمار بدون سرج أو على مقعد حوذى العربة.
١١٠- إذا ركب أحد غير مريض حماراً، عليه أن ينزل أمام باب الدير ويسير أمام حماره وهو ماسك لجامه بيده.
١١١- للمشرفين فقط حق الذهاب للمعامل المختلفة لإحضار ما هو ضرورى ولا يسوغ لهم الذهاب قبل الساعة السادسة (ظهراً) الوقت الذى يدعى فيه الإخوة لحجرة المائدة، إن لم تكن هناك ضرورة قصوى، فى هذه الحالة على خادم الأسبوع الذهاب لإبلاغ أبى الدير سبب حجته المُلحّة لذلك.
١١٢- على وجه التعميم بدون إذن الرئيس لا يُسمح لأحد الدخول قلاية الأخر.
١١٣- لا يجوز لأحد الإقتراض حتى من أخيه باللحم والدم.

١١٤- لا يجوز لأحد الأكل داخل قلايته دون إذن المشرف، ولو كانت ثمرة واحدة من المنشور فى الدير أو غذاء أخر من النوع ذاته.

١١٥- إذا سافر رئيس أحد المنازل إلى مكان ما فينوب عنه مشرف أخر ينتمى إلى أمة المسافر وقبيلته، ويتمتع بكل سلطانه، ويقوم بعمل كل شئ باهتمام وبإلقاء موعظة يومى الصوم مرة فى منزله وأخرى فى المنزل الموكل إليه طول غياب رئيسه.

١١٦- لنتحدث الأن عن الخبازين:

أثناء صب الماء على الدقيق أو أثناء عجن العجين لا يجوز لأحد التحدث مع جاره، وفى الصباح عند نقل ألواح الخبز إلى الفرن أو إلى البيوت، يحافظون على الصمت ويرتلون المزامير أو بعض مقاطع من الكتاب المقدس إلى أن ينتهوا من عملهم، حتى إذا إحتاجوا لشئ لا يتكلموا مطلقاً بل عليهم أن يشيروا إلى من يسوغ لهم إعطاء ما يحتاجونه.

١١٧- عندما تعطى للإخوة خبط البدء فى عجن العجين لا يمكث أحد فى مكان إنضاج الخبز سوى العدد الكافى لعملية الإنضاج ومن تلقوا الأمر، لا يمكث أحد عند الفرن.

١١٨- ويتبع ذلك السلوك عند السفر بالزوارق:

بدون إذن أبى الدير لا يفك أحد زورقاً من الشاطئ ولو صغيراً، لا يجوز لأحد النوم فى قاع المركب أو فى أى مكان داخلها، بل يستريح الإخوة على سطح المركب، ولا يسوغ لأحد التذمر لنوم العلمانيين مع الإخوة علي المركب.

١١٩- لا تسافر النساء معهم إلا إذا سمح أبو الدير بذلك.

١٢٠- لا يسمح لأحد أن يشعل ناراً فى منزله إلا إذا سمح للجميع بذلك.

١٢١- من يأتى متأخراً بعد الصلاة الأولى من صلوات المساء الست أو يهمس أو يحادث جاره أو يضحك خلسة يعاقب كالمعتاد فى المدة الباقية من الصلاة.

١٢٢- عندما يجلس الإخوة فى منازلهم، لا يسمح لهم التلفظ بعبارات عالمية، وإذا علمهم المشرف بعض عبارات الكتاب المقدس عليهم مراجعتها فيما بينهم كل واحد بدوره حتى يحفظها كل واحد منهم عن ظهر قلب.

١٢٣- عند حفظ شئ ما عن ظهر قلب، لا يعمل أحد ولا يستقى الماء ولا يجدل الحبال ما لم يأمر المشرف بذلك.

١٢٤- لا يأخذ أحد بنفسه خيزراناً مدقوقاً ليعمل به إن لم يعطه خادم الأسبوع.

١٢٥- من يكسر إناء من الفخار أو يبل ثلاث مرات الخيزران يعاقب عند صلوات المساء الست.

١٢٦- بعد صلوات المساء الست عندما يتفرق الجميع للذهاب إلى النوم، لا يجوز لأحد مغادرة قلايته إلا فى حالة الضرورة.

١٢٧- إذا رقد أحد فى الرب (توفى) جميع فرق الإخوة ترافقه، لا يمكث أحد فى الدير بدون أمر الرئيس، لا يرتل أحد المزامير إلا إذا أمر بذلك، لا يزيد أحد مزموراً على ما رتله أنفاً إلا بإذن مشرفه.

١٢٨- فى وقت الحزن لا يرتل إثنان معاً، لا يرتدى أحد برنسه الكتاني، ولا يمتنع أى راهب عن الترديد بعد من يتلو التسبحة، بل فليتحد الإخوة فى الصلاة بمظهر واحد وصوت واحد.

١٢٩- الذى يمرض أثناء الدفن يسنده خادم، فضلا عن ذلك بصفة عامة فى أى مكان يرسل فيه الإخوة يكون معهم خادم أسبوعى ليعتنى بالمرضى الذين يفاجئهم المرض وقت السفر أو فى الحقول.

١٣٠- لا يتقدم أحد أثناء السير أمام المشرف أو قائد الإخوة.

١٣١- يجب أن لا ينحرف أحد عن صفه، إذا فقد أحد شيئاً يعاقب علنا أمام المذبح، وإذا كان ما فقده من جهازه الشخصى، يمكث ثلاثة أسابيع دون إعطائه ما فقده، وفى الأسبوع الرابع بعد عقابه يعطى شبه ما فقده.

١٣٢- من يجد أى شئ فليعلقه ثلاثة أيام أمام مكان إجتماع الإخوة للسينيكس حتى يهتدى إليه صاحبه ويأخذه.

١٣٣- على رؤساء المنازل أن يقوموا بالتوبيخات والتحريضات اللازمة على المواد السابق ذكرها، أما إذا إرتكب خطأ لم نذكره، فعليهم أن يراجعوا أبا الدير.

١٣٤- أبو الدير هو الوحيد الذى له الحكم فى الأمر وقراره، هو الذى يحكم به فى جميع الحالات المستجدة.

١٣٥- كل عقاب يكون كالآتي: -

الذين تحت طائل العقاب يكونون بدون زنار ويظلون واقفين فى أثناء الإجتماع السينيكس الكبير وفى حجرة الطعام.

١٣٦- من ترك جماعة الإخوة ثم رجع ثانية بعد أن عوقب، لا يرجع على صفه بدون أمر الرئيس.

١٣٧- وكذلك بالنسبة لرئيس المنزل والكونوموس، إذا ذهبوا بالليل ينـاموا بالخـارج بعيداً عن الإخوة، ثم ندموا ورجعوا بعدئذ إلى جماعة الإخـوة لا يـسمح لهـم بالدخول لا فى منازلهم ولا فى صفهم بدون أمر من الرئيس.

١٣٨- من الواجب المحتوم على الإخوة أن يراجعوا فيما بينهم جميع التعاليم التى كانوا قد سمعوها فى الإجتماع العام، ولا سيما وقت الصوم حيث يلقـى المـشرفون الموعظة.

١٣٩- القادم حديثاً إلى الدير، يتعلم أولاً ما يجب عليه مراعاته، ثم بعد هذا التـدريب الأول وقبوله كل شئ، ليعط عشرين مزموراً أو رسالتين مـن الرسـول أو أى قسم من سفر آخر من الكتاب المقدس، إذا كان يجهل القراءة ليذهب فى الساعة الأولى والثالثة والسادسة إلى من فى إستطاعته تعليمه والمكلف بـذلك ويظـل أمامه واقفاً، ويتعلم بإنتباه شديد وشكر، ثم تكتب له الحروف والمقاطع والأفعال والأسماء، ويُجبر على القراءة ولو رفض ذلك.

١٤٠- على وجه التعميم لا يظل أحد بالدير جاهلا القراءة أو غير حـافظ شـئ مـن الكتاب المقدس، ليعرف على الأقل العهد الجديد، وسفر المزامير.

١٤١- لا يحتج أحد بحجة ما، ليعفى ذاته من حضور السينكس أو التسبحة أو التأمل.

١٤٢- إن كان الراهب على ظهر مركب أو فى الدير أو فى الحقول أو على الطريـق لعمل ما، يجب عليه عدم إهمال التأمل والتسبحة.

١٤٣- لنتكلم أخيراً عن دير العذارى:-

لا يذهب أحد لزيارتهن إن لم تكن هناك أمه أو أخته أو إبنته أو قريباته أو بنات أعمامه أو أخواله أو أم أبنائه. وإذا تحتم على من لم يتركوا العالم ليدخلوا الـدير، مواجهة العذارى عند وفاة أحد والديهم (بسبب ميراث لهن نصيب فيه) أو لـسبب آخر لا شك فى خطورته فليرسل معهـم راهب مسن مشهور بالتقوى والـصلاح لمواجهتن ثم يرجعان معاً.

إذن لا يستطيع أحد رؤية العذارى إلا مـن سـبق ذكـره، وعنـدما يريـدون مشاهدتهن ليبلغوا أولاً أبا الدير ليرسلهم إلى الشيوخ القائمين بخدمة العـذارى، فيذهبون معهم لرؤيتهن بكل ما يستوجبه خوف الله من أدب، وعندما يرونهم لا يكلمونهن عن الأمور العالمية.

١٤٤- كل من يخالف واحدة من هذه التعليمات يعاقب جهاراً بدون تأخير لإهماله وذنبه حتى يستطيع الدخول فى شركة ملكوت السموات.

الفصل الثاني

تعليمات وأنظمة لأبينا باخوميوس رجل الله الذى أسس أصل الشركة المقدسة حسب وصايا الله

كيف نحتفل بالسينيكس وتجمع الإخوة ليصغوا لكلمة الله حسب إرشادات الأقدمين وعقيدة الكتب المقدسة، يجب على الإخوة أن يتحرروا من حيرة نفوسهم "ويمجدوا الله فى نور الأحياء" (مزمور ٥٥:١٤).

يجب عليهم أن يعرفوا كيف يعيشون فى بيت الله بلا عثرة ولا شكوك ولا يفقدوا أعصابهم أمام الشهوة، بل يجب أن يعيشوا متمسكين بالحق، أوفياء لتقليد الرسل والأنبياء، وليحافظوا على نظام الاحتفالات الاعتيادية.

فى الواقع أن الذين يقومون بالخدمة إنما يتبعون قاعدة الكتاب المقدس.

وهذه هى الخدمة التى يجب على مديرى الكنيسة إتمامها:-

١٤٥- أن يجمعوا الأخوة وقت الصلاة، وأن يعملوا كل ما تستوجبه القوانين، أن لا يدعو فرصة للتشكى، ولا يأذنوا لأحد فى السلوك فى مناقضة نظام الإحتفالات.

١٤٦- إذا طُلب منهم كتاب فليعطوه.

١٤٧- إذا حضر أحد من الخارج مساءاً، ولم يتقدم لمعرفة ما سوف يقوم به من عمل فى الغد، ليخبر به فى الصباح.

١٤٨- إذا انتهى ما كان فى حاجة إليه من عمل، ليُعلم الرئيس بذلك ثم يعمل ما يؤمر به.

١٤٩- على الكونوموس أن يهتم بأن لا يفقد شئ فى الدير فى جميع الأعمال التى يقوم بها الإخوة، وإذا فقد شئ ما أو أتلف بسبب الإهمال فعلى أبى الدير أن يؤنب المسئول عن الخدمة وهو بدوره يؤنب من فقد هذا الشئ ولكن حسب إرادة وتقدير الرئيس، لأنه بدون أمر الرئيس لا يسوغ لأحد أن يؤنب أى أخ.

١٥٠- إذا وجد ملبس معرض للشمس لمدة ثلاثة أيام، ليعاقب واضع هذا الثوب وليكفر علناً فى السينكس ويظل واقفاً فى حجرة المائدة.

١٥١- من يفقد راهتوا أو حذاءه أو أو منطقة (حزام) أو شيئاً آخر فليعاقب.

١٥٢- من يأخذ شيئاً ليس له يوضع الشئ على كتفيه ويعاقب علناً فى السينكس ويظل واقفاً فى حجرة المائدة.

١٥٣- إذا وُجد أن أحد الإخوة يعمل شيئاً ما أثناء الحديث أو يعارض أوامر الرئيس فليعاقب بموجب خطيئته.

١٥٤- إذا لاحظ أن احد الإخوة يكذب ويكره شخصاً ما أو إذا رأوا أنه غير مطيع أو يميل إلى الفكاهة أكثر مما يجب أو كسول أو جاف الحديث أو عنده عادة الحديث ضد إخوته أو الأجانب كل هذه الأشياء تخالف قطعاً تعليم الكتاب المقدس والتربية النسكية، على أبى الدير أن يسمعه وليحكم عليه حسب جسامة ونوع الخطيئة التى ارتكبها.

١٥٥- إذا فقد شئ ما فى الطريق إلى الحقول أو إلى الدير، تقع المسئولية على رئيس المنزل ويخضع للعقاب، وإن لم يخطر أبا الدير فى خلال ثلاثة أيام يعاقب جهاراً حسب القاعدة المتبعة.

١٥٦- إذا هرب أحد الإخوة ولم يُخبر المشرف أبا الدير فى خلال ثلاث ساعات يكون مسئولاً عن فقدانه إلا إذا وجده، وهذا هو عقاب من يتسبب فى فقدان أحد الإخوة من منزله، يعاقب جهاراً لمدة ثلاثة أيام أما إذا أخطر أبا الدير فى نفس الوقت الذى هرب فيه الأخ لا تقع عليه المسئولية.

١٥٧- إذا لاحظ المشرف نقص شئ ما فى منزله وتهاون فى عقاب المذنب وإخطار أبى الدير يخضع هو نفسه للعقاب اللازم.

١٥٨- فى كل منزل فى المساء يجب تتميم الست صلوات والست مزامير على حسب نظام السينكس الكبير الذى يحتفل به الإخوة مجتمعين.

١٥٩- كل أسبوع يُعقد إجتماعان (موعظة) بواسطة المشرف.

١٦٠- لا يعمل أحد فى المنزل شيئاً دون أمر المشرف.

١٦١- إذا لاحظ كل الإخوة فى نفس المنزل أن مشرفهم كثير الإهمال، وأنه يعامل الإخوة بقسوة تتجاوز الحدود المتبعة فى الدير ليرجعوا أبا الدير حتى يؤنبه فضلاً عن أن المشرف نفسه يجب أن لا يعمل غير ما يأمره به أبو الدير ولا سيما فيما يتعلق بكل ما هو جديد لأنه فى الأمور الاعتيادية يعتمد على قوانين الدير.

١٦٢- على المشرف أن لا يسكر (أفسس ١٨:٥)، وأن لا يجلس فى موضع الأمكنة بجانب المكان الذى توضع فيه آلات الدير، أن لا يقطع الروابط التى خلقها الله فى السماء ليكون المشرف محترماً على الأرض، وأن لا يكون عابثاً فى عيد المخلص، وليسيطر على جسده كما فعل القديسون (روميه ١٣:٨)، يجب أن لا يطلب أعلى المقامات كما هى عادة الوثنيين (لوقا ١٤ : ٨)، وأن لا يكون مرائياً فى إيمانه، وأن لا يتبع أفكار قلبه، ولكن كلمة الله، وأن لا يعارض السلطات الرئيسية بروح الكبرياء (رومية ١:١٣).

وأن لا يغضب، وأن لا يفقد صبره على من هم أضعف منه، وأن لا ينقل حدود أملاك الدير (تثنية الاشتراع ١٧:٢٧)، وأن لا تَجْول فى صدره أفكار خبيثة (امثال ٢٠:١٢)، وأن لا يهمل خطاياه الشخصية، وأن لا يستسلم لخلاعة الجسد (غلا ١٩:٥).

وأن لا يتمادى فى الإهمال، وأن لا يندفع فى التلفظ بعبارات باطلة (متى ٣٦:١٢)، وأن لا يسبب عثرة للأعمى (سفر الأخبار ١٤:١٩).

أن لا يعوِّد نفسه التنعم، يجب أن لا يفقد جميع أفكاره أمام ضحك الحمقى ومزحهم (أمثال ٢٣:١٠)، يجب أن لا نخدع قلبه بكلام من يحبون التملق والمداهنة (رومية ١٨:١٦)، يجب أن لا يكتسب بالهدايا (خروج ٨:٢٣)، وأن لا يجتذب بكلام الأطفال، وأن لا يسقط فى التجربة (٢كورنثوس ٨:٤)، وأن لا يخاف الموت (متى ٢٨:١٠)، بل الله.

أن لا يضطره خوف من خطر وشيك الحدوث على ارتكاب الخطيئة.

أن لا يترك النور الحقيقى من أجل غذاء زهيد.

أن لا يكون متردداً أو حائراً فى تصرفاته، ولا متذبذباً طائشاً فى كلامه بل ليكن حازماً راسخاً فى مقاصده، وليكن عادلاً مصيباً حذراً يحكم بالحق بدون طلب مجد نفسه، بل يظهر أمام الناس كما هو أمام الله بعيداً عن كل خداع وأن لا يجهل سيرة القديسين، ولا يظهر أعمى أمام علمهم؛ وأن لا يضر أحداً لأجل كبريائه.

يجب أن لا ينقاد لشهوة النظر، وأن لا تسيطر عليه الرذائل، وأن لا يخالف الحق أبداً، وليبغض الظلم، وأن لا يحابى أبداً فى أحكامه للأشخاص من أجل هداياهم له (خروج ١٥:٢٧)، وأن لا يحكم على نفس بريئة بكبرياء، وأن لا يلهو مع الأطفال؛ وأن لا يضيع الحق تحت سلطان الخوف، وأن لا يأكل الخبز المكتسب بالمكر والغش.

أن لا يطمع فى أرض الآخرين؛ وأن لا يستعمل الضغط على الآخرين ليسلبهم مالهم.

أن لا يعامل بكبرياء من هم فى حاجة إلى الرحمه (أمثال ١٢:١١).

ان لا يغتر بالمظاهر فيشهد شهادة باطلة (خروج ١٦:٢٠).

أن لا يكذب من أجل كبريائه، أن لا يؤيد أبداً ما هو عند الحق بحكم عاطفة قلبه، أن لا ينحرف عن العدالة لفرط تعبه، وأن لا يهلك نفسه عن حياء بشرى (يشوع بن سيراخ ٢٤:٢٠)، أن لا يطيل النظر إلى مائدة فاخرة (يشوع بن سيراخ ٢٩:٤٠)، وأن لا يشتهى الملابس الجميلة.

أن لا يهمـــل مشـــورة الشيوخ، ليحسن التمييـــز فى أفكاره؛ أن لا يسكر من الخمر (يشوع بن سيراخ ١٩:١)، بل فليجمع بين التواضع والحق، إذا كان عنده أســـباب للحكـــم على أحد ليتبع تعاليم الشيوخ وكلمة الله المبشر بها فى العالم أجمع.

إذا خالف رئيس أحد المنازل تعليما من هذه التعليمات يعاقب بنفس الدرجـــة التـــى تحدث بها (متى ٢:٧)، ويجازى حسب أعماله (متى ٢٧:٢٧)، لأنه زنـــى مـــع الخـــشب والحجر (ارميـــا ٩:٣)، لأن بريق الذهب ولمعان الفضة جعله يهمل واجبه فـــى تحقيـــق العدالة والرغبة فى مظهر زمنى جعله يسقط فى فخ الفجار.

رجل من أمثاله يحل به الهلاك الذى حل بعالى ونسله (١ملوك ١٨:٤) كما تحـــل بـــه نقمة دواغ الأدومى التى إلتمسها داود (مز ٥٠ و١صم ٧:٢١) ويحمـــل إشـــارة لعنة قايين (تكوين ٣٥:٤)، ليكن دفنه على الأكثر كالدفن اللائق بحمار كما ذكر أرميا (٢٩:٢١).

ليكن هلاكه كالخطاة بأن تفتح الأرض فاها وتبتلعه (خروج ١١:٣٤).

ليحطم كالجرة على عين الماء (يشوع بن ســيراخ ٦:١٢)، ليضرب كالرمل على الشواطئ المضروبة بواسطة الأمواج المالحة؛ ليحطم كصولجان المتسلطين الذين ذكـــرهم أشـــعياء (أشعياء ٥:١٤)، ليكن أعمى يتحسس الجدار بيده (أشعياء ١٠:٥٩).

لتحل به جميع هذه الكوارث إن لم يراع الحق فى أحكامه، بل سلك سبيل الظلم فـــى الأمور الموكولة إليه.

الفصل الثالث

تعليمات وأحكام أبينا القديس باخوميوس

١٦٣- الناموس الكامل هو المحبة لأجلنا نحن العارفين الزمان أن ساعة استيقاظنا من النوم قد حانت لأن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا، قد تناهى الليل واقترب النهار، فلندع عنا أعمال الظلمة (رومية ١٣: ٥ – ١٢) التى هى المخاصمات والمغاضبات والكبرياء التى تنفخ القلب (غلاطية ٥: ٢٠).

١٦٤- إذا كان أخ شديد المبادرة إلى وصف رواية أشياء كاذبة، يُنبه مرتين على ذلك، وإذا رفض محتقراً سماع الملاحظات، يُعزل من جماعة الإخوة لمدة سبعة أيام لا يأكل إلا الخبز والماء حتى يعد وعداً صريحاً بترك هذه الرذيلة ويبرهن على ذلك بسلوكه حينذاك يغفر له.

١٦٥- إذا كان هناك أخ غضوب وشرس ويغضب دائماً بلا سبب ولأشياء لا أهمية لها ينبه عليه ست مرات وفى السابعة ينهض من مكان جلوسه ويوضع مع الأخيرين، وهكذا يتعلم كيف يتطهر من إضطراب نفسه، وعندما يثبت بثلاث شهادات ثابتة تشهد بإسمه بأنه لن يرجع على ما سبق مرة أخرى؛ يرجع إلى مكانه الأول، أما إذا استمر فى خطئه، فليرجع بين الأخيرين ويظل بينهم دائماً.

١٦٦- من أراد أن يلصق بالأخرين كذباً وبهتاناً ليظلم البرئ، ينبه عليه ثلاث مرات، وبعدها يعد مسئولاً عن خطيئته ويوضع بين غير المستحقين والأدنى مقاماً.

١٦٧- من عنده عادة خداع إخوته بالكلام وإفساد بسطاء النفوس، ينذر ثلاث مرات، وإذا ثبت إزدراؤه وعاند واستمر فى غلاظة قلبه، يوضع جانباً خارج الدير ويضرب بالعصا أمام الباب ويحمل له غذاؤه من خبز وماء فقط حتى يشفى من خطيئته.

١٦٨- إذا كان عند راهب عادة التذمر أو التشكى بحجة أنه مُرهق بعمل مجهد، يبين له خمس مرات أنه يتذمر دون سبب وتوضح له الحقيقة، وإذا عصى بعد ذلك وهو فى سن المراهقة، ليحسبوه كمريض ويوضع فى بيت المرضى حيث يغذى كمريض حتى يهتدى على الحقيقة. أما إذا ثبت أن تشكيه عادل وإنه ظلم بسبب خبث رئيسه؛ فهذا الرئيس يُحسب مذنباً ويُعاقب بنفس العقاب الذى كان معداً لمرؤوسه.

١٦٩- إذا كان راهب عاصياً عنيداً وكاذباً شديد المناقضة وهو فى سن البلوغ لينبه عليه عشر مرات على التخلص من أخطائه، وإذا رفض الإصغاء يعاقب حسب قوانين الدير. أما إذا سقط فى هذه الخطايا بسبب الآخرين وأثبت ذلك فليحل العقاب بمن كان سبب سقوط أخيه في الخطأ.

١٧٠- إذا شوهد أحد الإخوة ضاحكاً أو لاعباً بحرية مفرطة مع الأطفال أو مبدياً صداقته لمن هو أكبر منه سناً لينذر ثلاث مرات بقطع هذه العلاقة وليتذكر آداب اللياقة وخوف الله. وإن لم يرتدع فليؤدب أشد التأديب.

١٧١- الذين يحتقرون تعليمات الشيوخ وقوانين الدير، التى وضُعت بحسب وصايا الله، ولا يقيمون وزناً لآراء الأقدمين؛ يُعاقبون حسب القانون الموضوع حتى يتوبوا.

١٧٢- إذا كان الحكم فى جميع الخطايا "أعنى الرئيس"، يحيد بفساد روح أو إهمال، فليحكم عليه عشرون أو عشرة أو حتى خمسة رجال قديسين خائفى الله وبشهادة جميع الإخوة يُجَّرد من منصبه ويحدد له المكان الأخير على أن يتهذب.

١٧٣- الذى يبلبل أفكار الإخوة ويزرع بينهم الخلاف والشقاقات، ليُنذر عشر مرات، وإن لم يصلح سلوكه يعاقب حسب قانون الدير إلى أن يرتدع.

١٧٤- إذا رأى رئيس أو مشرف أن أحد الإخوة فى شدة ورفض البحث عن سبب هذه الشدة واحتقرها، فعلى القضاة الإهتمام بهذا الأمر بين الأخ والمشرف، وإذا إكتشفوا أن الأخ ظلم بسبب إهمال المشرف وتعسفه وأن المشرف يتخذ قراراته لا بالنظر إلى الحقيقة بل بمحاباة الأشخاص فعليهم أن يجردوا المشرف من سلطته لأنه لم يعتبر الحقيقة بل*الأشخاص وصار عبداً لجبن قلبه لا حسب أحكام الله.

١٧٥- إذا وعد أحد بتتميم قوانين الدير وبدأ فى ممارستها ثم أهملها، ثم رجع إليها مرة أخرى وحاد عنها بحجة أن ضعف جسده يمنعه عن إتمام ما وعد القيام به، فليوضع مع الإخوة المرضى إلى أن يقوم بعد تكفيره بإتمام ما وعد بالقيام به.

١٧٦- إذا وُجد فى المنزل أولاد يسلمون نفسهم للعب والكسل ولا يرتدعون بالعقاب، فعلى المشرف نفسه أن يعاقبهم لمدة ثلاثين يوماً، وإذا رأى أنهم مستمرون فى عاداتهم السيئة واكتشف فيهم بعض الخطأ ولم ينبه رئيس الدير نفسه، يعاقب المشرف نفسه بالعقاب المستحق للخطيئة التى كشفوها فيهم.

١٧٧- من يحكم بالباطل فليعاقبه الأخرون على ظلمه.

١٧٨- إذا تشكك راهب أو إثنان أو ثلاثة وتركوا المنزل لسبب ما ثم عادوا إليه، فليبحث عن سبب الشكوك، وعندما يكتشف الجانى، ليعاقب حسب قوانين الدير.

١٧٩- من إشترك فى جرم الخطاة ودافع عن أخ إرتكب نقصاً يلعنه الله والناس فليعاقب بتأديب صارم، وإذا أخذ عن جهل بدون تعمد وهو جاهل خطاه فليغفر له؛ وهكذا كل من يخطئ عن جهل يغفر له، أما من يخطئ متعمداً ليخضع للعقاب المحدد لخطيئته.

الفصل الرابع

تعليمات وشرائع أبينا القديس باخوميوس

وتحـــوى ست صلوات المساء والسينكس والصلـــوات الست التى تقـــرأ فى كل منزل:

١٨٠- على رئيس المنزل ونائبه أن يضفروا خمسة وعشرين ضفيرة من سعف النخيل حتى يعمل الآخرين مثلهم، أما إذا غابوا فى هذا الوقت فعلى من يخلفهم أن يجتهد فى إتمام هذه الكمية من العمل.

١٨١- ليذهب الإخوة إلى السينكس عندما يدعون إلى ذلك، ولكن قبل الخبط لا يخـــرج أحد من قلايته، وإذا خالف أحد هذه الأوامر فليعاقب بالعقاب المعتاد.

١٨٢- يجب أن لا يُجبر الإخوة على العمل أكثر من اللازم، ولكن حسب الإحتياج المطلوب من الجميع، وليحل السلام والوفاق بينهم، وليخضعوا بنية طيبة للرؤساء، جالسين، سائرين، واقفين، متنافسين فى التواضع.

١٨٣- فى حالة وجود أخطـــاء، فى إستطاعة آباء الأديرة بل من واجبهم أن يصلحوها وأن يحددوا التأديب الذى تستوجبه.

١٨٤- ولكن إذا كان رئيس المنزل أو نائبه فقط لهم وحدهم أن يجبروا الإخوة من أجل الخطايا للعقاب فى سينكس المنزل أو فى السينكس الكبير أعنى الذى يحتفل بـــه جميع الإخوة.

١٨٥- إذا سافر مشرف، فعلى نائبه أن يأخذ مكانه فى عقاب الإخوة، كما ينوب عنـــه فى الإهتمام بضروريات المنزل.

١٨٦- إذا ذهب راهب بدون علم المشرف أو بدون علم نائبه إلى منزل آخر أو مع راهب من منـــزل آخر يطلب إستعـــارة كتاب أو أشياء أخرى وهو راضى عما فعـــل فليعاقب حسب قانون الدير.

١٨٧- من أراد أن يعيش بلا لوم ولا عيب فى المنـــزل الذى عين له، عليه أن يراعى أمام الله كل التعليمات المكتوبة.

١٨٨- حين ينشغل رئيس المنزل عن مهامه، فعلى نائبه الإهتمام بكل ما هو ضرورى فى الدير وفى الحقول.

١٨٩- الإحتفال بصلوات المساء الست على غرار السينكس الكبير الذى يجمـــع كـــل الإخوة فى نفس الوقت، أنه الفرح المطلق يُحتفل به بسهولة كبيـــرة بحيـــث لا يشعر الإخوة فى أثنائه بأدنى ضجر أو إشمئزاز.

١٩٠- إذا تألم أحد من الحرارة عند مجيئه من الخارج وقت قراءة الإخوة للصلوات فلا يتحتم عليه حضورها إن كانت حالته تحول دون ذلك.

١٩١- عندما يدرب رؤساء المنازل الإخوة على كيفية الحياة المقدسة فـــى الـــشركة لا يجوز لأحد التغيب دون عذر قاهر.

١٩٢- الشيوخ الذين يرافقون الإخوة خارج الدير لهم سلطان المشرف وعليهم تـــدبير جميع الأشياء بحكمتهم الخاصة، يلقنون الإخوة المواعظ فى الأيام المحددة لذلك، وإذا حدث تنافـــس بينهم، فعلى الشيـــوخ سماعهم والحكم عليهم. إنهم يأخـــذون المذنب بذنبه، ويأمرونهم بأن يعيش الإخوة بسلام القلب.

١٩٣- إذا أظهر أحد الإخوة الحقد ضد رئيس المنزل، وإذا كان للمشرف شئ ضد أحد الإخوة، على الإخـــوة المشهـــود لهم بالإيمـــان أن يسمعوا شكواه ويحكموا فى مشكلتهم، وإذا كان أبو الدير غائباً لفترة قصيرة فينتظروا عودته، أما إذا طالت غيبته، حتى لا يزداد الحقد لطول المدة، على الذين يسمعون شكواهم أن يحكموا بخوف الله ولا يدعوا فرصة للخلاف.

١٩٤- فى شأن الملابس إذا وجد عند أحد ملابس غير التى ينص عليها القانون فعليـــه دون انتظار أمر الرئيس إعطاؤها لوكيل بيت الثياب، ولا يجوز لـــه الـــدخول هناك لطلبها لأنها تصبح تحت تصرف المشرف ونائبه.

نصوص الكتاب المقدس فى قوانين القديس باخوميوس

(نص لاتينى من ترجمة القديس إيرونيموس)

سفر التكوين – ١٥:٤ "١٦٢"

سفر الخروج – ١٥:١٧ "١٦٢" – ١٦:٢٠ "١٦٢"

٨:٢٣ "١٦٣" – ١١:٣٤ "١٦٢"

سفر تثنية الإشتراع – ١٤:٢٧ "١٦٢"

سفر الأخبار – ١٤:١٩ "١٦٢"

سفر الملوك ١–٤ :١٨ "١٦٢"

سفر المزامير ٥١ "١٦٢"

(مقدمة القسم الثانى)

سفر الأمثال – ٢٣:١٠ "١٦٢" – ٢٠ : ٢٠ "١٧٢" – ٤٠ : ٢٩ "١٦٢"

سفر يشوع بن سيراخ – ١:١٩ "١٦٢" – ٢٤:٢٠ "١٦٢" – ٢٠ : ١٦ "١٦٢"

سفر الجامعة – ٦:١٢ "١٦٢"

سفر أشعيا – ٥:١٤ "١٦٢" – ١٠:٥٩ "١٦٢"

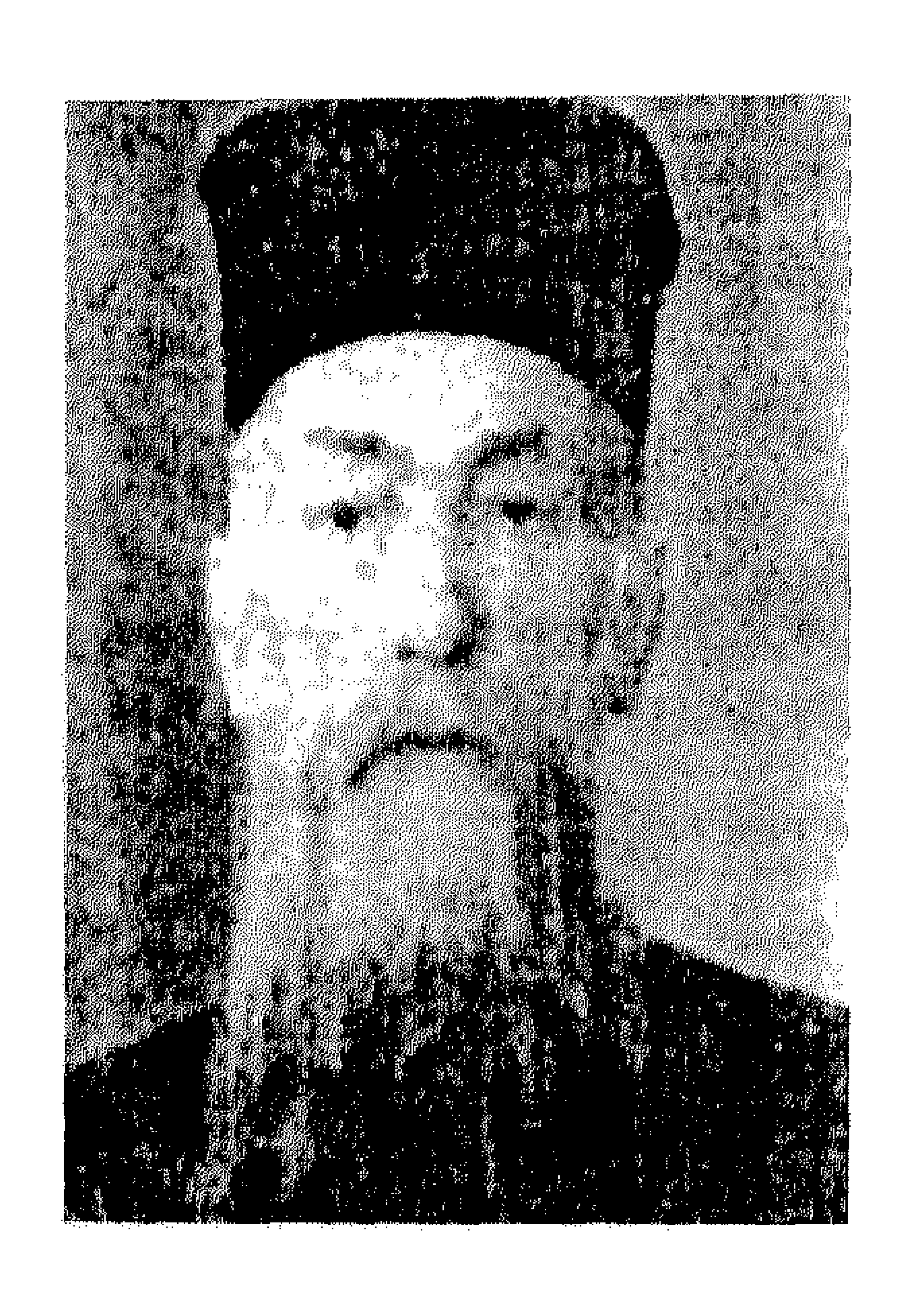
سفر أرميا – ٩:٣ "١٦٢" – ١٩:٢٢ "١٦٢"

انجيل متى – ٢:٧ "١٦٢" – ٢٨:١٠ "١٦٢"

٣٦:١٢ "١٦٢" – ٢٧:١٧ "١٦٢"

الباب الخامس

الأزدهار الدينى والأدبى
فى عصر الأنبا باخوم



الأب يعقوب مويزر

مقدمة:

باسم الأله الجواد الممجد فى قديسيه. أما بعد فقد سألنى غير واحد من المشغوفين بحب الأستطلاع عن تاريخ آباء الصحارى المصريـــة وآثارهم الخالدة وعلو كعبهم بين الرجال الأجتماعيين النافعين فى مختلف العصور ومبلغ تأثيرهم فى توجيه وسير الجـــنس البشرى فى مناهج التقدم الحقيقى والأرتقـــاء الصحيح.... طالباً نشر محاضرة سبق أن ألقيتها فى جمعية "مبشرى السلام" بفاقوس فى يوم احتفالها بعيد شفيعها الأنبا باخوميوس أب الشركة الروحية، تناولت فيها البحث عما كان له ولرهبانيته من الأيادى البيضاء فى النمو والأزدهار الدينى والأدبى فى عصره وما بعده فى البلاد المصرية وسائر الأمـــصار، وعما كانت الأفضال العميمة والفوائد الأجتماعية والأقتصادية الجسيمة التى تدفقت بغزارة على المعمورة من وراء وضع الشركة الروحية فى طابانا أصلاً، وأمثالها فـــى القفـــار المصرية وقفار العالم أجمع. فأجبت هذا الطلب أولاً لأن هذه الصحيفة الفاخرة والمجيدة من تاريخ الأمة القبطية العزيزة، لا يعرفهـــا إلا النذر القليـــل، ثانياً نظراً لأفتقار أبناء الكنيسة المرقسية إلى نشرات باللغة العربية كهذه، تتجلى فيها المجهودات الروحية الـــشاقة التى بذلها هؤلاء الأقوياء غرة النصرانية بمصر، الأمر الذى جعل العالم المسيحى فى ذلك الحين ينظر بعين الأكبار والأجلال إلى ميدان كفاح روحى، قد حمى وطيسه فى وادى النيل وقفاره المحيطة به بين قاطنيه الذين هم فى نقاوة الضمير أشبه بالملائكة من البـــشر، ويرى بمرأى التحقيق ما تنبأ عنه أشعياء النبى القائل: "ستفرح البرية والقفـــر وتبـــتهج البادية وتزهر كالورد. تزهر ازهاراً وتبتهج ابتهاجاً مع ترنيم". (اش ٣٥:١-٢).

كيف لا والذهبى الفم يوحنا، لما شاهد هؤلاء المجاهدين، أخذه العجب وكـــأنى الآن اسمع ما سبق أن هتف به قائلا: "ان السماء المتلألئة بنجومها الزاهية العديدة لا تدهـــشنى برؤيتها إلا قليلاً بنسبة ما إذا تطلعت إلى قفار مصر قديماً التى وإن كانت تعبد الحيوانات، فها هى تبدى الآن من جميع نواحيها خيامها غير المحصاه ملأى بالرهبان الأتقياء"[١].

وما كان خافياً عن كاتب هذه السطور المتواضعة أن سد هذا الفراغ المحسوس يتطلب تأليفاً ذا أجـــزاء لأتساع نطاقه وتشعب أوجهه وغزارة مادته وعظيم أهميته فى تـــاريخ ارتقاء الجنس البشـــرى روحياً ومادياً وكثـــرة علاقاته بعوامل قويـــة أخرى فى تكوين وتدعيم الدين المسيحى فى مصر وغيرها من البلدان.

---

(١) فى عظته الثامنة لأنجيل متى (P.G.t. LVII, col. 87-88).

فسألت المولى القدوس الذى أوصى الأنام على لسان يشوع بن سيراخ بمدح رجال الله وتقديس ذكراهم قائلاً: "لنمدح الرجال النجباء آباءنا الذين ولدنا منهم، فيهم أنشأ الرب مجداً كثيراً وأبدى عظمته منذ الدهر". (يش ٤٤:١-٢) .... رجوت المولى القدوس، أن يتيح اليوم الذى يتسنى لى فيه أن أقدم ليد كل قبطى صميم، يتجلى على جبينه نبل الشعور الدينى، ويخفق قلبه بغيرة الإيمان، ويدب فى عروقه دم الشهداء الأطهار، كتاباً ضافى البيان فى احدى المفاخر المصرية الكبرى ألا وهى رهبنة الأنبا باخوميوس المكرمة.

فلعل هذه النشرة التى تحدوها الآمال الوطيدة، والمشفوعة بأحرّ الدعاء تحمل الكثيرين من الخلف على زيادة تقدير وحب أمجاد السلف. ولعلها بمشيئة المسيح بكر الأبكار تحث قلوب شبيبتنا الناهضة على الأقتداء بتلك الفضيلة الملائكية وهى البتولية البهية، وعلى الأنضمام إلى صفوف الهائمين بجمال وسناء العيشة الروحية المشتركة التى رفع لوائها عالياً الأنبا باخوميوس ومن بعده تادرس تلميذه ومقار الكبير ومقار القس الإسكندرى وصرابيون وموسى وابولو وأمونيوس وبشاى ودانيال وغيرهم من كواكب برارى مصر الشرقية والغربية.

أنه قابل الدعاء الصالح ومجيب بسخاء طالبات سائليه.

الأب يعقوب موزر

٢ بؤونه سنة ١٦٥٠ للشهداء الأطهار عيد القديس بندانوس العلامة ورئيس المدرسة الإسكندرية

ما أجمل خيامك يا يعقوب وأخبيتك يا اسرائيل

منبسطة كأودية وكجنات على نهر وكأغراس عود

غرسها الرب وكأرز على مياه (عدد: ٢٤:٥-٦)

سادتى الكرام:

نقرأ فى سفر العدد لموسى النبى أنه لما قرب الشعب الأسرائيلى تحت قيادة موسى كليم الله على أرض الموعد بعد أن ضلّ أربعين سنة فى البرارى المترامية الأطراف، رأى نفسه بغتة محاطاً بجيش الموآبيين الوثنيين. فحلّ روح الله على النبى بلعام بن بهور ورأى أولاد يعقوب خارجين من خيامهم مصطفين بحسب أسباطهم فى كمال الأهبة للمحاربة. فضرب النبى مثله وقال مخطوفاً بالروح: "كلام بلعام بن بعور

كلام الرجل المفتوح العينين، كلام من سمع أقوال الله الذى رأى رؤيا القدير الذى يقع ويسجد فتنفتح عيناه. ما أجمل خيامك يا يعقوب أخبيتك يا اسرائيل"!

لقد رأى الآباء القديسون الملهمون بالروح القدس، المستقصون المعانى السرية لأقوال الأسفار الألهية فى خيام أولاد يعقوب وهى منصوبة تجاه عبر الأردن كأبراج حصينة فى وجه العدو، الموصوفة بالجمال والسناء، المتشبهه بجنات الرب الفيحاء والأودية الخصيبة والأغراس الطيبة المغروسة لا بأيدى البشر ولكن بيمين القدير كما والأرز الشامخة ذات الأغصان الظليلة ألا وهى الأديرة أى مساكن رجال الله فى العهد الجديد الذين تحت تأثير النعمة الألهية الفعالة كرسوا ذواتهم لخدمة الرب تكريساً مطلقاً. وما هو هذا التكريس ومطاليبه الذى يؤهل للزاهدين حطام الدنيا الأنخراط فى الجندية الروحية والسكنى فى المعاقل الصحراوية ليكونوا فى مأمن من لدغات العدو الجهنمى وبعيدين عن تأثيرات العالم الخداع وفى بيئة تسهل لهم الأرتقاء إلى قمة القداسة.

أجل! إن هؤلاء قد تركوا ذويهم ليجدوا حسب المواعيد الربانية آباء وأمهات وأخوة وأخوات. باعوا مقتنياتهم ليجدوا كنزاً نفيساً، خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات ليعدوا عرائس للختن الألهى، وبعد تمحيص نواياهم وعزائمهم حقبة معينة من الزمان فى بودقة الأختبار المؤلم مثلوا أمام مذبح رب الصاباؤت وانجيله الطاهر، وبين أيدى آباء روحانيين ذوى حنكة كبرى فى صعاب العيشة الروحية وضعوا بمعرفة كاملة وعزيمة قوية مختبرة ورباطة جأش الثلاثة النذور القانونية، فعندئذ ارتبطت حياتهم لآخر نسمة بنظام رهبانى دقيق وتسجلت عهودهم غير القابلة الأنفكاك وتم عرسهم وصاروا على شبه طغمات الملائكة النورانيين.

أيها السادة الكرام!

هذا هو المدخل للحياة الرهبانية منذ أن أظهر الله تعالى للعالم فى الجيل الرابع الأنبا باخوميوس أباً للشركة الروحية وعلى هذا المنوال تكونت جماعات الرهبان وصفوفها المرتبة فى مختلف العصور فى أنحاء العالم.

لا تظنوا أيها السادة الكرام أنى فى هذه الليلة سأتناول البحث عن أصل الرهبنة المسيحية مع بيان الأسانيد الدامغة لروحانيتها وحيويتها وصلاحيتها، أو أن أخوض البحث النقدى عن القانون الذى استلمه الأنبا باخوميوس من الرب على يد ملاكه، أو أن أقيم المقارنة بين رهبنته وبين ما أطلقوا عليه رهبنة بوذا، أو أن أوضح لكم كيف أن قواعد

الرهبنة المصرية غير مأخوذة عما سار عليه قبلا عابدو الأله سرابيس بمصر، أو أشرح تمام مطابقتها لروح الأنجيل المقدس وتعليم الرسل المكرمين، أو أن أجلى سمو مزاياها ومحاسنها التى جعلها فى مقام جليل وحائزة على شرف أثيل ومجد خالد فى نظر الله وأهل الإيمان.

بل إنى أخذت على عاتقى أن أحاضركم كمؤرخ عن صحيفة ناصعة كلها مجد وفخر من بواطن التاريخ الكنائسى والعالمى، وأبيِّن لكم فى ضوء الحقائق التاريخية، ما هو الأثر البليغ، الذى أحدثته رهبنة الأنبا باخوميوس فى العالم بأسره وعلى الأخص فى القطر المصرى، مع العلم أن هذه الرهبنة كانت الأولى فى العالم أسست في طابنيسى (Tabennici) تجاه آثار دندرة[٢] حوالى سنة ٣١٨ ميلادية.

أرى أن الرجوع إلى أطهر وأنقى صحيفة من تاريخ أمتكم العريقة لا يخلو من الأهمية والفوائد الجمة لا سيما فى هذه السنين الأخيرة إذ كما تعلمون نشاهد حركة غير محمودة، أناصرها يا للعار بعض الأقباط المتزعزعى العقيدة، ينشرون غير خجلين فى بعض المجلات أقوالا بدعية؛ يزعمون فيها عدم صلاحية تبتل خدام الله فى عصرنا ووجوب الغاء الرهبنة والأديرة، وهم لا يدرون أنهم بمطالبهم السخيفة هذه، يتناسون أنها كانت من أكبر مفاخر كنيسة الإسكندرية منذ بداية المسيحية ويغفلون عما تنبئ به سجلات التاريخ من الفضل العميم الذى كان للرهبانية المسيحية فى تهذيب القبائل المتبربرة وجعلها على حالة من الأخلاق الفاضلة الكريمة والتقدم المادى وهذه الحالة هى التى نطلق عليها اسم "التمدين المسيحى".

لقد لمحت إلى أن رهبانية باخوميوس هى إحدى مفاخر كنيستكم الإسكندرية ذات المجد العظيم والعز الشامخ. حقاً أننا لا نغالى ولا نبالغ فى قولنا إن لكنيسة الإسكندرية عدة مفاخر وجميعها ترجع إلى وقت كانت فيه الكنيسة الإسكندرية مرتبطة بالكرسى البطرسى أشد الأرتباط، وعرى وحدة الإيمان والرياسة موثقة بين الكنيستين. ومن بين هذه المفاخر أخص بالذكر مدرسة الإسكندرية الشهيرة، ذلك المنار الرفيع الوهاج للعلوم الدينية والآداب السامية وسائر المعارف البشرية، والمقصد الأوحد الذى قصده علماء اليونان والرومان والسريان والكلدان منذ الجيل الثانى حتى الجيل الخامس الميلادى، ليتلقوا من بحور علومها المعارف الفلسفية واللاهوتية، هكذا التهافت العظيم الذى لاقته الكرازة المسيحية بين المصريين وسرعة انتشار الدين المسيحى فى ربوعها، وأيضا عدد شهدائها غير المحصى من عهد القيصر نيرون حتى عهد دقلديانوس (سنة ٢٨٤– ٣٠٥).

(٢) دندرة من أشهر مدن مصر القديمة، وهى تابعة لمحافظة قنا ولا تزال أثارها الفرعونية الجميلة باقية إلى الآن.

ماذا أقول عن غيرتها المتقدة فى نشر الدين فى الخمس مدن الغربية وليبيا والحبشة والنوبة وبلاد العرب؟ وكيف أنسى العدد الوافر من علمائها الفطاحل وائمة الدين المسيحى الأفاضل مثل القديس بنتينوس أول علامة ورئيس معروف لدينا للمدرسة اللاهوتية الإسكندرية الزاهرة وواضع الحروف الهجائية القبطية وأول مترجم للكتاب المقدس باللغة القبطية، والعلامة اكليمندس الاسكندرى والعلامة ديديموس الضرير والنابغة أوريجانس آية عصره، وتفقهها المشهود لها به فى تفسير معانى الكتاب المقدس ودفاعها الجرئ عن المعتقد القويم من أعلى المنابر وبالصفات القيمة على أيدى القديس اثناسيوس الرسولى عمود الإيمان ومخيف الهراطقة الذى أشهر حرباً عواناً على أضاليل الأريوسيين وعلى أيدى البطريرك كيرلس الأول الذى فند بدعة نسطوريوس بحجحة الدامغة والبطريرك ديمتريوس واضع التقويم الكنائسى والأنظمة الواجب مراعاتها لتحديد زمان عيد الفصح والبطريركين القديسين ديونيسيوس الكبير وبطرس خاتم الشهداء.

نعم بكل هذه الدرر والغرر الغالية زينت كنيسة الإسكندرية عنقها لكن ما جعلها قبلة أنظار جميع الأمم المسيحية، وهو أن الرب عز وجل أراد أن يغرس غرساً طيباً فى نفس الأرض التى اختارها ملجأ له وهو طفل محمول على ذراعي والدته القديسة عند هربها من وجه هيرودس الملك.

لقد اندثرت مدرسة الإسكندرية الذائعة الصيت فى الجيل السادس ورحل أحبارها العظام بطاركة الأسكندرية إلى جوار ربهم، واستشهد شهداؤها الأطهار ونالوا الأكليل غير الذابل من قبل الختن الألهى وانقلبت مسيحية مصر بعد انتشارها العجيب انقلاباً محزناً على أثر استيلاء أمة غريبة عليها وحدوث انشقاقات وبدع مزقت ثوب وحدة الكنيسة الموشى بذهب وضيعت جمالها الفريد وفرقت كلمتها وأضعفت قواها الروحية وحجبت مظهرها الأول الفتان وأصابتها بالرجعية والجمود أجيالاً.

أيها السادة الكرام:

أعلموا العلم اليقين أنه رغماً عن زوال كل هذه الأمجاد وحلول الكوارث المحزنه والمحن المؤلمة، فكلما يوجد دير قائم على وجه الأرض ورهبان مكرسون لله حياتهم، فجميعهم على اختلاف اجناسهم وأنظمتهم ينظرون بعيون قريرة إلى أرض مصر مسقط رأس أبيهم الأول الأنبا باخوميوس ولا يزالون ينتعشون ويتشجعون بعد خمسة عشر جيلا بروحه القوية العظيمة ويسترشدون بقوانينه البالغة فى الحكمة كما أن السنتهم تلهج بذكراه العاطرة الخالدة، شاكرين أفضاله وممجدين أثاره.

فلنقدر أثر الرهبانية الباخومية حق قدرها ونذكر لسادتكم أنه فى الجيل الثالث الميلادى كثر فى برارى الصعيد والجهات الواقعة على حدود ليبيا بين بحيرة مريوط ومرماريكا، وفى برية اسقيط، والمناطق الشمالية بقرب البحر الأحمر أناس أتقياء، كلفوا بحب العزلة والزهد ليحصلوا على الكمال المسيحى وهم النساك لا قانون ولا نظام روحى أو مادى كان يربطهم، بل كل واحد منهم كان يختار لنفسه محلاً لأقامته فى كهوف الأرض وشقوق الجبال وأنقاض المعابد الوثنية ومدافن القدماء، ويصلى على انفراد ويصوم ويميت نفسه وجسده بتقشفات قاسية متوالية على قدر ما كانت تقواه تلهمه وتسمح به قواه الجسدية.

نعم إن كثيرين من هؤلاء النساك قطعوا شوطاً بعيداً فى طريق القداسة الوعر إلا أن بعضاً منهم فشلوا فى حياتهم النسكية لعدم وجود مرشد لهم أو إخوان يشجعونهم كلما اعتراهم خمول أو أصابهم فتور[٣]. فأدرك القديس انطونيوس (سنة ٢٥١-٣٥٦) الذى كان ناسكاً مثلهم هذا الخطر الجسيم المحدق بأخوانه، وبدأ أن يجمعهم من وقت لآخر للصلاة الاجتماعية ويلقى عليهم الأرشادات والنصائح على مقتضى حالاتهم النفسانية ويتفقدهم واحداً واجداً فى تجولاته، وقصد أن يشجعهم ويعزيهم. ولم تلبث هذه الحالة طويلاً[٤]، حتى ظهر حوالي سنة ٣٠٨ ملاك الرب لناسك آخر اسمه باخوميوس[٥]، وكان تلميذ القديس الأب بالامون الناسك فى برية من برارى سلسلة جبال العرب بين "قصر والصياد" وفاو (مديرية قنا) وقال له الملاك: "لقد اعتنيت غاية الأعتناء بخلاص نفسك ولم تبال بحالة إخوتك الروحية. قم واذهب واجمع جميع النساك الحديثى السن المتفرقين فى براري الصعيد وشيد لهم ديراً وأعطهم هذا القانون الذى أسلمه لك من قبل ربى". وبعد أن تناول القديس من يد الملاك لوحاً من حديد، فيه نص القانون، قام فى الحال لأتمام أمر الرب ولم شمل النساك المتفرقين وبنى لهم ديراً بقرب قرية طبنيسى وكان ذلك حوالى سنة ٣١٨ ميلادية.

---

(٣) ليراجع القارئ تاريخ النساك بطليمس وهيرون وفالنس فى كتاب "Historia Lausiaca. P. 347-377" ليحقق صحة القول لكاتب سفر الأمثال: من يعش بدون مشورة يسقط كورق الشجر (الترجمة السبعينية) و "بعدم الدرية يسقط الشعب والخلاص بكثرة المشيرين" حسب طبعة الآباء اليسوعيين (أم ١١ : ١٤).

(٤) جمع الأنبا انطونيوس المصرى عدداً غير قليل من النساك الذين طلبوا ارشاداته فى مكان بقرب بلدة بيسبير وموقعها تجاه بلدة قمن العروس على الشاطئ الأيمن للنيل ونحو ٨ كيلو مترات جنوب شرق الواسطى (مديرية بنى سويف).

(٥) اسم باخوميوس مع حذف مؤخره اليونانى "يوس" هيروغليفى الأصل وهو الذى معناه نسر وبالقبطية: لهجة صعيدية "ⲁϩⲱⲙ" صار معنى اسم "باخوميوس" ولهجة بحيرية "ⲁϧⲱⲙ" معناه أيضاً نسر. ولذا صار معنى اسم "باخوميوس" باللغة العربية بعد ادخال أداة التعريف القبطية "ⲡⲓ" على أصله "النسر".

وما كاد ينتهـــى الأنبا باخوميوس من بناء ديره الأول، حتى ذاع خبره فى مختلـــف برارى الصعيد، فتوافد من كل أنحاء مصر الشبان والنساك طالبين الأنضمام إلى شـــركته الروحية وبين هؤلاء نذكر القديس تادرس والقديس مقاريوس القس الإسكندرى[٦]. فحـــدث من هذه الحركة المباركة والتهافت العظيم على العيشة الرهبانية" أن الأنبا بـــاخوميوس التزم أن يشيد ثمانية أديرة كبيرة أخرى لسكنى ألوف من المشغوفين بالكمال المـــسيحى الذين أخذ عددهم كل يوم يزداد حتى بلغ عدد المنضمين إلى أديرته ٥٠٠٠٠ عند نياحتـــه سنة ٣٤٧. فكان الدير الرئيسى بقرب مدينة فاو[٧]، حيث أقام الأنبا بـــاخوميوس أكثـــر سنى حياته الأخيرة وكان يسكنه نحو ١٧٠٠٠ راهب ويجدر بالذكر هنا أنه كان للأنبـــا باخوميوس أخت اسمها مريم، تأثرت غاية التأثير عند رؤية أعمال أخيهـــا العظيمـــة، فشعرت بدعوة الرب لها إلى الرهبانية، فترهبنت وأسست مع أخيها ديـــراً للراهبـــات بقرب طابنيسى على الشاطئ الغربى للنيل تجاه دير الرهبان[٨]. ولا شـــك أنـــه كـــان لصلوات وتضحية أخيها شأن عظيم فى دعوة الرب لها وجعلها أماً لجميع الراهبات[٩]، وأعطاهن الأنبا باخوميوس قانون الرهبان ورســـم لهن أساليب عيشتهن وصلواتهن وكانت مريم رئيسة لأول دير الراهبات فى العالم وبعد سنين بنى الأنبا باخوميوس لهـــا ديـــراً آخر وكان عدد الراهبات نحو ٨٠٠ عند نياحه.

فيصح لنا إذن أن نعتبر أن انضمام عذارى مصر إلى الشركة الروحية هـــو أول أثر أحدثته رهبنة الأنبا باخوميوس فى أرض مصر.

لم يلبث خبر هذه الحركة الروحية مدة طويلة محصوراً بين حدود مصر، حتى تجاوز تخومها وسرى فى الأمصار المتجاورة وبلغ منها إلى البلدان الأوربية وعندئذ قـــام الناســـك الشهير هيلاريون صديق "الأنبا أنطونيوس المصرى أب النساك" من فلسطين وســـافر إلـــي طابانا ليرى ما صنعه الرب على أيدى الأنبا باخوميوس، فأراد عند مشاهدته جمال العيـــشة الروحية المشتركة ومنافعها أن يتلقى منه "علم تدبير الأديرة". وبعد أن مكث سنتين هنا، عاد إلى بلاده وشرع فى تأسيس الأديرة فى برية غزة على مثال الأديرة المصرية.

---

(٦) Hist. Laus., p. 354

(٧) (Phbòou) وهى الآن فاو (مركز دشنا، محافظة قنا).

(٨) سبق أن جمعت مريم أخت القديس انطونيوس المصرى حولها نساء تقيات فى البرارى الواقعة على شاطئ البحر الأحمر لكن دون أن أعطتهن قانوناً.

(٩) بنى الأنبا باخوميوس معَ أخته ديرين للراهبات وبلغ عدد الراهبات فى كل منهما نحو ٤٠٠ راهبة قبل نياح الأنبا باخوميوس، أما عدد الراهبات من رهبنة مريم فكان يترواح في الجيل الخامس بين ٥٠ ألفاً و٦٠ ألفاً (Hist. Laus. p. 70).

وهكذا العلامة كاسيانس من سكيتيا الذى نزل فى أواخر الجيل الرابع إلى مصر، ليتفقد مؤسسات الأنبا باخوميوس ويطلع على ازدهار الرهبانية فى برارى إسقيط وطيبا والمناطق الواقعة علي شاطئ البحر الأحمر واشترك مع النساك والرهبان في عيشتهم عدة سنين ثم عاد إلى مرسيليا، حيث أسس دير القديس فيكتور وديراً للراهبات سنة ٤١٠.

وأيضا روفينوس من ايطاليا المؤرخ الكنائسى الشهير الذى انحدر إلى مصر فى أواخر الجيل الرابع لدرس قوانين رهبنتها، وكذا القديس هيرونيموس من روميا الذى زار أديرة مصر سنة ٣٨٥ برفقة القديسة بولة وابنتيها أوستوكيوم وبليسيلا وسيدات أخريات من أسر شريفات من روسيا كالقديسة ميلانية الكبرى والقديسون يوحنا فم الذهب واغريغوريوس العجائبى وباسيليوس الكبير رئيس أساقفة نيوقيصريا الذى بعد أن درس الرهبنة فى مصر وعاد إلى وطنه قبادوقيا، وأسس كثيراً من الأديرة وكذا أخوه القديس أغريغوريوس أسقف مدينة نيسا.

وبين مشاهير هؤلاء السائحين أرى تلك الشخصية الجميلة ألا وهو القديس أرسانيوس معلم أولاد الملك ثيودوسيوس الكبير الذى أثر عيشة الوحدة والزهد فى صومعة حقيرة على سكناه فى البلاط الملكي فأنه لما بلغ مسامعه من ازدهار الرهبنة المصرية، نزل إلى مصر متنكراً وترهب فى برية اسقيط، حيث عاش ٤٠ سنة وتنيح على قمة صخرة من صخور طرة سنة ٤٤٥.

وفى تأسيس الأديرة فى فرنسا على مثال الأديرة المصرية لم يأل جهداً القديس أوسابيوس اسقف فرسيل (سنة ٣١٥-٤٧١) الذى قضى بضع سنين منفياً فى مصر وشاهد الرهبنة فى بدئها، وكذا القديس هيلاريوس أسقف بواتيى الذى، وهو منفى فى مدينة أسوان لأجل دفاعة الأمثل عن المعتقد القويم ضد الأريوسيين، شاهد أيضاً مؤسسات القديس باخوميوس ونظام أديرته.

فلما عاد أخيراً إلى وطنه فرنسا أقام فيها مع تلميذ القديس مرتينوس أول دير بناحية ليجوجى سنة ٣٦٠.

وكيف لا أذكر هنا بين هؤلاء الرجال العظام القديس اثناسيوس بطريرك الإسكندرية الذى افتقد فى عهد رئاسته أديرة القديس باخوميوس فى طابانا وأعجب بنظامها البديع كل الأعجاب كما سرّ بها سروراً لا مزيد عليه وتحدث كثيراً مع القديس باخوميوس عن ارتياحه لها وكيفية اكثارها فى الديار المصرية.

وعند ما نُفى لثانى مرة من كرسيه ذهب سنة ٣٤٠ مع راهبين مصريين اسمهما إيسيذوروس وأمون إلى روميا[١٠] فكان ظهورهما فى رومية موضع الإعجاب الكلى لدى سكانها والباعث على تأسيس شركات روحية هناك على مثال ما أقامه الأنبا باخوميوس فى مصر.

وخلاصة القول إن جميع السائحين الذين رحلوا فى الجيلين الرابع والخامس من فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين والقسطنطينية وروسيا وفرنسا وأسبانيا إلى مصر لأفتقاد أول أديرتها، عادوا إلى أوطانهم معجبين بما شاهدوه من حياة ملائكية، ونظام روحانى ومادى بديع حافظين فى قلوبهم أحسن الذكريات عن لابسى الصليب، وشرعوا فى الحال في غرس الحياة الرهبانية بين مواطنيهم وضم متفرقى النساك إلي العيشة الروحية المنظمة المشتركة.

ألا يجب إذن أن نعد هذه الحركة الروحية الممتدة فى أوربا وآسيا الصغرى من أقاصيها إلى أقاصيها الأثر الثانى الذى أحدثته رهبانية الأنبا باخوميوس فى العالم؟

لا يسعنى المجال الآن أن أبحث معكم أيها السادة الأجلاء عن صوابية ذلك القانون الذى استلمه الأنبا باخوميوس من الرب على يد ملاكه، لكن اكتفى هنا بالأشارة إلى أن ذاك القانون يتضمن مبدأ أدبياً حيوياً اصلاحياً واقتصادياً كان من وراء تطبيقه افاضة خيرات مادية وافرة على سكان البلاد المتجاورة للأديرة وجوهر هذا المبدأ قائم على ما يأتي:

توجيه أعمال الرهبان اليومية إلى غاية واحدة مع تنظيم وتوزيع تلك الأعمال على الجميع على حسب طاقة ومؤهلات كل واحد حتى يقوم كل فرد وبالتالى كل دير بسد حاجاته وينفق ما بقى له من الربح على المحتاجين فى الخارج. فكان رؤساء الأديرة بمقتضى هذا القانون يخصصون فريقاً من الرهبان لأصلاح الأراضى غير المأهولة وتعمير القفار لسكنى الإنسان وتحسين الأراضى الزراعية الضعيفة وفريقاً ثانياً لأحتراف الصنائع وتعليمها للغير وفريقاً ثالثاً لتعليم الناشئة مبادئ العلوم الأولية وفريقاً رابعاً لمؤاساة المرضى والمسجونين وفريقاً خامساً للتضلع فى العلوم الألهية والمعارف البشرية.

ومن الذى لا يرى فى بادى بدء دون أن يرجع إلى الشهادات التاريخية البينة أن مصر بفضل تطبيق هذا القانون المصلح تقدمت بعد وقت قليل تقدماً سريعاً أدبياً وعلمياً

---

(١٠) Socrates. Hist., Eccl, iv, 23.

واقتصادياً، لا سيما أن كثيراً من الرهبان كانوا قبل ترهبهم فى وظائف عالية وتخرجوا فى معاهد علمية كمدرسة الإسكندرية وإن عدد الرهبان فى أديرة الأنبا باخوميوس عند نياحه كان يبلغ ٥٠ ألفاً.

أضيفوا إلى هذا عدداً آخر غير قليل من النساك الذين ضمّ شملهم القديس أمونيوس وترهبوا فى برية إسقيط، و ٥٠٠ راهب كانوا تحت رئاسة الأنبا مقاريوس الكبير فى وادى النطرون، و ١٠٠٠٠ راهب كانوا تحت رئاسة القديس سرابيون فى صحراء أرسينوى عند السويس، و ٢٠٠٠ راهب بقرب مدينة كانوب (وهى الآن أبو قير) و ٢٠٠٠ راهب عند بلوسيوم (وهى الآن تل الفرما غربى العريش)، و ١٢٠٠ راهب بقرب أنطينوى (وهى الآن الشيخ عبادة) بجوار المدينة نفسها، و١٢ ديراً و ١٠٠٠٠ راهب و ١٨٠٠٠ راهبة بمدينة أكسيرينخس (Oxyrinchos وهي الآن البهنسا) أعنى أكثر من نصف سكانها، و ٤٠٠٠ راهب بأسوان لمّ شملهم القديس سمعان.

وإذا أحصينا هؤلاء الرهبان، تمكنتم أيها السادة الكرام، أن تتصوروا مبلغ الخير الروحى والمادى الذى تدفق على مصر فى الجيلين الرابع والخامس من ألوف الأيدى العاملة بنظام ونشاط فى مختلف ميادين العمل النافع.

وليتضح لسيادتكم جلياً ما هى الأعمال الخيرية والأقتصادية التى قام بها هؤلاء الرهبان وهى التى يجب أن نعتبرها الأثر الثالث الذى أوجدته رهبانية الأنبا باخوميوس فى مصر، نأتى هنا بذكر ثلاث شهادات قيمة اقتبسناها من أقدم المصادر التاريخية.

ترك لنا بلاديوس أسقف هيلينوبوليس الذى يعد شاهد عين لنظام وحالة الأديرة فى الجيل الخامس فى كتابه "Historia Lausiaca" بياناً صادقاً عن حياة لابسى الصليب من نساك ورؤساء رهبان وعن نظام وحالة الأديرة المصرية فى تلك الحقبة من الزمان، فأعطانا وصفاً دقيقاً عن حالة الدير المصرى على ما وصفه باخوميوس فى طابانا والبلاد المتجاورة وها هو وصفه:

"إن الدير عبارة عن مستعمرة زراعية، صناعية، مظهرها كله عمل جدى وحركة مستمرة، تسير فى أعمالها على أدق النظام، وتقوم بسد حاجات جميع أفرادها، والأعمال اليومية تنقسم بين تأدية الفرائض الدينية والأعمال اليدوية والأنكباب على الدرس. والفرائض الدينية لا تعوق العمل اليدوى، إذ أنه عنصر مهم جداً فى حياتهم".

كان الدير المصرى وقتئذ وهو يحوى على الأقل ألفاً أو ألفين من الرهبان أو مايزيد عن ذلك أحياناً(١١)، أشبه بأحدى مدن العمال فى البلاد الصناعية فى هذا العصر, وترى فيه مصانع مختلفة للنجارة والحدادة وصناعة الأحذية والغزل والنسيج والصباغة وصناعة اللبّاد والحبال والدباغة وأن قسماً من الدير كان مخصصاً مأوىً للغرباء والمسافرين والمرضى والفقراء. تأييداً لقولنا نورد هنا ما يرويه لنا بلاديوس(١٢) الذى أثناء سياحته فى مصر زار ديراً فى مدينة بانو بوليس (وهى الآن أخميم) يحوى ٣٠٠ راهب، فوجد بينهم ١٥ خياطاً، ٧ حدادين، ٤٠ بناءً، ١٣ جمّالاً، ١٥ صانع الجوخ والآخرون يحترفون كل الحرف وهم ينفقون ما بقى لهم من الرِّبح على أديرة الراهبات والمسجونين(١٣).

والعلامة كاسيانس الذى ألمحنا إلى سياحته للأديرة المصرية فى أواخر الجيل الرابع والذى قضى هناك عدة سنين فى مختلف الأديرة، يصف لنا فى كتابه "Institutiones" بهذه العبارات حياة رهبانها العاملين: "ما من دير فى مصر إلا ويحرّم البطالة على الرهبان أشد تحريم والمفروض عليهم بأن يكسبوا قوتهم اليومى بالأشغال اليدوية وزيادة على هذا، أنهم لا يخدمون فقط الفقراء الذين يلتجئون اليهم، بل يوزعون صدقات وافرة جداً وبالأخص فى قرى ليبيا التى تفتك المجاعة بقاطنيها فتكاً ذريعاً وكذا فى السجون وأماكن أخرى من المدن ويعتقدون أنهم بأنفاق ثمرة كدهم يقربون قرباناً مرضياً لله(١٤).

واليكم ما نقرأه فى كتاب "تاريخ الرهبان" الراجع تأليفه إلى الجيل الرابع عن عظيم الحب الذى أظهره الرهبان المصريون نحو مواطنيهم البائسين(١٥).

"ورأينا فى أقليم مدينة أرسينوى (وهى الآن السويس) كاهناً اسمه سرابيون الذى كان رئيساً على أديرة كثيرة فى هذه المنطقة وكان تحت رئاسته نحو ١٠٠٠٠ من الرهبان الذين كانوا يعيشون من أشغالهم وخصوصاً فى مواسم الحصاد، فكانوا يسلمون معظمه ليد هذا الرئيس لأعانة الفقراء. وهذه العادة لا توجد فقط بينهم بل يسير عليها

---

(١١) يخبرنا بلاديوس أنه في أيام الأنبا باخوميوس كان كل من أديرته يحتوى علي ٧٠٠٠ راهب ما عدا الدير الرئيسى وفيه ١٣٠٠٠ راهب (Hist. Laus. P. 383).

(١٣) أن كنيسة الإسكندرية بواسطة رهبانها كانت تباشر فى الجيل الرابع أعمال الرحمة على جميع أنواعها وكانت بمدينة الإسكندرية دار واسعة للغرباء تحت تدبير الراهب والقس إيسيذوروس وملجأ للمقعدين يتولى إدارته الأنبا مقاريوس وكان يوجد مثل هذه الأماكن فى وادى النطرون وجهات أخرى (Hist., Laus, p. 324-331, 334).

(١٤) Institutiones X. 22, (P.L. 49, 388).

(١٥) أى "Historia Monachorum" المنسوب تأليفه إلى المؤرخ روفينوس.

تقريباً جميع الرهبان فى مصر، إذ كانوا يؤجرون أنفسهم وقت الحصاد، ليتمكنوا من كسب مقدار عظيم من القمح يوزعون معظمه على الفقراء. وبعد توزيعه عليهم فى جميع نواحى هذه المنطقة كانوا يشحنون قسماً منه فى المراكب التى تحمله إلى الإسكندرية لتوزيعه على المأسورين والغرباء وأناس آخرين كانوا فى شدة العوز إليه"(١٦).

وأسفاه! لم تدم هذه الأيام المباركة الزاهية على مصر أكثر من جيلين، إذ أن عوامل مفسدة مختلفة بدأت بعدئذ تعمل على اضعاف الحياة الرهبانية ومظاهرها. وعلم بهذا الأنبا باخوميوس قبيل نياحه، إذ نقرأ فى تاريخ حياته، إن المسيح له المجد تراءى له فى الأيام الأخيرة من حياته حاملاً إكليلاً من الشوك على هامته المقدسة، فاضطرب القديس من هذا المنظر المؤثر وسأله: "هل أنا يا ربى وضعت هذا الأكليل علي هامتك؟ فأجاب: لست أنت بل بعض رهبانك أضافوا إلى اكليلى أشواكاً حادة ومع ذلك لأ تجزع ولا تيأس بل تشجع، إذ أن أولادك سيكثرون كثرة عظيمة ويعمون المسكونة ويدومون إلى الأبد).

فأدرك الأنبا باخوميوس على أثر هذه الرؤيا، أن روح العالم وروح البدع والفتور والكبرياء وحب الرئاسة كانت مزمعة أن تدب فى قلوب رهبانه بعد مفارقته العالم.

ولما اقتربت الساعة الأخيرة من حياته جمع رؤساء جميع الأديرة حوله وعرفهم بما وعده الرب له من انتشار عجيب ومستقبل زاهر لرهبانيته فى العالم كله، وأخبرهم بلسان الحزن بما سيحل عليها، إذا سرت إلى الرهبان روح العالم وحب التنعم والرئاسة والميل إلى التعليم البدعى.

وإذا سألتمونى الآن عن الأثر البليغ الذى أحدثته رهبانية الأنبا باخوميوس فى الأقطار الأوربية، كان فى وسعى أن أبين لكم ما دونه بهذا الخصوص أدق وأكبر المؤرخين من الجيل المنصرم مثل لنرمان، مولر، كالميس، وتنالمبر، روربـاخر، أوزنـام، دوشين، هرجنرونر وهوك، فى مصنفاتهم الضخمة والذين لم يهملوا أدنى حركة أو حادث دينى وأدبى وسياسى واقتصادى إلا وسجلوه. ولكن لا أرى بين شهادات جميع المؤرخين الآنفى الذكر أنطق وأنزه من تلك التى قام بها منذ ٨٠ سنه العلامة جيزو رئيس مجلس وزارء فرنسا فى عهد الملك فيليب لويس وهو من أكبر مؤرخى القرن الماضى، وما يزيد شهادته قوة، أنه كان برتستانتى المذهب ونشأ منذ نعومة أظفاره على مبادئ قلفينوس، أحد زعماء البرتستانتية، الذى مع لوثريوس شجب البتولية وعمل على الغاء الأديرة. وها هى شهادته الواردة فى كتابه المشهور "L'listoire da la civilisaeion en Europe".

---

(١٦) Historia Monsehorum 18 (P.L., 21).

"ومن بين الأسباب التى أنشأت تمديناً سبب واحد ظاهر بنفسه لكل ذى عقـل ألا وهو الكنيسة الكاثوليكية، إذ وجد بين كهنتها أناس، فكروا فى جميع المسائل الأدبية والأقتصادية وانها من الجيل الخامس لغاية الجيل العاشر هاجمت علي نوع ما ا لأمم المتبررة بكل الوسائل التي كانت لديها لتكسبها حضارة ومدنية. حقاً إن الرهبان البنديكتيين يرجع اليهم الفضل والفخر فى إحياء أراضى أوربا وتقدمها الزراعى والعمرانى".

وإذا جمعنا شهادات المؤرخين السابق ذكرهم عما نحن فى صدده، نجدها تتعلق بحقيقة واحدة، لا يحوم حولها أى ريب، وهى أن أوربا (التى تتمتع الآن بأثمار التمدين اليانعة وتفتخر بعلومها واختراعاتها واكتشافاتها الحديثة وفاقت جميع قارات العالم بتقدمها الروحى والمادى) مدينة بكل هذه الخيرات إلى أيدى الرهبان العاملة وهممهم العالية. ويصح أن نعتمد على القول المأثور للمؤرخ أوزنام(١٧) وهو "أن رجال العزلة جددوا الهيئة الأجتماعية". ومن يطلع على الحالة الدينية والأدبية والأقتصادية للأمم الأوربية فى الجيلين الثالث والسادس مثل الجرمان والفرنك والبرجند والسويف والفندال والافار والمجيار والقوط، يعتقد أن هذه الأمم المتبربرة كانت وقتئذ فى درك بعيد من الأنحطاط الخلقى والتوحش وكانت لا معرفة حقة لها بالخالق مبدع الكون ولم يكن عندها شرائع أو قوانين مسنونة على أسس العدل والأحترام المتبادل والمحبة. أنها كانت على الحالة التعيسة التى يصفها لنا رسول الأمم القديس بولس فى رسالته إلى أهل رومية إذ قال: "لا نظام لهم ولا ود ولا عهد ولا رحمه" (رو ١:٣١).

ولما تكونت فى كل أنحاء أوربا جماعات منظمة من الرهبان وشيدت الأديرة وسار النساك علي قانون ونظام رهبانى واحد على مثال ما رأيناه فى مصر، حينئذ تمكن هؤلاء المصلحون من معالجة هذه الحالة وانقاذ أهلها من الأنحطاط والتدهور الذى وصلت إليه الوثنية القديمة وأن يزيلوا بمساعيهم ا لخيرية المنظمة والمشتركة الفوضى الدينية والأدبية تدريجياً.

فمن الرهبان من خصصوا أنفسهم لتعليم الناشئة وبنوا أولى المدارس فى أوربا ويدل على ذلك أننا كنا نرى بجوار الأديرة مدارس للبنين والبنات وتتخرج فيها بعد سنين الشبيبة المتثقفة فى علم الدين وخشية الرب والعلوم التى أهلتهم لخوض معترك الحياة. وتعلمون أيها السادة الكرام، أن كثيراً من هذه المدارس التى أسسها الرهبان،

---

(١٧) Ozanam, La eivilisation ehretienne ehez les Francs, p. 92

حازت شهرة عالمية. كفاكم برهاناً علـــى قـــولى أن جـــامعتى أكـــسفورد وكـــامبردج الشهيرتين كانتا أصلاً مدرستين أسسهما الرهبان. هكذا كان الدير المحور الـــذى كـــان يدور حوله وتنبثق منه حركة التعليم والتهذيب وانتشار الدين المـــسيحى بـــين الأمـــم المنبربرة.

كان الدير كالواحة فى الصحراء أو كالفنار المضئ فى وســط ظلمـــات الجهـــل والجور، يجذب إليه بأشعته الساحرة جميع طبقات الهيئة الأجتماعية، لا سيما الفقـــراء والمقطوعين، العبيد والأرقاء، المظلومين والمنكوبين والعاطلين.

فمن الرهبان من كانوا يعلمون هؤلاء المتخلفين الصنائع المختلفة، لاسيما إصلاح أراضي البور وزراعة الأرض، مما صيّرهم بعد وقـــت أصـــحاب أمـــلاك ومحبـــين لأوطانهم وجعلهم يحبون العمل المنظم والنافع ويتركون عادة التنقل من بلدة إلى بلدة.

هكذا تكونت القرى والمدن بقرب الأديرة وكثرت الأراضى الخصيبة وأنتاجهـــا، فعم الخير وزال الفقر المدقع وقل النهب والسلب وسائر الجرائم وخفت وطأة المجاعات التى كانت تهددهم بين وقت وآخر.

وعندئذٍ بزغ فجر التمدين المسيحى وانفتح أمام الأمم الأوربية عهد جديد، عهـــد وحدة الأيمان، عهد السلم الذى ساد فيه الأمن والهدوء.

إن عنايتهم لم تكن قاصرة على نشر التعليم والمعارف البشرية ورفـــع مـــستواها وتهذيب الأمم وبناء المعاهد العلمية وفتح أبواب جديدة للأرتزاق، بل أقاموا أيضاً بقرب كل دير داراً واسعة خاصة لضيافة الغرباء والمسافرين والسياح كما أنـــه وجـــد بـــين الرهبان من تخصصوا لعلاج المرضى، فشيدوا دياراً أشبه بمستشفياتنا الحاليـــة. ظـــل الرهبان يقومون بهذه المهام الخطيرة فى كافة البلاد الأوربية جيلاً بعد جيل حتى تحلى سكانها بالأخلاق المسيحية السامية وتثقفوا بالعلوم، مما جعلهم أهلاً لنوال السعادة فـــى هذه الدنيا والآخرة.

وإذا كان أحد منكم بعد سماع هذا فى شك من صلاحية الرهبنة وجلائل أعمالهـــا التى سجلها لها التاريخ الصادق، فاسمحوا لى أيها السادة الكرام، أن أذكر لكم بـــالفخر، أن مصنفات القدماء من رومان ويونان وسوريين حفظت لنا من الضياع والزوال بهمم رهبان القرون الوسطى، الذين قضوا سنى حياتهم فى نـــسخها وترجمتهـــا وتفـــسيرها وتدوين حوادث العصور الغابرة دون سواهم.

هل يا ترى انحصرت خدماتهم للمعارف البشرية فى ما ذكرته آنفا؟

كلا. بل نرى الرهبان منذ بداية الرهبانية فى طليعة القوم الذين رفعوا منار العلم وأحيوا الفنون. نراهم أصحاب العقول المفكرة ذوى الأفكار الثاقبة السديدة والنظريات الصادقة والأبحاث المثمرة والتأليفات الغزيرة والأختراعات المفيدة.

واليكم بعض الأدلة على ذلك. أما كان من بين رهبانية القديس بنديكتوس الراهب بيدا (٦٧٥ - ٧٣٥) بأنجلترا وهو أكبر مؤرخ فى عصره، وأما كان الراهب العلامة كاسيودوروس (٤٦٨ - ٥٦٣) أول وأشهر المؤرخين المسيحيين فى الغرب وقد كان قبل ترهبه مستشاراً فى بلاط الملك تيودور.

وأما كان الراهب الفرنسسكانى روجر باكون (١٢١٤ - ١٢٩٢) الملقب بالمعلم العجيب أكبر عالم فى الطبيعة وفلكى فى القرون الوسطى وواضع الأسس لعلم الضوء والبصر الحديث ومخترع النظارات لقصيرى النظر والمناظير لرصد النجوم.

وها كم راهب آخر أسمه برتولد شوارتز (١٣١٨ - ١٣٨٤) وهو الذى اخترع البارود. واليكم الراهب جوى دارزو وهو الذى وضع فى الجيل الرابع عشر سلم الألحان.

وإذا سألنا علماء التاريخ عما قام به الرهبان منذ إنشاء الأديرة فى أوربا لغاية عصر النهضة الأوربية من الخدم للفنون الجميلة، لأجابوا جميعهم أن أوربا فى عهد نشأتها وتكوينها مدينة للرهبان من هذه الوجهة، إذ أنهم أنشأوا الفن الرومانى المسيحى والقوطى وخلفوا مقداراً عظيماً من الآثار الفنية مثل كنائس وأديرة فخمة وتحف متنوعة، تبهر الأبصار بجمالها البهي، وهى لا تزال بعد مرور نحو عشرة أجيال تستهوى القلوب وتبعث فى الصدور روح الأيمان وترفع مشاعر من يشاهدها إلى تمجيد البار عز وجل.

وإذا أردنا إقامة جميع الأدلة على ذلك لضاق بنا المقام. فلهذا نقتصر على سرد بعض منها وهى: أن صناعة الأبسطة الثمينة ذات الرسوم البديعة كانت محصورة بالجيل العاشر فى أيدى رهبان دير القديس فلورنثيوس دى سومير بفرنسا، والرهبان فى المانيا اشتهروا فى فن الرسم الملون على الزجاج الذى وضع له أول نظرية علمية الراهب الألمانى توفيل (الجيل الحادى عشر). ألم ينبغ رهبان أوربا وحدهم فى القرون الوسطى فى عمل الرسومات المصغرة ذات الألوان الفتانة والصور المنقوشة على العاج ومثيله (Miniatures)، نخص بالذكر هنا الراهب توتيلو من دير سانت جالن فى

المانيا الذى كان أبرع نقاش على العاج فى عصره وما من زائر يزور أديرة ومتاحف أوربا إلا ويعجب بها أشد الأعجاب.

ومن ذا الذى لم يسمع عن أولئك الرسامين البارعين الذائعى الصيت مثل فرا أنجليكوا (١٣٨٧ - ١٤٥٥) ومعاصريه فرا فيليبو وفرا برثولوميو ديلا بورنا (١٤٦٩ - ١٥١٧) وكلهم من رهبانية الدومينيكان الذين برهنوا على أن الشعور الدينى العميق من شأنه أن يلهم قلم الرسام ويوسع نطاق مخيلة الفنان حتى يبرز من الرسومات أبدعها وأفخرها. ولقد أظهر الرهبان فى القرون الوسطى أنهم أشهر الفنانين والمعماريين وامتازوا فى هذه الفنون عن سواهم، إذ أن الأديرة فولدا وليرش وسانت جالن فى المانيا ودير جبل كاسينو "Monte Cassino" فى ايطاليا ودير كلونى وفيما بعد دير القديس ديونيسيوس بفرنسا كانت المراكز الوحيدة التى خرج من أوساطها لفيف من المعماريين الذين حلوا البلاد الأوربية بأفخم كنائس هى آيات فى الجمال والأبداع ولا تزال تفتن العيون وتُخلب القلوب بسناء جمالها الفريد.

ولم يترك الرهبان منذ ظهورهم فى أوربا ميداناً للعمل إلا وشرفوه وأعلوا قدره ونخص بالذكر الآداب، فكان الدير هيرشاو فى المانيا حائزاً على شهرة عظيمة برهبانه الذين تفوقوا معاصريهم فن الشعر والعروض والبيان وتركوا لنا دواوينهم الذاخرة بالأشعار الحماسية والقصائد الغنائية والمدائح المسجعة فى أولياء الله وأبطال الوطن، والتصانيف النظمية والنثرية للمراسح التى كانت تمثل فى موالد القديسين(١٨).

وللمناسبة يجمل بنا أن نذكر تلك الكاتبة العبقرية الراهبة روتسوينة من جاندرسهينم بألمانيا (الجيل التاسع) صاحبة الروايات الفكاهية المنتشربة بالروح المسيحية.

لا تظنوا أيها السادة الأجلاء أن الرهبان لم يبرزوا إلا فى ميادين المعارف الألهية والبشرية والأداب والفنون الجميلة وفن العمارة خلال القرون الوسطى التى يصفها بعض من المؤرخين السطحيين أو ذوى الأغراض المذهبية واللادينية بالعصور المظلمة والتى كان أهلها مكبلين بقيود دينية، دعت إلى حد كبير من التضييق على حرية الفكر والبحث، الأمر الذى أدى بالعلوم والأداب والفنون الجميلة إلى الجمود والتأخر، ولو انحصرت دائرة أعمالهم فيما سلف ذكره، لكان كافياً لأن يخصهم التاريخ بالمدح والثناء المزيد فيخرجون من أمام نقد الناقدين المحدثين أبرياء من تهمة أراد أعداء العقيدة الكاثوليكية من مؤمنين وغير مؤمنين القاءها عليهم ألا وهى البطالة وعدم صلاحية وعقم الرهبانية.

---

(١٨) Montalembert, Les moines d'Occulent I. VI, p. 476

لكن يا ترى ما الذى نراه فى تلك العصور؟ نرى أن نخبة من الرهبان قد خرجوا من عزلتهم وفارقوا جدران أديرتهم وهم متأصلون، متضلعون فى العلوم الألهية والبشرية، متدربون منذ حداثة سنهم على أقسى أعمال الإماتة الجسدية والتحلى بأسمى الفضائل النفسية، مندفعون بالغيرة الرسولية، حاملون بين جوانح قلوبهم شعلة الحب نحو الله والخير العام، فخاضوا ساحة المصالح العمومية وقاموا بأعمال دينية على أكمل وجه وأنجزوا مشاريع اجتماعية خطيرة عظيمة الأثر، نهجت بالأمم الأوربية فى سبيل التمدين والرقى الحقيقى ولنا فى تاريخ الأمبراطور شرلمان (٧٦٨ - ٨١٤) برهان واضح نستدل به على تقديره خدم الرهبان. فكان يلتف بعرشه الملكى نخبة من الرهبان بصفتهم مستشارين ملكيين كالراهب ألنوين النابغة وتلميذه راين موّر، وكانوا يسدون اليه ارشاداتهم الصائبة ويقدمون له اقتراحاتهم التى كان من شأنها أن رفعت مستوى الأدب ونشرت المعارف بين أبناء مملكته ودعمت سياسته بروح العدل والمحبة الأنجيلية. ألم يكن راهباً إسمه "بطرس الناسك" الذى جال البلاد الأوربية كلها، كارزاً ومستحثاً همم المسيحيين، مستحلفاً إياهم بحق صلب المسيح ضرورة إنقاذ الأمكنة المقدسة من أيدى غاصبيها واستردادها إلى أيدى ذويها. نقرن إلى ذكر ذاك البطل راهباً مصلحاً آخر ألا وهو سوجر رئيس دير القديس ديونيسيوس بباريز الذى اختير لحكمته وفطنته النادرة مؤدباً لملك فرنسا لويس التاسع (١٣٢٦ - ١٣٧٠) وانتُخب أيضا وزيراً للملكين لويس السادس والسابع ولخدماته الجليلة والعديدة فى سبيل تحسين حالة فلاحى فرنسا وسائر أعماله الأصلاحية والأقتصادية دعاه بنو قومه بأبى الوطن.

إنكم لتعلمون أن الأسبانى كريستوف كولومبوس اكتشف في سنة ١٤٩٢ قارة أميركا، إن هذا المكتشف الطائر الصيت لم يكن يهمه فقط ربح الأراضى البعيدة بل كان جل اهتمامه أن يكسب للمسيح أمماً، فكان شعوره المسيحى العميق وغيرته المنقدة تحملانه على أن يصطحب معه فى رحلاته لفيفاً من رهبان الدومينيكان. فلما وفّق فى اكتشاف أمريكا، ترك هناك كثيراً منهم لينشروا بين أبناء السلالة الحمراء أى الهنديين المتوحشين مبادئ الدين المسيحى وليلينوا قلوبهم الوحشية هذا ما فعله بعينه فرديناند كرتز مكتشف بلاد المكسيك وبيزارو مكتشف بلاد بيرو وبرازيل، كذا بطرس فالديفيا مكتشف بلاد شيلى فى أمريكا الجنوبية. وكان فى صحبة هؤلاء المكتشفين عدد كبير من الرهبان الدومينيكان والفرنسيسكان والبنديكتيين واليسوعيين. وعلى أثر هذه الأكتشافات الباهرة كان ملوك أسبانيا المحبون للمسيح كشارل الخامس وفيليب الثانى يبعثون رهباناً إلى تلك الجهات قبل

أن يرسلوا موظفيهم وجيوشهم لأخضاعها، لأعتقادهم إن للرب الأرض وملؤها المسكونة وجميع الساكنين فيها (مز ٢٣: ١) وإن تدبير الممالك يستمد قوته ونفوذه من مراعاة حقوق الله والأعتراف بسلطانه العميم وغرس أصول دينه فى قلوب الرعية.

ولولا أنى أخشى اطالة الكلام على سيادتكم لكان بأستطاعتى أن أثبت لكم من المصادر التاريخية أن العمل الدينى والأصلاحى والأقتصادى الذى شرع فيه وانجزه الرهبان فى أوربا وقارة أمريكا على أحسن وجه، هو نفس العمل الذى قام به الرهبان فى البلاد الهندية وبلاد الصين واليابان وأستراليا فى غضون الأجيال السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر. كأن الدين المسيحى والعالم المتمدين بأجمعه مدينان للرهبانية ولاشك أنكم توافقون على تصريحى بأن الفضل فى إذاعة وتعميم معظم الخيرات الروحية والمادية (ونحن أبناء الجيل العشرين نتمتع ونفتخر بها) راجع إلى المجهودات التى بذلها أولئك الجماعات.

كان الغرس الذى غرسه الأنبا باخوميوس فى بادئ الأمر صغيراً حقيراً فى نظر العالم لكنه نما وكبر وترعرع وأثمر وتأصلت منابته فى أرض مصر ثم فى سائر أقطار العالم وهذا برعاية يسوع المسيح.

ونحن مسيحيون، إذا وجهنا أنظارنا قليلاً إلى أقطار المسكونة من أقاصيها إلى أقاصيها وعرفنا أن الرهبان الآن عددهم حوالى ١٢٠٠٠٠[١٩] لرأينا تحقيق قول السيد المسيح فى انجيله المقدس عن انتشار الرهبنة "يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها رجل وزرعها فى حقله فأنها أصغر الحبوب كلها فإذا نمت صارت أكبر من جميع البقول ثم تصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتستظل فى أغصانها وأيضاً يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع". (مت ١٣: ٣١-٣٣).

أومل أن أكون قد أوقفتكم على قدر ما يسمح لى به المجال أن رهبنة الأنبا باخوميوس كانت أشبه بحبة الخردل التى عندما بلغت كمال نموها صارت شجرة باسقة يأوى إليها عباد الله من كل صوب وحدب ليستظلوا تحت أغصانها الظليلة وأنها كانت أشبه بخميرة أخمرت العجين كله وكيف أنها جعلت الأمم المتبربرة ترتقى إلى درجة عظيمة من التدين الحقيقى ورقة الأخلاق. كيف كانت تلك المنارة الوهاجة خلال ١٦ جيلاً تطرد الظلام وتضئ طريق من يستضئ بها. وقد رأيتم أيها السادة الكرام أن الله أظهر قوته غير المغلوبة فى أحد أصفيائه وان رجلاً واحداً إذا تقوى بالإيمان وتسلح

(١٩) وهو عدد الرهبان الكاثوليك سنة ١٩٠٨ ولا يحوى عدد الكهنة الكاثوليك المتبتلين غير التابعين للرهبانيات.

بأسلحة الرب يميناً ويساراً ووضع ثقته فى الله وحده يستطيع أن ينفذ ما قد يعد بعيد المنال وينجز عملاً خالداً، لا تقوى عليه تقلبات الزمان وكرّ الدهور.

هل شاهدتم كيف أن الأنبا باخوميوس الذى رفض الأبوة الجسدية، شارك الله فى أبوته وولادة البنين الروحيين وصار أباً لألوف وربوات من المتبتلين شرقاً وغرباً فى أيامه وبعده، طالما وجدت أنفس أبية تعشق جمال الله وحدة وتكلف بحبه وذلك مادامت الأرض أرضاً والسماء سماءً.

هل أدركتم الآن إلى أى حد أن العالم بأسره مدين للرهبنة روحياً وتهذيبياً واجتماعياً وعلمياً وكيف أن الأنبا باخوميوس بأنشائه الشركة الروحية فتح عهداً ليس فقط فى تاريخ كنيسة الإسكندرية، بل فى حياة الشعوب جميعها.

فإذا صادفكم يوماً قائل قصد أن يحط من كرامة الرهبنة، فقولوا بكل جرأة: إنك لتجهل أو تتجاهل أهم وأثبت وقائع تاريخية وأنك لست منا، فكاتب سفر الحكمة يقول: "إن البتولية مع الفضيلة أجمل فأن معها ذكراً خالداً لأنها تبقى معلومة عند الله والناس، إذا حضرت يقتدى بها وإذا غابت يشتاق إليها ومدى الدهور تفتخر بأكليل الظفر بعد انتصارها فى ساحة المعارك الطاهرة" (حكمة ٤: ١ و٢).

وإذا وقع نظركم على كتاب مذمة أو طعن فى الرهبنة، فاعلموا أيها السادة الكرام العلم اليقين، أن روحاً شيطانياً حرك يد كاتبه. فإذا دفعتم عنها هذا الأفتراء الشائن، أعلنتم الحق الدينى والتاريخى الراهن، وتكونون قد قلتم قول المؤمن الحر وأنصفتم تاريخ أمتكم العريقه فى المجد وشهادات تاريخ العالم. فعندئذٍ تكونون أهلاً لأن تحل عليكم وترافقكم على الدوام البركات الوافرة التى لأبائكم الذين بجهادهم وكفاحهم الأمثل حفظوا لكم كنز الأيمان القويم سالماً.

فلشخصك الأبوى الحنون يا أنبا باخوميوس نعطى سلامنا البنوى، مقدمين لك أيها الأب المكرم، باقة من عاطر زهورنا الروحية ألا وهى حبنا الوفير وأخلاصنا الصادق واكرامنا المزيد.

بقلوب خاشعة وبلسان يليق بالبنين الأوفياء نرفع إليك أيها الرئيس الجليل أنبا باخوميوس مراسيم التبجيل وأمارات التمجيد.

بخطواتك المباركة يا أنبا باخوميوس نريد أن نقتدى ولآثارك النيرة نقتفى دوماً وبفضائلك العبقة نتحلى وبحمايتك القديرة نحتمى فى جميع أيام غربتنا.

بروحك الساكنة الخلود والمرفرفة فوق قباب هذه الكنيسة(*) نستعين على اتمام دعوتنا المسيحية التى دعينا إليها على أكمل وجه.

تشفع فى كل حين لقطرنا العزيز مصر روحياً ومادياً وارفع يمينك مباركاً عليه. جدد ما قدم وأضرم ما فتر من شعور دينى حار وأنهض ما حمل من عزائم وقوى أدبية واهنة. جدد فى هذه الأيام مسيحيتنا كما جددت روح النساك فى أيامك الزاهية.

أكثر فى قلوب شبيبتنا الدعوة على الرهبنة وزد عدد الأديرة العامرة، وأعد المجد الغابر الذى كان لكنيسة الإسكندرية التى كنت من أبر أبنائها على أساس وحدة الأيمان والرئاسة.

يا الله القدوس، بشفاعة خادمك الأمين الأنبا باخوميوس وبحق هذه الليلة المباركة وبدعاء هذا المحفل المبارك أظهر وأضئ بوجه مسيحك علينا وعلى الأمة التى دعيت لها بالبركة(٢٠)، لتصير بريتها كمدن وقفرها كجنّه الرب، فتمتلئ البادية والقفر نساكاً ورهباناً وتسبيحاً.

(*) كنيسة القديس باخوميوس للأقباط الكاثوليك بفاقوس – الشرقية.

(٢٠) "فيباركه رب الجنود قائلاً مبارك شعبى مصر وصنعة يدى أشور وميراثى اسرائيل" (اشعياء ١٩:٢٠).

نأتى هنا للقارئ بجدول يشمل أنفع وأشهر التأليفات العلمية التى يجدر بمن يريـد الأطلاع على موضـوع من هذه المحاضـرة أن يرجع إليها.

Acta SS. Boll, t. III Maii, 25 ss.
Alès (Adh d'), Lès Péres du desert, Etudes, juillet 1906.
Amélineau, Histoire de St. Pakhome et de ses communautés (Ann. du Musée Guimet, Paris, t, X VII, 1889)
Athanasius St., Vita Beati Antonie, P.L. XXIII, 61-69.

Bardenhewer, Patrologie, 3 Aufl. 1910. S. 270 f.
Bardenhewer, Die Kirchenvaeter, t. II p. 53-59, t. III p. 39-46.
Batiffol (Mgr. P.), art. Cassiodore, dans le Dict. De la Bible.
Besse (Dom), Les Moines de l'Orient antérieurs au Concile de Chaleédoine (451), Paris. 1900. Premiers monastères de la Gaule méridionale (Rev. des Quest, hist, 1902). Les moines de l'ancienne France, Paris, 1906.
Bousset, Apophtegmata Patrum, 1923.
Bremond, (Jean), Les Pères du désert, Paris, 1927.
Butler (Don C.) The Lausiac History of Palladius, Cambridge. 1898 / 1904.

Cassien, (Jean), Conferences avec des Pères du déset, Trad. Nouvelle par Dom Pichéry, St Maximin, 1921.
Cassien (Jean), Institutiones liv. IV, ch. I.
Cheneau (Paul), Les Saints d'Egypte. t. II p. 10-83. Jérusalem, 1923.
Clausse, Les origines Bénédictines. Paris, 1899.
Crum, Theol, Texts from Coptic papyri, Oxford, 1913, p. 170-193.

Duchesne, (Mgr.), Histoire Ancienne de I'Eglise, t. II, Paris, 1907.

Gobillot, Les origines du monachisme égyptien et I'ancenne réligion de l'Egypte (Rech. De science rel. 1920, t. x,p. 303-354. 1921, t. XI, p. 29-86, 168-213, 328-361, etc.
Grutzmacher, Pakhomius und das aelt teste Klosterleben, Freiburg, 1896.

Heimbucher (Max), Die Orden und Congregationen der Kath. Kirche, t. l, 2e ed. Paderborn, 1907.

St. Jérôme, Traduction de la règle de St. Pakhôme, P. L. XXXIII ss. et L., 271 ss.

Koch, Virgines Christi, die Gelübde der Gottgeweihten Jungfrauen in den ersten drei Jahrhunderten, Leipzig, 1907.

Ladeuze (Mgr. P.) Les divèrses recensions de la vie de St. Pakhôme, Louvain, 1899.
Etude sur le cenobitisme pakhomien pendant le IV siècle et la première moitié du V sièclo (Rev. de l'Hist, ecelés. Janv. 1906, Paris).

Leclercq, (Dom) Cénobitisme, Dict, d'Arch. Chr. et de liturgie, Paris, 1910.
Monachisme, Dict d'Arch. Chr. et de litur. gie, Paris, 1933.
Lefort. La règle de St. Pakhôme, Etude d'approche, Muséon t, XXXIV, 1921, p. 61-70.
S. Pakhomii Vita, Bohairice scripta, textus, Paris, 1925, (Corp. scr. chr. or. scriptores copt. ser. III, t. VII.
Lucot L'Histoire Lausinque, Texte grèc introd. et trad, francaise. 1912.

Marin (Ange). Vies des Pères des déserts d'Orient. 5 vol, Avignon, 1761.
Martin (L'Abbé). Les moines et leur influence sociale, Bourg, 1865.
Migne, Patr. Lat. L, 271 ss.
Moehler, Geschichte des Mönchtums in Ges. Schriften, II S. 160 f, 1837.
Montalembert, Les Moines d'Occident, 7 vol. Paris, 1860 ss.
Morin (Dom Germain). L'ldeal monastique et la vie chrétienne des premiers jours, Paris, 1914.
Mourret, Les Origines chrétienes. Paris, 1908.

Palladius, Vie des Pères VIII. 38.
Pourrat, Histoire de la Spiritualité chrétienne, t.I, Paris.

Quentin, (Dom). La vie religieuse de l'anachorète, du cénobite et du moine bénédictin, (Revue de Philosophie 7oct. 1912).

Reitzenstein, Historia monachorum et Historia Lausiaca, 1916.
Rufinus, Historia Monachorum in Aegypto (P.L., t. XXI).

Schiwietz, (Dr. St.), Das morgenlaendische Mönchtum, t. I. Mainz, 1904.
Sozomène, Hist. eccl. lib. III. ch. 13.

Watson, Palladius and Egyptian Monasticism (Church Quarterly Review. 1907, p. 105/28).

Zoega, Catalogus cod. Copt. qui in Museo Borgiano Velitris adservantur. p. 77 et seqq. Romae, 1810. Excerpta vitae Pachomii vulgavit ad fidem apographorum manu Dom. Raph. Tukhi exaratorum.

واعتمدنا فى محاضرتنا هذه عند ورود النصوص من كتاب "Historia Lausiaca" على النسخة الألمانية المنقّحة للعلامة كروتنالر بعنوان: "Lehen der. heiligen Vater" الواردة فى الجزء الخامس من مجموع نشرات باسم "Bibliothek der Kirchenvater". (Kemptan un d Munchen. 1912).

الباب السادس

المواقع الأثريه للأديرة الباخومية

الباحث جورج نسيم

ميلاد الأنبا باخوم ونشأته

الرأى المرَّجح لدينا أن قديسنا الأنبا باخوم ولد سنة ٢٩٢م وتم تجنيده. وأثناء مرور الحملة على إحدى بلاد الصعيد(+) قابلهم الأهالى بعطف وكرم وقدموا لهم الطعام، وتعجب من سلوكهم هذا، وعندما استفسر عن سببه فأعلم أنهم مسيحيون، أضمر فى قلبه أن يصير مسيحياً. وبتسريحه من الجيش عاد إلى بلدته حيث نال نعمة العماد على يدى الأنبا سرابيون أسقف دندره، وتعبد بين اطلال معبد لسيرابيس على شاطئ النيل الذى كان موجوداً فى ذلك الوقت ومازال، بعد فترة ترك هذا المكان وذهب إلى الشاطئ الآخر للنيل وتتلمذ على يدى القديس بلامون. وكان الأنبا باخوم يذهب إلى الحرجه(*) العظيمة لجمع الحطب أو الصلاة. وفى هذا المجال نذكر أنه حتى قبل الأخذ بنظام الرى الدائم وانتهاء نظام الحياض كانت مياه الفيضان تغمر أراضى الوجه القبلى. وكانت توجد مناطق يطلق عليها الأهالى اسم الحرجه كحرجه الخلابصة بالقصر وحرجه الشعانيه القربيه من فاو قبلى وحرجه السمطا القريبه من دشنا وكانت تنمو بها اشجار السنط والمراعى. وقد أصطحب معلمه الأنبا بلامون إلى طبانسين على أثر رؤيا حيث بنى أول أديرته على نظام الشركة الباخومية.

١ – طبانيسي، طبانسين:

وردت في السنكسار دوناسه Dounasah – والرومى دفانيس Davainise . وطبانسين هو أول دير فى العالم يجمع بين الرهبان فى حياة شركة مقدسة بناه القديس باخوم بمساعدة معلمه الأنبا بلامون أحد كبار معلمى الرهبنة، وظل فترة معه لمساعدته ثم رجع إلى توحده. ومن سياق سيرة الأنبا باخوم أنه كان يذهب للحرجه العظيمة للصلاة ولجلب الحطب حيث كانت الحرجة العظيمة ممتده من الشعانيه حتى السمطا وكان دائماً يذهب إلى القرية الخربه المسماه بطبانسين. ويذكر فى السيرة أن رهبان فاو كانوا يخبزون بدير دوناسه. وقد ورد أيضاً أن منطقة دوناسه تقابل دندره من الناحية الأخرى من النيل. ولم يستطع أحد من الجغرافيين أمثال إميلينو إرجاعها إلى قرية حالية،

(*) الحراج فى (أقرب الموارد) بالكسر والحرجه محركة بالفتح الموضع الواسع الكثير الشجر (wooded valley) عن كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى.

(+) مدينة أسنا محافظة قنا

وإرجعها محمد رمزى إلى قرية الدابه البحرية (الرحمانية الآن). وهذا الـرأى جانبـه الصواب لأن القرية المذكورة طبانسين تقع على شاطئ النيل كما كان بالقرب منهـا أو أمامها جزيرة حسب الأوصاف الواردة بالسيرة، كما أن الدابه تقع أمامها على شـاطئ النيل قرية القصر. كما تقع القصر وكذلك الدابه على بعد ٤٠ كم تقريباً شـمال دنـدره وقد رفض هذا الرأى الباحث السويسرى جاك ليجر Gagues Lager.

وقمت مع الباحث السويسرى "ليجر" بجولة زرت معه اطلال بقايا ديـر الأنبـا باخوم بفاو قبلى، ثم طلب منى أن أحدد له المناطق الأثريه بمدينة دشنا فتوجهت به إلى أحد الموظفين بالرى الذى حدد الأماكن الأثرية المندثرة بالمدينة كالآتي:

١- موقع شارع الشقارات على النيل بجانب الكازينو.

٢- نجع طلحه بجوار الاستاد الرياضى.

٣- جبانه النصارى القديمة عند مدرسة الصنايع الجديدة.

٤- جبانه النصارى بجوار الشيخ ناصح.

وأرجح وجودها بمنطقة الطوابيه حيث تقع أمامها جزيرة.

١- دير البنات بطبانسين

كان أول دير يُنشأ للعذارى فى العالم وأنشأة الأنبا باخوم(*) لأخته مـريم وكـان قريباً من دير طبانسين. ويرّجح أن الدير كان على شاطئ النيل أو بالجزيرة مقابلهـا وأن كنت أرجح أن الدير بالجزيرة حتى يكون منعزلاً وبعيداً عن الدير الرئيسى.

كنيسة الرعاه بطبانسين

أنشأها القديس باخوم تحت اشراف أسقف الإيبارشية الأنبا سرابيون اسقف دندره لما لاحظه الأنبا باخوم من كثرة الرعاه الفقراء الذين يجتمعون فى هذا المكان لـوفرة المراعى والماء بها. فأنشأ لهم كنيسة ليصلوا بها وقد آمن كثير من الوثنيين منهم، وتـم

(*) القمص عبد المسيح المسعودى: القديس أنبا باخوميوس.
القمص تادرس يعقوب: الأنبا باخوم وتلميذه تادرس. ص ٤٢، ٤٣.
القمص أشعيا ميخائيل: حياة الشركة الباخومية. ص ٥٢، ٥٣.

إنشاء الكنيسة بعد استئذان أسقف دندره التابعه له تلك المنطقة، وقد نسب أميلينو هـذه المنطقة لإيبارشية ديوسوبوليس (هو). والباحث يرّجح أن هذه المنطقـة كانـت تابعـة لأسقف دندره لعماد الأنبا باخوم على يدى الأنبا سرابيون أسقف دندره، وكان الأنبا باخوم قد قبل الإيمان على يدى كاهن قرية شنسيث مما يدل على أن هذه القريـة كانـت تابعـه لأسقفية دندره وكذلك المنطقة الممتدة على شاطئ النيل حتى مقابل مدينة نجع حمادى.

٢- دير فاو

تذكر السيرة التى نشرها اميلينو أنه عندما شاهد أبونا باخوم كثرة الناس الوافدين إليه طالبين الرهبنه أنشأ ديراً ثانياً فى أرض الحرجه المسماه بافوا وهـى فـاو قبلـى الحالية وتتبع مركز دشنا محافظة قنا وصار يقبل إليه كل من يقصده، ونقل إليـه مـن ديره الأول مجموعة من الأخوة لكى يعلموا الأخوة الجدد. وبعد فترة أصبح هذا الـدير هو الدير الرئيسى ومركز الرئاسة العامة للأديرة الباخومية ومقام الأنبا باخوم. وكـان بهذا الدير المخازن الخاصة بانتاج الأديره، وكذلك المؤن من احتياجات الأديرة، وكـان يجتمع به رهبان جميع الأديرة فى أسبوع الآلام للاحتفال وكذلك فى عـشرين مـسرى لتقديم حسابات الأديرة للرئيس العام، وتعميد المؤمنين حديثاً فى أحد التناصير.

وقد ورد ذكر هذا الدير فى كتاب الأديرة والكنائس لأبى المكارم من القرن الثالث عشر (الناحيه المعروفه بفاو من الصعيد الأعلى وبها دير وبيعه على اسم القديس أبـو بخوم وهذه البيعه كبيرة ومنشعثه طولها مائه وخمسون ذراعاً وعرضها خمسة وسبعون ذراعاً، وهى الآن قد تشعثت - أى تهدمت - وجميع الصور التى فيهـا كانـت فـص زجاج - أى فسيفساء موزاييك - مذهب وملون وعمدها رخام هدمها الحاكم. ويعلـق الراهب صموئيل السريانى (الأنبا صموئيل اسقف شبين القناطر) إذا كان الـذراع الآن نصف متر فتكون الكنيسة المذكورة هى التى كشفت آثارها الآن ومساحتها ٧٣ x ٣٥م.

وقد زار الرحالة الأب سيكار Sicard (١٧١٢-١٧٢٦م) دير الأنبا باخوم قـرب دندره وقال عنه: قد كان لى عزاء عظيم أن أزور الاطلال الرائعه لدير القديس باخوم ويبعد عن دندره بيوم واحد إلا أنه فى رحلته الرابعة إلى الـصعيد حتـى الـشلالات (١٧٢٠-١٧٢١م) يقول أنه زار دير القديس باخوم قرب دندره ولم يبقى من هذا الدير

سوى كومة كبيرة فوق العادة وقرب هذا الدير كان معبد فينوس (حتحـور). ويرجـع الباحث إن اطلال الدير الأول هى لدير فاو التى ذكرها أبو المكارم أما الكومـة فهـى لدير طبانسين.

وقد كتب عنه القمص عبد المسيح المسعودى نقلا عن شاهد عيـان هـو القـس جاورجى البرموسى الذى من تلك الجهة من قريه أبو مناع بحرى وقال أيضا أنه يوجد دير قديم خرب عند فاو ويدعى دير أنبا باخوميوس.

رسم الكنيسة والبعثات الأجنبية:

وقد قامت البعثات الأجنبية بحفريـات فى اطلال هذا الدير وحددت مسقط الكنيسة

Gary Lease. Univ of California, Santa Cruz; Traces of Early Egyptian Manasticism. The Faw Qibli Excavations.

وتتبع فاو قبلى الآن مركز دشنا محافظة قنا وتتبع إيبارشية دشنا وبهـا كنيـسة الشهيدة دميانه.

٣- دير شينسيت ϢⲈⲚⲈⲤⲎⲦ

ضُم هذا الدير بناء على رغبه القديس أبو نوخوس كما ورد بالسيرة التى نـشرها القمص عبد المسيح المسعودى، وكما ورد بمعظم السيـر التى نُشرت للقديس، وأصبح هذا الدير من أشهر الأديره الباخومية كما يصفه د. رؤوف حبيب. ويقع الدير بـالقرب من التل الذى كان يتعبد به القديس الأنبا بلامون وسبقه فى العبادة كل من القديس الأنبا إيساك والشهيدين الأنبا بضابا الأسقف وابن خالته اندراوس القس، وقد ترأس هذا الدير الأنبا أورزسيوس أحد رؤساء الأديرة الباخومية. والدير يقع الآن بقرية القـصر نجـع حمادى قنا ويتبع إيبارشية دشنا وبه خمسه كنائس باسم الأنبا بلامـون والـشهيد أبـى سيفين والشهيدة دميانه ورئيس الملائكه ميخائيل ومارجرجس وتوجد كنيـسة بالمـدافن على اسم الشهيد تادرس. وقد زار الدير الأب فانسلب Vansleb.

٤- دير باطلال معبد سيرابيس

كان الأنبا باخوم قد تعبد به قبل أن يتتلمذ على يدى الأنبا بلامون، ومن أوصاف السيرة التى نشرها اميلينو والقمص المسعودى أن المعبد على شاطئ النيل، وأرجِّح أن هذا الدير يقع أسفل الشيخ فاضل والمنطقه التى تجاوره تسمى "قاروص البحر" وهى الميناء القديم للبلدة.

٥- كنيسة شينسيت

توصف هذه الكنيسة بأنها بظاهر البلدة. وقد شاهد اطلال هذه الكنيسة ومدخلها المرحوم قلينى سيفين القمص روفائيل ويقع مكانها الآن مسجد الطرابيش ويجاورها تل أثرى يعرف بـ (كوله أبو عياد)، وبالقرب منه مسجد الوقيدى ومقامه. وقد قيل للباحث الأمريكى جيمس روبسون وكان معه المرحوم منير القمص بأنهم شاهدوا باب كنيسة وأقاموا عليها أعمدة المئذنة. ويوجد موقع أثرى آخر أسفل الشيخ مروان به كنيسة كاملة وبجانبها بئرها الأثرى التى يزورها المسلمون والمسيحيون مساء الجمعة. ويتواتر بالقرية أنه كان بها سبعة أديرة ثلاثه للعذارى وأربعة للرجال وأن الرهبان كانوا يأكلون فى الصوم الكبير أربعين أردباً من الدقة وأرجح أن هذه الكمية للأديرة الباخومية كلها.

٦- دير تيموشونس

دير تيموشونس ضمه الأنبا باخوم بناء على طلب رئيسه ويدعى يؤانس ليكون تحت رئاسته للأديرة الباخومية كما ورد بكتاب حياة الشركة الباخومية عن السيرة التى نشرها الأب فيليه (ترجمة القمص اشيعا ميخائيل).

بينما ورد بالسيرة التى نشرها اميلينو أن الأنبا باخوم اعتمر ديراً رابعاً فى أرض تسمى منخوسين وعرف الدير بهذا الاسم Mankhousin وأيضاً القمص المسعودى. ولما أمتلأ دير شينوفسيكا "شاناسات" أعتمر ديراً رابعاً فى أرض تسمى منخوسين وعرف هذا الدير بهذا الاسم. وأيضاً ورد بنفس السيرة ولما بلغ دير شينوفسكيا الذى كان طريقه عليه دخل فى سفينة ليعبر إلى دير منخوسين فتكون منخوسين هى بخانس حالياً الموجودة فى البر الغربي وقد ذكر جوتيه فى قاموسه ان اسمها المصرى Per-Khonsou بر- خونسو والقبطى ⲧⲙⲟϣⲟⲛⲥ تموشون وترد بالسير "أتموشيش" وهى الآن بلده بخانس

مركز أبو تشت محافظة قنا وأن كان يوجد بلده قريبه تدعى قصير بخانس إلا أن هـذا الدير قد اندثر وليس له آثر فى الوقت الحالى.

٧- دير الأنبا بلامون السائح

بنى هذا الدير القديس بونوخوس وكان متسع وبه قليل من الرهبان حسب ما هـو مذكور بالسيرة ثم سلمه لقيادة الأنبا باخوم الذى عين الأنبا اوررسيوس رئيساً له ونقـل له مجموعة من الرهبان وطبق فيه قوانين الـشركة. ومـازال هـذا الـدير عـامراً والتجديدات المختلفة على مر العصور لم تُبقى على شئ أثرى.

وصف الدير الآن:

يقع الدير على بعد ١ كم من قرية القصر بالحاجر، ويتوسط المسافة بين قريتـى القصر والصيـاد. يقع خلف الدير تل صغيـر من الحجر الجيـرى، وعلى بعد حوالى ٣٠٠م يقع أمام الدير النيـل فى اتجـاه الشـرق، يحيط بالدير مدافن الأقباط والحقول وبجانبه ترعه مياه وأمام مدخله كوبرى وطريق اسفلتى به ٥ كنائس:

١- كنيسة الأنبا بلامون: وبها حامل أيقونات ورسم ايقوناته فنان محلى يدعى شمعى. هذه الكنيسة فوق الكنيسة القديمة التى رُدمت سنة ١٩٤٣م وبها ثلاثة هياكل الأوسط بأسم الأنبا بلامون والغربى باسم السيدة العذراء والشرقى باسم ماريوحنا المعمدان.

٢- كنيسة أبى سيفين: هُدمت الكنيسة القديمة سنة ١٩٦٤م وكانت تحوى ٥ هياكل بالدور الأرضى و٣ هياكل بالدور الأعلى ولم يبقـى من هذه الكنيسة سـوى٣ حجب إحدها مطعم بالصدف وهيكل نادر حيث أنه مطعم بالفضه والثالث خشب معشق، الأوسط باسم أبى سيفين والقبلى باسـم الأنبا انطونيوس، وقد رُفعت الكتابه الداله على تاريخـه وهيكل باسم الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي. ثم انشـئ هيكـل رابع باسم الأنبـا بـاخوم والأنبا انطونى ورسم الأيقونات الفنانان يوسف نصيف وبدور لطيف حاليـاً مـن أساتذة معهد الدراسات القبطية بالقاهرة.

٢- كنيسة الشهيدة دميانة: أقدم كنيسة بالدير الآن وبها هيكل يعتبر إعجاز فنى مطعـم بالصدف وبها هيكل واحد سنة ١٩٠٧م، عمل إبراهيم الرفيع، وقد أهتم ببناء هـذه الكنيسة عائلة لوقا شمس من بلده فاو بحرى.

٣- كنيسة الملاك: أنشأها غبريال قلاده من عائلة القلدات بقرية القـصر سـنة ١٩٠٧ وبها هيكل واحد مصدف من عمل إبراهيم الرفيع.

٤- كنيسة مارجرجس: أنشأتها أميرة عجايبى زوجه الخواجا مينا بشاره وبها هيكل واحد على النظام القبطى، وكذلك الأيقونات رسمها الفنانان عماد وبضابا نسيم أبناء قرية القصر.

٥- وتوجد كنيسة صغيرة وسط المدافن باسم الشهيد تادرس.

٦- وتوجد كنيسة أخرى وسط الحقول خارج البلدة من الجهة القبليه باسم السيدة العذراء مريم وتهتم بالكنيسة فضلاً عن أبناء القصر أقباط الصياد وفاو بحرى وأبى حزام والعدسيه.

الدير والرحالة:

ذكره الأب فانلسب (جـ٤ أبى المكارم: صموئيل السريانى) والقصر والصياد وبهجوره وهو والبلينا، على بعد ١٠ فرسخ من دندره. زرت مدينة القعر وبها دير قديم للأنبا بلامون.

ذكر فى تقرير الأوقاف القبطيه ص ٧٤:

دير الأنبا بلامون وكنيسة أبى سيفين والقصر والصياد وعدد القسوس ١٠ عشره ذكره سوموز كلارك سنة ١٩١٢م (ص ٢١٦) فى جدوله ولم يورد عنه أى توصيف. ذكره القمص عبد المسيح صليب المسعودى فى تحفه السائلين تحت اسمين مختلفين ص ١٧٩ (دير القديس أنبا بلامون بالجبل الشرقى بحاجر القصر والصياد بمديرية قنا فيه كنيسة يصلون الآن فيها) ذكر فى سجل الكنائس فى كرسى قنا وخبرنا عنه جاورجى باخوم ص١٨٢ دير أبى سيفين بالقصر وأقول أنه ليس بدير ولكنه كنيسة داخل دير الأنبا بلامون وقد تم بناؤها سنة ١٨٩٤م، ١٦١٠ش.

٨- دير الأنبا متاؤس الفاخورى

يوصف هذا ا لدير أنه بالجبل وأرجح أن هذا الدير هو دير القديس متاؤوس الفاخورى حيث يقع فى الجبل. ويرجعه الأنبا متاؤوس – الأسقف الحالى ورئيس دير السريان العامر بوادى النطرون أطال الله فى حياته – أن هذا الدير أحد الأديره الباخومية، ومازال يحتفل بعيد نياحه القديس باخوم فى عيد الصعود، ومازالت هذه العادة مرعيه فى هذا الدير كما هى فى دير الشايب (الأنبا باخوم) بالأقصر. ويرجع ذلك إلى أن نياحه القديس باخوم كانت توافق آنذاك ليلة عيد الصعود المجيد.

ذكره الشيخ المؤتمن أبى المكارم وكان عامراً فى وقته وذكره المقريزى وذكره الأب فانسلب والقمص المسعودى وسومرز كلارك ويقع الدير ٦ كم غرباً من أصفون.

٩- دير سمين (ϯⲡⲁⲕⲓ = ⲡⲁⲛⲟ . Panopolis)

بناه الأنبا باخوم بناء على سؤال الأنبا اريوس اسقف بانوس وهى اخميم وتنسب للاله مين ويقابل الاله بانوس عند الرومان كما ورد بالسيرة التى نشرها القمص المسعودى، وقد اختار له رهبان متقدمين فى العلم حتى يواجههوا الفلاسفة الموجودين بالمدينة. وبالسيرة التى ترجمها القمص اشعيا قال ابحروا شمالاً وقد أعطاهم الأسقف مركب آخر.

وقد ذكر هذا الدير المقريزى فقال: كنيسة (أبو بخوم) بناحيه اتفه وهى أخر كنائس الجانب الشرقى. وبخوم ويقال بخوميوس كان راهباً فى زمن بوشنوده، ويقال له أبو الشركة من أجل أنه كان يربى الرهبان فيجعل لكل راهبين معلماً. وكان لا يمكن من دخول الخمر ولا اللحم إلى ديره، ويأمر بالصوم إلى أخر التاسعة من النهار، ويطعم رهبانه الحمص المسلوق ويقال له عندهم حمص القلة. وقد خرب ديره وبقيت كنيسته هذه باتفه قبلى أخميم. ومن الوصف السابق نلاحظ: أن اتفه تقع غرب النيل بحرى أخميم بخلاف ما ذكره وأن الأنبا باخوم سابق على الأنبا شنوده، وأرجح أن هذا الدير منسوب خطأ للشهيد باخوم وأخته ضالوشام فهو ينتسب للأنبا باخوم حسب الوصف السابق ويقع هذا الدير إلى الشمال الشرقى من قرية الصوامعة شرقى إدفا التى تقع فى الغرب من النيل.

الأديرة الباخومية باسنا والأقصر وأرمنت ونقاده

ذكرت السيرة التى نشرها القمص المسعودى:

١-دير تخوم آسنا.
٢- دير بجبل اسنا يدعى أبنوم.
٣- دير بحنون فى حدود المدينة.
٤- دير أرموتيم (أرمنت) وقد بناه القديس الأنبا تادرس.

١٠- دير الشايب

أحد الأديره الباخومية المشار إليها سابقاً ويبعد عن مدينة الأقصر من ٨-١٠ كيلو مترات فى اتجاه الشمال الشرقى بقرية البعيرات.

١١- دير الرومى غرب الأقصر

حسب وصف الراهب صموئيل السرياني فى كتاب عماره الكنائس والأديره الآثرية فى مصر، يقع فى جبل القرنة ويجمع بين المباني والمغارات المنحوته فى الصخر. ومدخل الدير فى الجزء الجنوبى بين ممر طويل على جانبيه حنيتان مستطليتان تدخل إلى ساحة مستطيله تفتح على أبواب كبيرة لحياة الشركة عدا الجزء الغربي من الحجرات فهى حجرة متوسطة داخلها حجرة أصغر ربما للمتوحدين.

١٢- دير المجمع

زاره الأب فانسلب سنة ١٦٧٢-١٦٧٣م، وكان غير ساكن.

وزاره الأب سيكار سنة ١٧١٢-١٧٦٢م. يصفه الراهب صموئيل السرياني كما يلى.

دير مارجرجس (المجمع) غرب نقاده

ويقع مسافة ١١ كم جنوب نقاده على حافه السحراء المجاوره. وأطلق عليه دير المجمع حيث يقال أنه كان مخزناً لمؤونه الأديره الأخرى. رأى الباحث، ومن سياق السير المنشوره للأنبا باخوم، كان هناك نظام إشراف دير مركزى رئيسى مثل دير فاو، وهناك أديره مركزيه أخرى لكل منطقة تدير الأديره الصغيرة التى حولها كما ادار الأب بترونيوس رئيس دير تسمين ديران آخران معه. ومن كلمة دير الرؤساء التى ذكرها الأب سيكار ومخزن المؤن التى ذكرها الراهب صموئيل السرياني يتضح أن هذا الدير كان ديراً بخومياً وديراً مركزياً بالنسبه لباقى أديرة المنطقة كما أن كلمة كينوبيوم القبطية تعنى مجمع أو شركة مما يرجح الرأى السابق.

١٣- دير أدفو Tbo-Atbo-Thbew

بنى هذا الدير الأنبا باترونيوس فى أملاك أسرته ذكره القمص المسعودى فى سياق حديثه عن دير العذارى بفخنه (قرب دير أدفو بميل) وذكره اميلينو وهذا الدير هو دير الأنبا باخوم بأدفو وهو حالياً أحد الأديرة العامرة والمعترف بها من قبل المجمع المقدس ورد ببعض السير المنشورة للأنبا باخوم دير اتواوى.

١٤- دير فخنه

أحد أديره الأنبا باخوم للعذارى ويوصف فى السيرة بالقرب من دير أدفو ويبعد عنه بمقدار ميل واحد.

١٥ - دير تسمين Tsmine , ⲦⲤⲘⲒⲚⲈ

حددها محمد رمزى ببلده السلامون قبلى وارَّجح أن دير تسمين (السلامون) هـو دير الملاك لأنه يقع أعلى القرية وليس بعيداً كنظام الأديره الباخومية والسلاموني تتبع الآن مدينة أخميم.

١٦- دير العذارى

ذكر هذا الدير أبو المكارم دير الحميدات وذكر قصه الراهبـه فيرونيـا شـهيدة العفاف ورجح القمص صموئيل السريانى أن هذا الدير هو دير الملاك شـرق جرجـا بنجع الدير وغالباً الحميدات انشأها الشيخ عبد الغنى الحمدى بجوار دير الملاك شرقى جرجا وأرجح أن هذا الدير دير العذارى القريب من دير مينه.

١٧ - دير مينه ⲦⲘⲰⲚⲎ

ذكر هذه البلده اميلينو ولم يستدل عليها وحددها محمد رمزى ببلدة أولاد جبـاره جرجا سوهاج وتتبع الآن مركز المنشأه. والجدير بالذكر أنه يلاصقها نجع يسمى نجـع دير طوخ، وأرجَّح أن موقع هذا الدير بالنجع المذكور. وأن كان الدير قد انـدثر لكـن الأسم ظل كعلم للمكان كبلاد كثيرة تحمل اسم الدير مثل بلدة الدير مركز طوخ قليوبيه ودير مواس بالمنيا. ونجع دير طوخ به كنيسة باسم مارجرجس وتتبع إيبارشية سوهاج والمنشأة.

١٨- دير المحرق

ذكره القمص المسعودى فى تحفه السائلين (رئيس دير المحرق يقيم فيه رؤسـاء أديره أنبا باخوميوس أب الشركة).

١٩ - دير أنبا ابرهام الفرشوطى

تشير السيـرة إلى إنه كان رئيساً لدير أنبا باخوم بفاو قبلى وتحت اضطهاد جستنيان تخلى عن الرئاسة وبنى له ديراً بحاجر فرشوط ولم يستطع ناشر السيرة تحديد مكانه.

٢٠ - دير تاسا ⲦⲀⲤⲎ

تاسا ذكرها ايملينو وأن بها دير للأنبا باخوم وحددها محمد رمزى (دير تاسا – ساحل سليم أسيوط).

ذكر فى الخطط التوفيقيه: "دير تاسه شرقى تاسه وبه كنيسة".

ذكره القمص عبد المسيح المسعودى، ص ١٦٩ تحت رقم ٣٤ بتحفه السائلين كنيسة وهناك كنيسة باسم الملاك ميخائيل.

وذكره القس صموئيل السريانى، ص ٤٩، رقم ١٠٠: ولم يبقى به إلا الحجاب الخشب بعد تجديدة.

والجدير بالذكر أنه توجد قريه قريبه منه تسمى (نزله باخوم) ذكر د. رؤوف حبيب، ص ١٧٠ إن هذا الدير ترأسه الأنبا بترونيوس وأقامه رئيساً عليه ويذكر بجانبه ديرين آخرين هما "مينه" ودير "العذارى" ويذكرهم بمنطقة أخميم وذكر هذا الدير تحت اسم Tase تاسى القمص تادرس نقلاً عن د. عزيز سوريال عطية، ص ١٢٦.

٢١- دير فلماس (المنشاه)

ذكر هذا الدير فى حادثه الراهب الذى اشتهى الاستشهاد وكانت الكنيسة فى عصر سلام. ذكره القمص أشعيا، ص ٢٧٣ ووصفها بأنها قريه قريبه من قبائل البربر التى تدعى بلميس. وذكره مره أخرى فى نياحه الأب قارور ونسب بناء الدير للقديس تادرس وذكر اسمه Ptotemais بالقرب من بتولماس فى طيبه. ذكره مره ثالثة أنهم كانوا يربون به خنازير ويبيعونها لقبائل البليموس التى كانت تسكن بالقرب منهم Blemmyes وكانت مشهورة بالنبات الذى يصنع منه الحلفا وبالبحث تبين لى أن احداها مدينه فلماس وكانت قاعدة اقليم طيبه وكانت تربطها طريق بالواحات وحددها محمد رمزى بمدينة المنشاه.

٢٢- أديره أخرى ذكرت فى السيرة

١،٢- ديران بارمو بوليس (هيرمو بوليس ماجنا) الاشمونين بناهما الأنبا تادرس – الاشمونين – ملوي – المنيا، وقد ذكر الديرين القمص عبد المسيح المسعودى.

٣- دير ناوى – الأن نواى – ملوي – المنيا.

٤- دير كاهيور – الأن هور – ملوي – المنيا، وبها كنيسة الملاك ميخائيل وقد ذكرها القمص اشعيا ميخائيل بمناسبه زيارة الأنبا اثناسيوس لها.

٥- دير التوبه Metanoia (ماطنيو) كانوبيس وكان به رهبان لاتين لا يعرفون القبطيه – ذكره القمص أشعيا.

٦- الأب بامون أب رهبان منطقة أنتينوبوليس ذكر فى سياق هروب الأنبا أثناسيوس. أنتينوبوليس الأن الشيخ عياده – ملوي – المنيا وهى أنصنا.

٧- دير كابور ويسمى الدير الفوقانى ومن سياق الحديث يمكن تحديد الدير بالمنطقة المنحصره من نجع حمادى شمالاً حتى إلى جنوب أخميم.

٢٣ - أديره ذكرها المؤرخون

١- دير أبو بخوم ذكره أبى المكارم، جـ١.

"شبرا نجوم" من جزيرة قويسنا (ببيعه مارى بخوم).

٢- دير أبو بخوم (للملكية) تونه - بحيرة تنيس.

كانت واقعه فى بحيرة المنزله. "مرجع سابق".

٣- دير برجوس من أعمال طحا.

وأيضاً دير القديس أبو بخوم ببرجنوس من أعمال طحا ويحدد البلدة الأن الراهب صموئيل السريانى بأنها بلدة بوجه - سمالوط ويذكر دايسوس أو بيسوس ويذكر البئر، أبى المكارم، جـ٢.

ويذكرهما المقريزى (ديرو ايسوس) ومعنى ايسوس يسوع ويقال دير ارضوس ويذكر عيده فى ٢٤ بشنس وفيضان البئر ومعرفة زيادة النيل فى السنة، و٢٤ بشنس عيد زيارة العائلة المقدسة أرض مصر ذكر فى الخطط التوفيقيه (كان بجوار طحا دير فى محل يسمى برجواس نهبه العرب جهتها الشرقيه حالياً كنيسة للأقباط بدير الجرنوس).

ذكره القمص المسعودى وذكر أن الناس يزورونه فى عيد الصعود مما يدل على أنه دير باخومى وذكره محمد رمزى.

٢٤ - أديره باخومية كشفتها البعثات الأثريه

١- دير الأنبا هدرا بأسوان.

تحدث عنه الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والراهب صموئيل السريانى.

٢- منشوبيات الشركة بدير البلايزه.

وصفه الراهب صموئيل فى عماره الكنائس والأديره.

٣- منشوبيات الشركة حول كنيسة جنوب أنصنا (الشيخ عباده).

المرجع السابق.

٤- منشوبيات الشركة جنوب أنصنا شرق ملوى.

٥- دير الديك أو دير الوادى.

ومن الدراسة التى أجراها بتشروبترى أرجع الكنيسة للقرن الخامس والسادس الميلادى وكان الدير مزدهراً حيث يعيشون حياة الشركة الباخومية.

القمص ميخائيل بحر.

٦- منشوبيات دير أبو فانا ملوى.

الراهب صموئيل السريانى، عمارة الأديره والكنائس.

٧- مبنى ١٦٧ بمنطقة قصور الربيعات بكيليا.

المرجع السابق.



بقايا بازيليكا فاو من القرن الخامس الميلادى. وحالياً هى قرية فاو قبلى.

المراجع العربية:

١- القديس أنبا باخوميوس أب الشركة.
نقحه جناب الفاضل القمص عبد المسيح المسعودى سنة ١٨٩١م.
أب رهبان دير البراموس.

٢- تحفه السائلين فى ذكر أديره المصريين.
القمص عبد المسيح صليب المسعودى سنة ١٩٣٢-١٦٤٨ش.

٣- تقرير مرفوع إلى المجلس الملى القبطى الأرثوذكسى العام سنة ١٩٠٦م.

٤- عمارة الكنائس والأديره الآثرية فى مصر.

أعداد الراهب صموئيل السريانى وبقسم العمارة القبطية بمعهد الدراسات القبطيه.

٥- الدليل إلى الكنائس والأديره القديمة من الجيزة إلى أسوان.
إعداد قسم العمارة القبطية بمعهد الدراسات القبطية بإشراف الراهب القَس/ صموئيل السريانى وماجستير مهندس بديع حبيب جورجى.

٦- تاريخ الكنائس والأديره فى القرن الثانى عشر، جـ١، لابن المكارم الذى نسب خطأ إلى أبى صالح الأرمنى.
إعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانى.

٧- تاريخ الكنائس والأديره فى القرن الثانى عشر.
جـ٢، لأبى المكارم الذى نسب خطأ إلى أبى صالح الأرمن.
إعداد وتحقيق الراهب صموئيل السريانى - الاستاذ نبيه كامل داود.

٨- تاريخ الكنائس والأديره فى القرن الثانى عشر، جـ٤.

٩- تاريخ مصر فى عصر البطالمه.
جـ١، إبراهيم نصحى.

١٠- مصر البيزنطيه.
د. والسيد البار العرينى - دار النهضة العربية (١٩٦١).

١١- محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصريه.

من عهد قدماء المصريين حتى سنة ١٩٤٥م.
القسم الثانى البلاد الحاليه، جــ٢.

١٢- نفس المرجع، جــ٤.

١٣- سيره وعظات ونصائح القديس العظيم الأنبا باخوميوس أب الشركه - الأنبا متاؤس خورى ابسكوبس (حالياً أسقف ورئيس دير السريان العامر بوادى النطرون).

١٤- الأنبا باخوم وتلميذه تادرس.
القمص تادرس يعقوب.

١٥- حياة الشركة الباخومية.
تعريب القمص أشعيا ميخائيل.

١٦- بحث تاريخى عن ايبارشيه ملوى وانصنا والاشمونين وضع القمص ميخائيل بحر إعداد وتقديم مطرانيه ملوى.

١٧- أخميم فى العصر المسيحى.
إعداد حسنى فكرى سكلا.

١٨- القديس أنبا برهام الفرشوطى وتاريخ ديره المندثر بفرشوط.
إعداد رشدى واصف بهمان معيد بالكلية الاكليريكيه.

١٩- القديس الأنبا سمعان الشهير بالأنبا هدرا الاسوانى للأنبا غريغوريوس.

٢٠- سيره أنبا باخوم مخطوط ٣٧٦ لاهوت المتحف القبطى.

ملاحق الكتاب

ملحق (١): الذين أخذوا عن قوانين القديس باخوم

ملحق (٢): أسماء الأديرة الباخومية

ملحق (٣): الطبعات المختلفة لقوانين القديس باخوم

ملحق رقم (١)

الذين أخذوا عن قوانين القديس باخوم

فى الشرق	فى الغرب
القديس باسيليوس – القديسة ماكرين	الأب بند كت- الأم سكولاستيك
القديس يوحنا فم الذهب	الأب أوغسطين
القديس كاسيان	الأب برنارد
القديس ميتود	الأب فرنسيس – الأب دومينيك
القديس يوحنا الدمشقى	الأب توما الأكوينى
القديس يوحنا كليماكوس	الأب إغناطيوس ديلويولا
القديس اسحاق السريانى	الأب يوحنا الصليبى
القديس غريغوريوس بلاماس	الأم تريزا دافيلا
القديس مارون	الأب أنطونيوس البادوى
القديس يابالاها الثالث	القديس فرنسيس كزافيبى
البطريرك الكلدانى لمنغوليا	الأم تريزا دى لزيو
القديس سرافين الساروى	الأم مرجريتا مارى
القديس سمعان اللاهوتى	الأم جان بوسكو
القديس ثيودور الإستودى	

وأديرة مصر العليا وبريه شيهيت، والكارمل المسيحى، وسينا وأثوس، والتراب، والشار تروز، وبرناديت فى لورد وينفير، والأخوات الصغيرات وبنات القديس فانسان دى بول، وإخوة القديس جان باتست دى لاسال، وجميع المعاهد الدينية للرجال أو النساء.

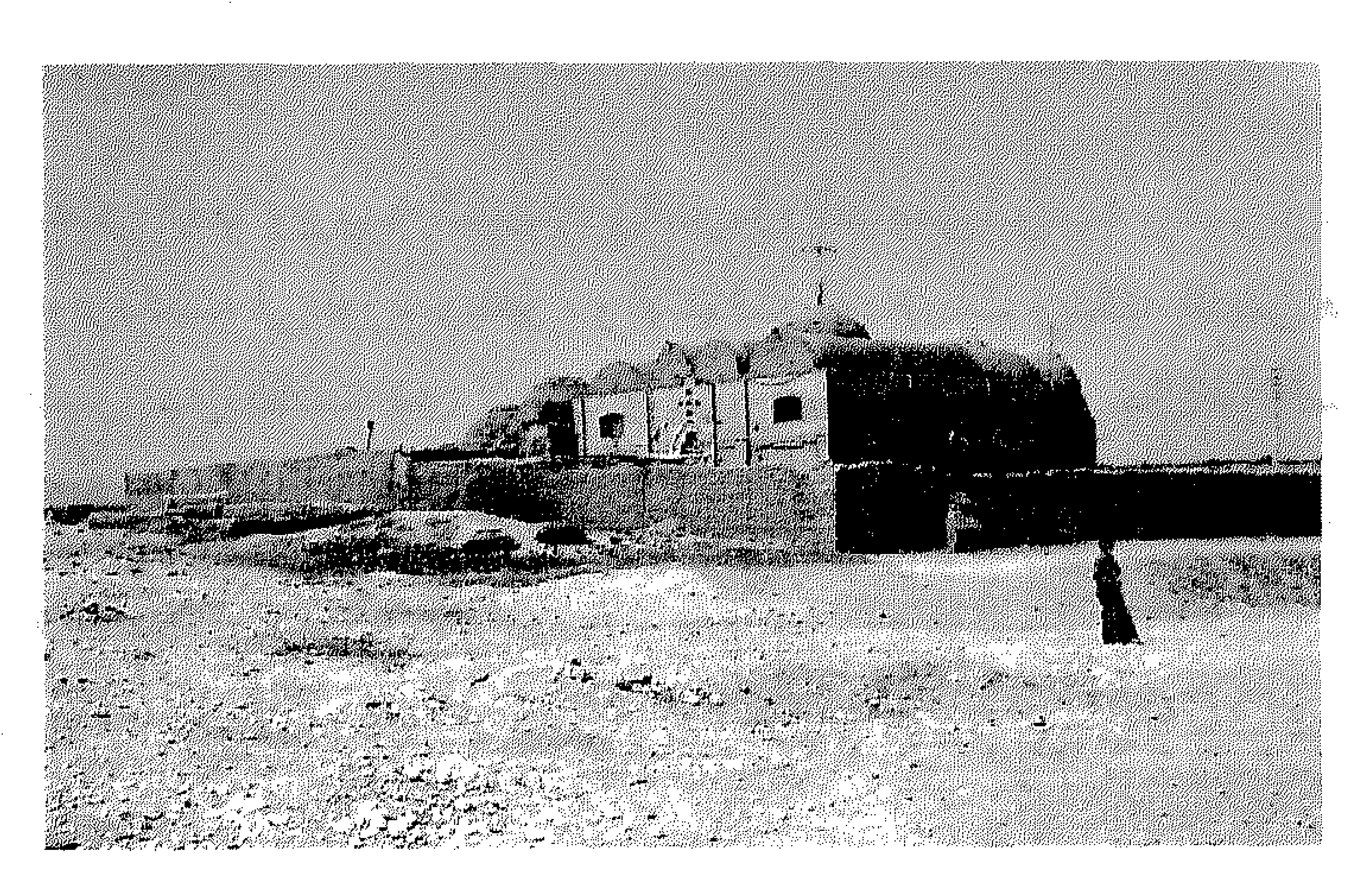
لقد أصلحوا الأراضى وأحيوا الغابات، وأدخلوا الحضارة إلى أوروبا ونشروا أسم السيد المسيح وأعماله فى أنحاء العالم.

وجميع هؤلاء هم أبناء وبنات القديس أنبا باخوم المصرى.

ملحق رقم (٢)

أسماء الأديره الباخومية

- دير للنساء أمام أخميم (البنايات؟).
- دير تيسمنى فى ناحية أخميم.
- دير قصر الصياد فى مركز دشنا.
- دير باشنوم بجوار إسنا.
- دير طابنيسى أمام دندرة على الجانب الغربى للنيل.
- دير موشونس.
- دير بباو (الآن فاو) على بعد نحو ٤ كم شمال طابنيسى.
- دير كاجوس بجوار الأشمونين.
- – دير تبيو فى ناحية (هو) مركز دشنا.
- دير أوبى بجوار الروضه شمال المنيا.
- دير بجوار أرمنت.
- دير آخر للنساء أقامه تيودور بجوار السابق.
- دير التوبة تسعة أميال شرق الأسكندرية فى أبو قير.



دير القديس بقطر بمنطقة نقاده وقمولا – من الأديرة الباخومية

ملحق رقم (٣)

الطبعات المختلفة لقوانين القديس باخوم(*)

(١) نص قبطى:

تجد الآن باللغة القبطية القوانين الآتية : ٨٨ - ١٣٠ ، ١٤٤ - ١٦٢

L. Th. Lefort: Oeuvres de saint Pacôme et de ses disciples.

Dans: Corpus Scriptorum christianorum Orientalium, volume 160, Scriptores coptici, t. 23, LOuvain 1956, 30 – 39.
Et Muséon, 40 (1927) 36 – 60

(٢) ترجمة يونانية:

L. Th. Lefort: Excerpta Grecs.

dans: Muséon 40 (1927) 60 – 64.

A. Boon: Pachomiana Latina

dans: Bibliothèque de la Revue d'Histoire Ecclésiastique, 7, Louvain 132, 169 – 182.

Acta Sanctorum, Mai, III. 1866, 53 – 54.

Migne: Patrologie Grecque, t. 40, col. 947 – 952.

(٣) ترجمة حبشية:

A. Dilimann: Chrestomatica Aethiopica, Leipzig 1866, 57 – 69.

V. Arras: Excerpta Greca, Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, volume 238, Collectio Monastica, 141 – 143.

(٤) ترجمة لاتينية:

A. Boon: Pachomiana Latina, Bibliothèque de la Revue d'Histoire Ecclesiathique, 7, Louvain 1932.

Pour les autres traductions latines: idem, LI – LVI.

(*) نقلا عن كتاب قوانين الأنبا باخوميوس أب الشركة – للأب جيرافيو Le Père Gérard Vioud بفاقوس.

(٥) ترجمة عربية:

الأب جيرار فيو: قوانين القديس باخوميوس – الناشر مكتبة الكاروز – صادر عام ١٩٧٣ .

مجلة صديق الكاهن: ٢ يونيه ١٩٧٢ (١٢٣ – ١٢٩)

٣ سبتمبر ١٩٧٢ (١٩٩ – ٢١٢)

٤ ديسمبر ١٩٧٢

(٦) ترجمة سويدية:

O. Lofgren: Pakomius' etiopiska klosterregler.

dans: Kyrkohistorisch Arsskrift, 48, (1948) 163 – 184.

(٧) ترجمة إنجليزية:

G.H. Schoode: The Rules of Pachomius translated from the Ethiopic.

dans: Presbyterian Review, 6, (1885) 678 – 689.

E.A.W. Budge: Coptic Apocrypha in the dialect of Upper Egypt., London 1913, Instructions de L'Abbé pacôme l'archimandrite, pp. 146 – 176 et 352 – 382.

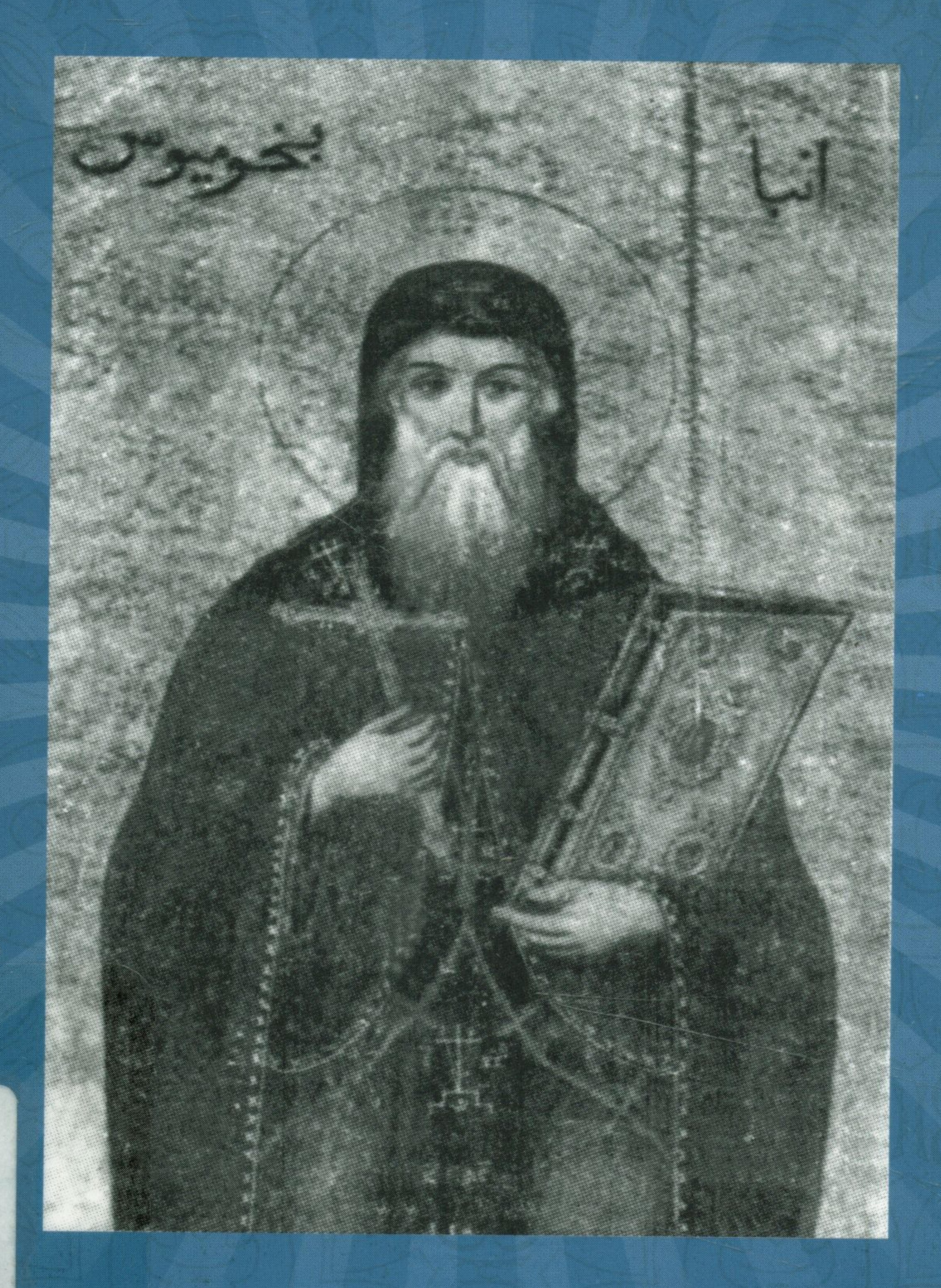
(٨) ترجمة ألمانية:

E. Koning: Die Regeln des Pachomius.

dans: Theologische Studien und Kritiken, (Hambourg) Gotha, 51, (1878) 328 – 332.

(٩) ترجمة فرنسية:

Placide Deseille: L'Esprit du Monachisme Pacômien; traduction des moines de solesmes. Texte intégral en français de la Règle de Saint Pacôme d'aprés la traduction latine de saint Jérôme, edition de l'Abbaye de Bellefontaine.



صورة القديس الأنبا باخوم بدير المحرق

(.. باخوم هو المؤسس والمشرع الحقيقي للجماعات الدينية المنظمة، ذات
الدرجى، وفي كلمة واحدة الشركة الرهبانية كما نعرفها اليوم ..)

الأب لويس ثيؤفيل ليفور
(١٨٧٩-١٩٥٩)
أحد المتخصصين في كتابات القديس باخوم

Bibliotheca Alexandrina
10090284
92
3a